مِصْبَاحُ الشَّرِيعَةِ
وَمِفْتَاحُ الحَقِيقَةِ

لِلإِمَامِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ رضي الله عنه

المتوفى ١٤٨هـ

تحقيق

السَّيِّد يُوسُف أَحْمَد

دار الكتب العلمية®

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسّسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة

Title : MIṢBĀḤ AŠ-ŠARĪʿA WA MIFTĀḤ AL-ḤAQĪQA

التصنيف : مواعظ وزهد ورقائق

Classification: Exhortation and Asceticism

المؤلف : الإمام جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت ١٤٨ هـ)

Author : Al-Imam Jaafar Al-Sadeq (D. 148 H.)

المحقق : السيد يوسف أحمد

Editor : Al-Sayed Yusuf Ahmad

الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	208	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2017A.D. - 1438H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon	بلد الطباعة لبنان
Edition	1st	الطبعة الأولى

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated,reproduced,distributed in any form or by any means,or stored in a data base or retrieval system,without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation,édition,traduction ou reproduction même partielle,par tous procédés, en tous pays,faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت–لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٥٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٩٦١+
فاكس: ٠٥٨٠٤٨١٣ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN-13: 978-2-7451-8041-4
ISBN-10: 2-7451-8041-X

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً طاهراً مباركاً فيه، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نحصى يا ربنا ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك، ونصلي ونسلم علىٰ خير خلقك وحبيبك ومصطفاك سيدنا محمد ﷺ.

أرسلته بالهدى ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون.

وعلىٰ آل بيته الأطهار وأصحابه السادة الأعلام وأزواجه الطاهرات الطيبات المباركات.

نشهد بأنك يا رسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشف الله بك الغمة وتركتنا علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يحيد عنها إلَّا هالك.

وبعد: فهذا كتاب "**مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة**" المنسوب إلىٰ الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وإن كان الشيعة جعلوا الإمام جعفر الصادق أحد أئمتهم وخاصة الاثنا عشرية فهو إمام لأهل السنة والجماعة أيضاً هو وغيره من أئمة الاثنا عشر عند الشيعة، فأهل السنة يحترموا جميع الأئمة ولا أعتقد أنهم قالوا ما خالف الكتاب والسنة ولم شمل الأمة ولم يسب أحد منهم الصحابة الكرام ولم يُهين أحداً منهم أي صحابي، هذا هو الرأي الصواب في هؤلاء الأئمة وإذا نسب إليهم أحد أنهم قالوا خلاف ذلك فهذا في الافتراء عليهم .

ظهور التشيع:

يبدو أن التشيع ظهر في حياة النبي ﷺ كنتيجة لأحاديث منسوبة إليه ﷺ منها: «**من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيفما دار**».

وقوله: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه لا نبي بعدي**»، ويفرق المؤرخون بين التشيع الأول والذي اشتد بعد مقتل عثمان وحدوث الفتنة وخروج طلحة والزبير وعائشة، ومقتل علي واستفحل بعد مقتل الحسين وبين التشيع الاصطلاحي الذي تطور وصار مذهباً له أصوله وقواعده كالقول بوجوب الإمامة وعصمة الإمام والتقية.

النظريات التي تكلمت في أصل التشيع:

والنظريات في أصل التشيع كثيرة معظمها وضعه المستشرقون وقد ردوه في قول إلىٰ الروح الفارسية الآرية، وقالوا إن الشيعة فرقة فارسية وجعلوا التشيع علىٰ أصول من عقائدهم في ملوكهم فقد كانوا يقولون بأنهم ينحدرون من الآلهة، وأن النور الإلهي ينتقل في أصلاب العائلات المصطفاة والشاهنشاه تجسيد لروح الله التي تنتقل إلىٰ الآباء للأبناء ولم يقبلوا لذلك أن تكون الإمامة بالانتخاب كما أجراها العرب بعد وفاة الرسول ألَّهوا آل البيت وقالوا بعصمة الإمام.

ومن النظريات في التشيع أنه من تأثير اليهودية، من حيث قال اليهود لا ملك إلَّا في آل داود، فقالوا لا ملك إلَّا في آل البيت ولا جهاد إلَّا بعد مجيء المهدي كما قالت اليهود لاجهاد حتى يجيء المسيح المنتظر.

ومن النظريات أنه من تأثير المسيحية فالقول باختفاء الإمام ورجعة المهدي في آخر الزمان في الأفكار المسيحية.

وكان الشيعة السبئية يقولون إن علياً لم يُقتل وإنما شُبّه لقاتله وأنه صعد إلىٰ السماء كالمسيح وسيعود ليحكم العالم بالعدل ويفشي السلام.

عدد فرق الشيعة: جعلهم الشهرستاني خمس فرق هي الكيسانية والزيدية والإمامية والغلاة والإسماعيلية وهم ثلاثة أصناف عند الأشعري: الشيعة الغالية وهم خمس عشرة فرقة، والشيعة الإمامية وهم الرافضة وهم أربع وعشرون فرقة، والشيعة الزيدية وهم ست فرق.

وفي تقسيم آخر الغالية واحد وعشرون هم: البيانية، والجناحية، والحربية، والمغيرية، والمنصورية، والخطابية، والمعمرية، والبزيغية والعميرية، والمفضلية والحلولية، والشريعية والنميرية، السبئية والمفوضة والذمية والغرابية والحلمانية والمقنعية والحلاجية والعذافرة.

والشيعة الإمامية: ستة وعشرون وهم: القطعية والكيسانية والكربية والراوندية والأبومسلمية، والرزامية والحربية والبيلقية والمغيرية والحسينية والكاملية والمحمدية والباقرية والناوسية والقرامطة، والمباركية والشميطية والعمارية والزرارية والواقفية والاسماعيلية والموسوية والمباركية والهاشمية واليونسية والشيطانية.

والشيعة الزيدية ستة وهم: الجارودية والسليمانية والصالحية والبترية والنعيمية واليعقوبية.

وأما أئمة الشيعة من أهل البيت وهم اثنا عشر إماماً وضعوهم في الفرع الحسيني فقط وقد لغوا الفرع الحسيني والفرع الكيساني المتمثل في محمد بن الحنفية فهم بعد الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسن بن علي جاء وأبا الحسين بن علي ثم علي زين العابدين، ومحمد الباقر ولغوا أخوه زيد بن علي صاحب الشيعة الزيدية، ثم جاءوا بجعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم علي الرضا، ثم محمد الجواد ثم علي الهادي ثم الحسن العسكري، ثم محمد المهدي ثم توقفوا ولا أعلم لماذا فهل في انتظار الأخير والذي قالوا عنه صاحب الزمان أو الإمام المنتظر فلا أدري، وماذا عن باقي النسل والأولاد والفروع من البداية أين فرع الحسن ومحمد بن الحنفية وما تولد عنهم وماذا عن فرع جعفر الصادق وذريته وما تولد عنهم أخذوا واحد فقط هو موسى الكاظم.

وهل نجلس بلا حاكم إلىٰ أن يأتي المهدي المنتظر وننتظر الإمام الذي لم يأتِ منذ أكثر من ألف ومائة عام، أم نجتمع علىٰ كلمة سواء ونختار الإمام والحاكم بأن يجتمع أهل الرأي والعقل علىٰ المشاورة لاختيار حاكم وإمام للمسلمين والذي فعله الصحابة الأوائل في حكم وإمارة وخلافة الصديق ومن ورائه عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين أم نظل علىٰ هذا الحال ونلعن ونسب ونقذف كرام الأمة وأفضل رجالها ونساءها ومن اختارهم الله لرسوله ووصفهم في التوراة والإنجيل بنص القرآن وقد أمر الرسول بعدم سبهم فقال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**».

قال النووي: اعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون وقال أيضًا: كلهم عدول.

وقال القاضي: سب أحدهم من المعاصي الكبائر.

الإمام جعفر الصادق:

هو الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام العَلَم أبو عبد الله الهاشمي العلوي الحسيني المدني وهو سبط القاسم بن محمد بن أبي بكر فإن أمه هي أم فروة ابنة القاسم وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان جعفر يقول: ولدني الصديق مرتين، وولد سنة (٨٠) هـ وروي عن أبيه وعروة بن الزبير وعطاء ونافع

والزهري وابن المنكدر، وحدث عنه أبو حنيفة وابن جريج والسفيانان وشعبة وسليمان بن بلال والدراوردي وابن أبي حازم وابن إسحاق ومالك وحاتم بن إسماعيل ويحيى القطان.

قال الذهبي: قلت: مناقب جعفر كثيرة كان يصلح للخلافة لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه ﵁ وقد كذبت عليه الرافضة ونسبت إليه أشياء لم يسمع بها كمثل كتاب الجفر وكتاب اختلاج الأعضاء.

وكان ﵁ ينهى محمد بن عبد الله بن حسن عن الخروج ويحضه علىٰ الطاعة ومحاسنه جمة.

وتوفي ﵁ سنة (١٤٨) هـ وله (٦٨) سنة قال ابن الجوزي في صفة الصفوة: قيل: كان مشغولًا بالعبادة عن حب الرياسة.

فقال بعض أصحاب جعفر: دخلت علىٰ جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منه أن قال: يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً، يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينيه إلىٰ ما بيدي غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله ﷻ له اتهم الله تعالىٰ في قضائه . . . إلىٰ آخر كلامه ومن أقواله ﵁: لا يتم المعروف إلَّا بثلاثة بتعجيله وتصغيره وستره، من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة، أصل الرجل عقله وحسنه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون، السعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها . فرضي الله عن هذا الإمام الجليل ونفعنا بعلمه.

كتاب "مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة" :

لما بدأت العمل بهذا الكتاب اطلعت عليه من أوله إلىٰ آخره فلم أجد فيه ما يخالف الدين من الكتاب والسنة إلَّا في القليل منها حديث منسوب إلىٰ سلمان في تسميه أئمة الشيعة الاثنا عشر وكان باقي الكتاب مواعظ وحكم وفضائل مع بعض الأحاديث منها الصحيح وبعضها ضعيف ومنها ما لم أقف عليه ولكنها تدعو إلىٰ فضائل الأعمال والتي يمكن أن نأخذ بها في هذه الفضيلة أو غيرها.

المؤيد والمعارض لنسبته للإمام جعفر الصادق:

المتقدمين من الشيعة يؤيدون أن هذا من مؤلفات الإمام جعفر الصادق بينما المتأخرين ينكرون ذلك ولا أظن أن إنكارهم إلَّا لأن الكتاب لم يبالغ في التشيع بل هو معتدل يقبله

كل مسلم له قلب وعقل يعي بهما وهو كتاب جامع في الأخلاق والعرفان والحكمة، وآداب في المعاملات والعبادات.

وقد قال النافون إنه لأحد تلامذته أو المترددين عليه أصحاب الاتجاه الصوفي فقالوا إنه لشقيق البلخي قالوا إنه للفضيل بن عياض وقيل إنه منسوب لهشام بن الحكم.

وبالجملة في ظني أن كلام المتقدمين هو الحجة في الغالب وإن لم يكن للإمام فهو نقلاً لكلامه في مجالس علمه ومحاضرات دروسه التي كان يلقيها ومواعظه لأنه كلام طيب من جميع النواحي لا يخرج عما أمر به الله ورسوله الكريم ولا يحمل أي تطرف أو تعصب لرأي بعيد عن الأمور الخلافية وأكثره مواعظ وحكم كما قلنا . ولذا قمت بتحقيقه كما قلت فالإمام جعفر الصادق إمام لجميع المسلمين السابقين من عهده إلىٰ المتأخرين فلِمَا لا ينقل ذلك إلىٰ الناس.

خطة العمل بالكتاب:

قمت بتحقيق ما ورد فيه من نصوص فالآيات استعنت بكتب التفسير، والأحاديث بكتب الصحاح وغيرها والحكم والمواعظ والآداب من كتب السير والآداب وما اعترضت عليه فهو قليل جداً وخاصة الحديث المنسوب إلىٰ سلمان رضي الله عنه في تسمية الأئمة الاثنا عشر من الشيعة وكل الكتاب فضائل عامة وآداب لا خلاف عليها بين جميع المسلمين من أهل السنة والشيعة.

الختام

وفي الختام لا أملك إلَّا أن أقول يجب أن تتوحد كلمة المسلمين فالإسلام يتعرض لهجمة شرسة من أعدائه فمن زرع بذور التناحر بينهم إلىٰ مهاجمة الاسلام والإساءة إليه وإلىٰ نبيه ﷺ.

فهل يفيق المسلمين من غفلتهم وهم قد اجتمعوا علىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله وعلىٰ كتاب واحد وهو القرآن العظيم فهلَّا تركنا خلافاتنا وتعصبنا وتعاونا علىٰ البر والتقوى ومواجهة أعداءنا سوياً دون إهانة بعضنا بعضاً في رموز ديننا من الصحابة والأئمة وغيرهم.

هلّا اجتمعنا علىٰ توحيد صفوفنا حتى نكون مثل الجسد الواحد وتزداد قوتنا فيها بنا الأعداء وتحترمنا الأمم وتعلم أن لنا قوة وكلمة.

اسأل الله أن يوحد كلمة المسلمين ويهديهم سواء السبيل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولا أنسى أن أترحم علىٰ أبي وأمي سائلاً المولىٰ لهم أن يسكنهم فسيح جناته مردداً قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسرَاء: ٢٤] .

وأهدي عملي هذا لزوجتي العزيزة شريكة الحياة داعياً المولى لها بأن يجعل ما قامت به في ميزان حسناتها في توفير الراحة والمساعدة في إخراج هذا العمل كما أهديه لفلذات الأكباد أبنائي الكبرى ابنتي رنا وأخويها أحمد ومحمد سائلاً المولى لهم الهداية والسير علىٰ الطريق المستقيم متبعين لكتاب الله وسنة نبيه العدنان محمد ﷺ.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠١].

وصلى اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

المحقق

السيد يوسف أحمد

القاهرة ـ عزبة النخل الغربية

في يوم الأحد

١٥ من ربيع أول ١٤٣٤هـ

٢٧ من يناير ٢٠١٣م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نور قلوب العارفين بذكره، وقدس أرواحهم بسره ونزّه أفئدتهم لذكره، وشرح صدورهم بنوره، وأنطقهم بثنائه وشكره، وشغلهم بخدمته، ووفقهم لطاعته، واستعبدهم بالعبادة علىٰ مشاهدته ودعاهم إلىٰ رحمته.

وصلى الله وسلم علىٰ محمد إمام المتقين وقائد الموحدين ومؤنس المقربين، وعلىٰ آله المنتجين الأبرار الأخيار وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فهذا كتاب "مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة" من كلام الإمام الحاذق وفياض الحقائق جعفر بن محمد الصادق علىٰ آبائه وعليه الصلاة والسلام.

وهو مبوب علىٰ مائة باب:

الباب الأول: في البيان.

الباب الثاني: في الأحكام.

الباب الثالث: في الرعاية.

الباب الرابع: في النية.

الباب الخامس: في الذكر.

الباب السادس: في الشكر.

الباب السابع: في اللباس.

الباب الثامن: في السواك.

الباب التاسع: في التبرز.

الباب العاشر: في الطهارة.

الباب الحادي عشر: في الخروج من المنزل.

الباب الثاني عشر: في دخول المسجد.

الباب الثالث عشر: في افتتاح الصلاة.

الباب الرابع عشر: في قراءة القرآن.

الباب الخامس عشر: في الركوع.

الباب السادس عشر: في السجود.

الباب السابع عشر: في التشهد.

الباب الثامن عشر: في السلام.

الباب التاسع عشر: في الدعاء.

الباب العشرون: في الصوم.

الباب الواحد والعشرون: في الزكاة.

الباب الثاني والعشرون: في الحج.

الباب الثالث والعشرون: في السلامة.

الباب الرابع والعشرون: في العزلة.

الباب الخامس والعشرون: في العبادة.

الباب السادس والعشرون: في التفكر.

الباب السابع والعشرون: في الصمت.

الباب الثامن والعشرون: في الراحة.

الباب التاسع والعشرون: في القناعة.

الباب الثلاثون: في الحرص.

الباب الواحد والثلاثون: في الزهد.

الباب الثاني والثلاثون: في صفة الدنيا.

الباب الثالث والثلاثون: في الورع.

الباب الرابع والثلاثون: في العبرة.

الباب الخامس والثلاثون: في المتكلف.

الباب السادس والثلاثون: في الغرور.

الباب السابع والثلاثون: في صفة المنافق.

الباب الثامن والثلاثون: في العقل والهوى.

الباب التاسع والثلاثون: في الوسوسة.

الباب الأربعون: في العجب.

الباب الواحد والأربعون: في الأكل.

الباب الثاني والأربعون: في غض البصر.

الباب الثالث والأربعون: في المشي.

الباب الرابع والأربعون: في النوم.

الباب الخامس والأربعون: في حسن المعاشرة.

الباب السادس والأربعون: في الكلام.

الباب السابع والأربعون: في المدح والذم.

الباب الثامن والأربعون: في المرآء.

الباب التاسع والأربعون: في الغيبة.

الباب الخمسون: في الرياء.

الباب الواحد والخمسون: في الحسد.

الباب الثاني والخمسون: في الطمع.

الباب الثالث والخمسون: في السخاء.

الباب الرابع والخمسون: في الأخذ والعطاء.

الباب الخامس والخمسون: في المؤاخاة.

الباب السادس والخمسون: في المشاورة.

الباب السابع والخمسون: في الحلم.

الباب الثامن والخمسون: في التواضع.

الباب التاسع والخمسون: في الاقتداء.

الباب الستون: في العفو.

الباب الواحد والستون: في حسن الخلق.

الباب الثاني والستون: في العلم.

الباب الثالث والستون: في الفتيا.

الباب الرابع والستون: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الباب الخامس والستون: في آفة العلماء.

الباب السادس والستون: في آفة القراء.

الباب السابع والستون: في بيان الحق والباطل.

الباب الثامن والستون: في معرفة الأنبياء.

الباب التاسع والستون: في معرفة الأئمة.

الباب السبعون: في حرمة المؤمنين.

الباب الواحد والسبعون: في بر الوالدين.

الباب الثاني والسبعون: في الموعظة.

الباب الثالث والسبعون: في الوصية.

الباب الرابع والسبعون: في الصدق.

الباب الخامس والسبعون: في التوكل.

الباب السادس والسبعون: في الإخلاص.

الباب السابع والسبعون: في الجهل.

الباب الثامن والسبعون: في تبجيل الإخوان.

الباب التاسع والسبعون: في التوبة.

الباب الثمانون: في الجهاد والرياضة.

الباب الواحد والثمانون: في الفساد.

الباب الثاني والثمانون: في التقوى.

الباب الثالث والثمانون: في ذكر الموت.

الباب الرابع والثمانون: في الحساب.

الباب الخامس والثمانون: في حسن الظن.

الباب السادس والثمانون: في التفويض.

الباب السابع والثمانون: في اليقين.

الباب الثامن والثمانون: في الخوف والرجاء.

الباب التاسع والثمانون: في الرضا.

الباب التسعون: في البلاء.

الباب الواحد والتسعون: في الصبر.

الباب الثاني والتسعون: في الحزن.

الباب الثالث والتسعون: في الحياء.

الباب الرابع والتسعون: في الدعوى.

الباب الخامس والتسعون: في المعرفة.

الباب السادس والتسعون: في حب الله.

الباب السابع والتسعون: في الحب في الله.

الباب الثامن والتسعون: في الشوق.

الباب التاسع والتسعون: في الحكمة.

الباب المائة: في حقيقة العبودية (جوهر كنهها الربوبية، وباب في العبودية).

❊ ❊ ❊

نماذج من صور المخطوط

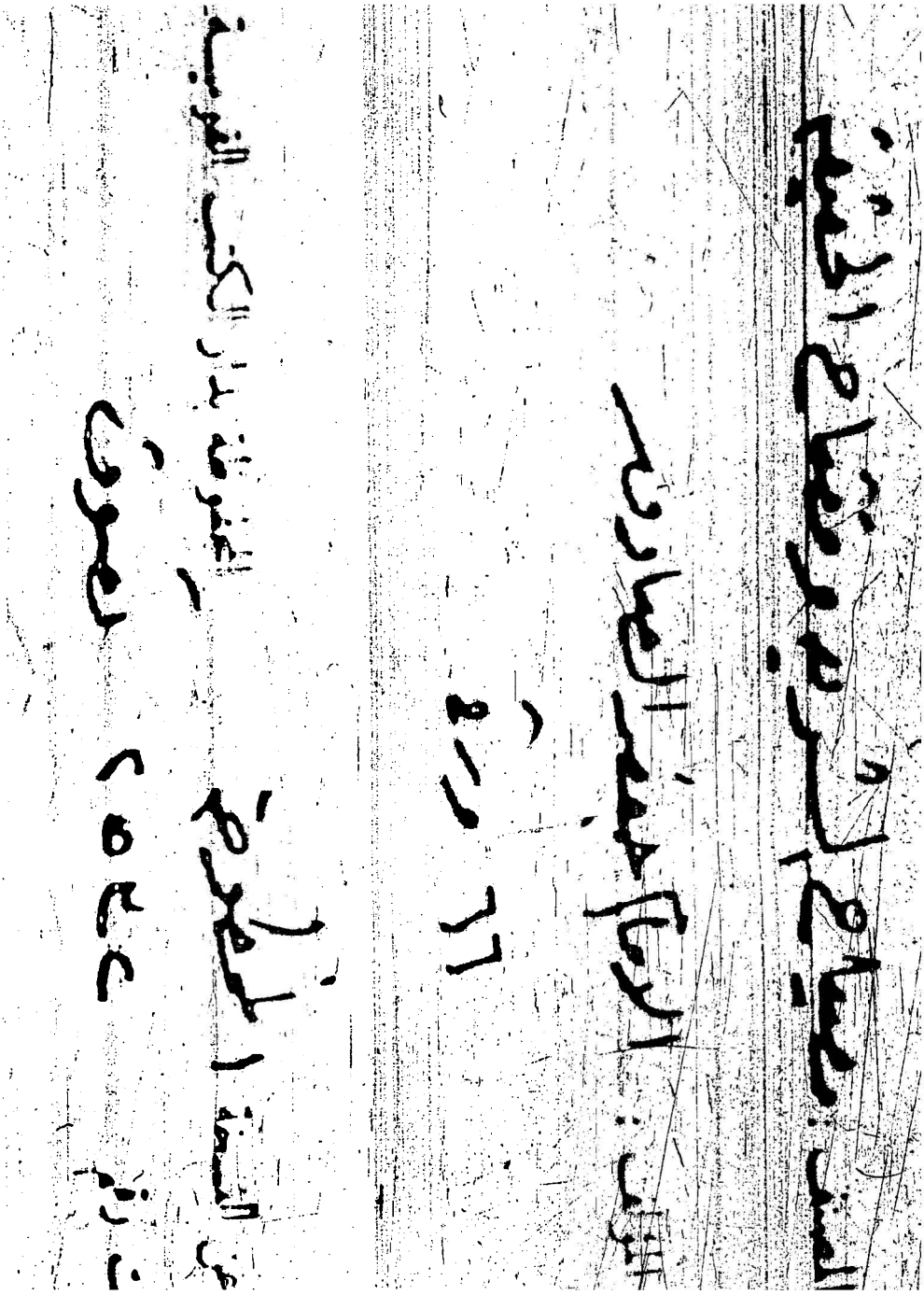

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

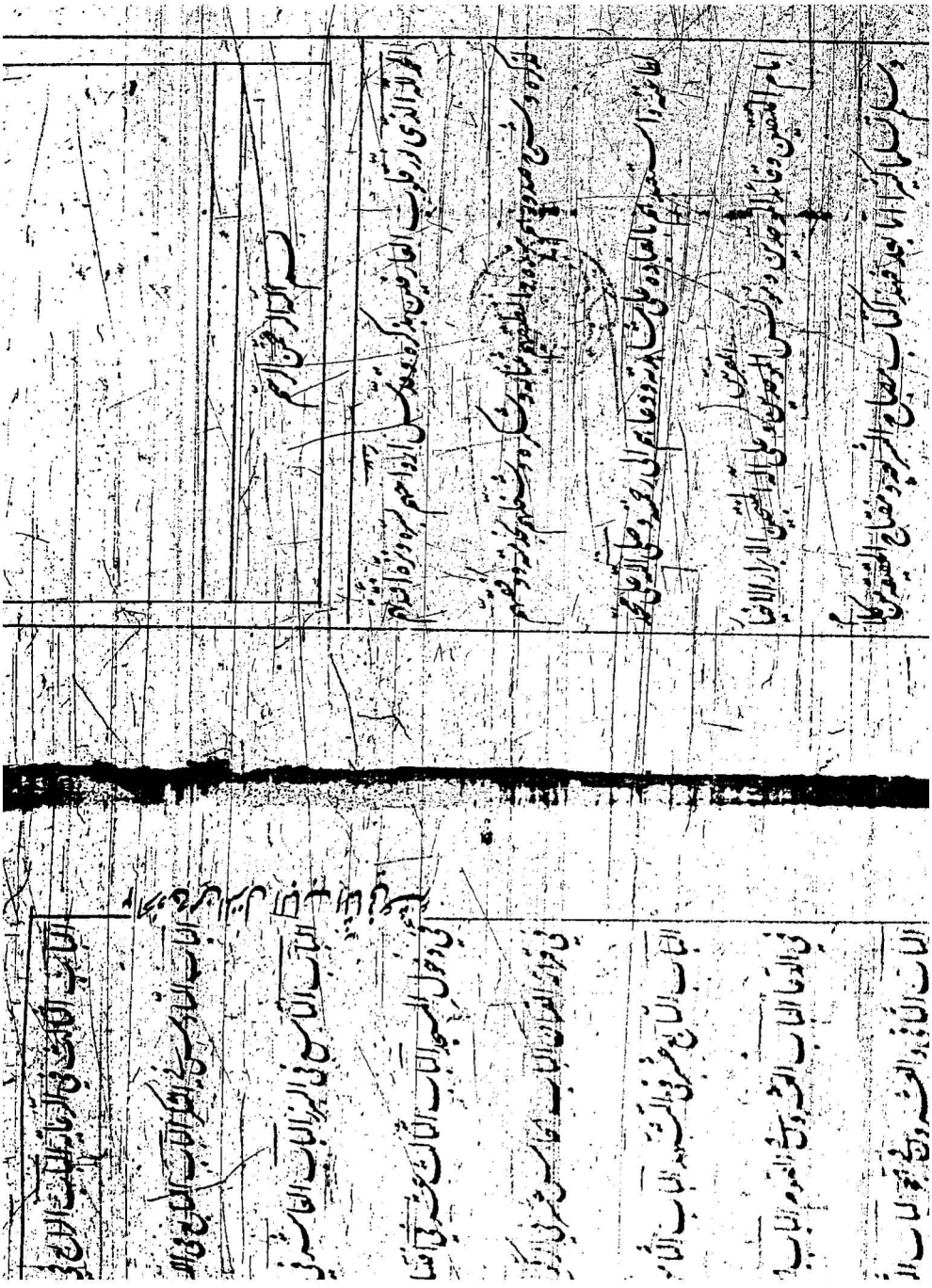

صورة الصفحة الثانية من المخطوطة

صورة الصفحة الثالثة من المخطوطة

الباب الأول

في البيان

قال الصادق رضي الله عنه: نجوى العارفين تدور علىٰ ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والحب فالخوف[1] فرع العلم، والرجاء فرع اليقين والحب فرع المعرفة.

فدليل الخوف الهرب.

ودليل الرجاء الطلب.

ودليل الحب إيثار المحبوب علىٰ ما سواه فإذا تحقق العلم في الصدق خاف.

وإذا صح الخوف هرب، وإذا هرب نجا وإذا أشرف نور اليقين في القلب شاهد الفضل، وإذا تمكن من رؤية الفضل رجاء، وإذا وجد حلاوة الإيمان الرجاء طلب[2].

---

(١) قال النسفي في كتابه "نزهة الرياض": يؤتى يوم القيامة بعبد كثير السيئات فيؤمر به إلىٰ النار، فتقول شعره في عينه: يا رب، محمد ﷺ قال: «**من بكى من خشية الله حرمه الله علىٰ النار**» (انظر الترمذي (٢٤٩٦)، وهذا تغرغرت عينه من خشيتك يوماً من تستوهبي كله، فتقول: خشيتك يا رب، فيغفر الله له، فينادي جبريل: ألا وإن فلاناً قد نج بشعرة واحدة. وفي تفسير القرطبي رحمه الله في سورة النجم "إن جبريل عليه الصلاة والسلام نزل علىٰ محمد ﷺ وعنده رجل يبكي فقال: من هذا؟ قال: فلان، قال جبريل: إنا نرى أعمال بني آدم كلها إلَّا البكاء، فإن الله تعالىٰ يطفئ بالدمعة الواحدة بحوراً من النار» وفي الترغيب والترهيب «من رواية البيهقي رحمة الله عليه: خطب النبي ﷺ فبكى رجل بين يديه فقال: «**لو شهدكم اليوم كل مؤمن عليه من الذنوب كأمثال الجبال الرواسي يغفر بهم ببكاء هذا الرجل وذلك أن الملائكة تستغفر له وتقول: اللهم شفع البكائين فيمن لم يبك**» وقيل: أوحى الله تعالىٰ إلىٰ موسى عليه الصلاة والسلام: وعزتي وجلالي ما بكى حزين في أمة إلَّا كان قائدهم إلىٰ الجنة.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٣٣، ٣٣٤)

(٢) روى الثعلبي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ إلىٰ وحشي يدعوه إلىٰ الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد كيف تدعوني إلىٰ دينك، وأنت تزعم أنه من قتل أو أشرك أو زنا "يلق أثاماً، يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً" وأنا قد فعلت ذلك كله، فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] =

وإذا وفق للطلب وجد وإذا تجلى ضياء المعرفة الفؤاد هاج ريح المحبة.

وإذا هاج ريح المحبة واستأنس في ظلال المحبوب وآثر المحبوب علىٰ ما سواه وباشر أوامره واجتنب نواهيه واختارهما علىٰ كل شيء غيرهما.

وإذا استقام علىٰ بساط الأُنس بالمحبوب مع أداء أوامره واجتناب معاصيه ونواهيه وصل إلىٰ روح المناجات والقرب.

ومثال الأصول الثلاثة: كالحرم والمسجد والكعبة.

فمن دخل الحرم آمن من الخلق[1]، ومن دخل المسجد آمنت جوارحه يستعملها في المعصية ومن دخل الكعبة آمن قلبه أن يشغله بغير ذكر الله تعالىٰ.

فانظر أيها المؤمن فإن كانت حالتك حالة ترضيها لحلول الموت فاشكر الله تعالىٰ علىٰ توفيقه وعصمته[2].

= فقال وحشي هذا شرط شديد، فلعلي لا أقدر علىٰ هذا، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] فقال وحشي: أراني في شبهة فلا أدري يغفر لي أم لا، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] فقال وحشي: نعم هذه، فجاء فأسلم. فقال المسلمون: هذه به خاصة أم للمسلمين عامة؟ قلت: سيأتي الجواب.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٦٩، ٣٧٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ . . . الآية.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران: ٩٧] يعني حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية كما قال الحسن البصري وغيره: كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمي عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران: ٩٧] قال: من عاذ بالبيت أعاذه البيت ولكن لا يؤوي ولا يطعم ولا يسقى فإذا خرج أخذ بذنبه وقال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٦٧] الآية وقال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ٤﴾ وحتى إنه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها وتنفيره عن أوكاره وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها كما ثبتت الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة «**لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا**».

تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٤)

(٢) أجمع العلماء علىٰ أن تلقين الميت لا إله إلَّا الله لحديث «**لقنوا موتاكم لا إله إلَّا الله**». =

وإن كانت أخرى فانتقل عنها بصحيح العزيمة والندم علىٰ ما قد سلف من عمرك الغفلة واستعن بالله تعالىٰ علىٰ تطهير الظاهر من الذنوب وتنظيفك الباطن من العيوب واقطع رباط الغفلة عن قلبك واطف نار الشهوة من نفسك.

الباب الثاني
في الأحكام

قال الصادق رضي الله عنه: إعراب القلوب علىٰ أربعة أنواع: رفع، وفتح، وخفض، ووقف. فرفع القلب في ذكر الله تعالىٰ[1].

= وكرهوا الإكثار عليه والموالاة لئلا يضجر يضيق حاله وشدة كربه فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلَّا أن يتكلم بعده بكلام آخر فيعاد التعريض به ليكون آخر كلامه ويتضمن الحديث الحضور عند المحتضر لتذكيره وتأنيسه وإغماض عينيه والقيام بحقوقه وهذا مجمع عليه . قوله ﷺ: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله ﷻ إنا لله وإنا إليه راجعون**» فيه فضيلة هذا القول وفيه دليل للمذهب المختار في الأصول أن المندوب مأمور به لأنه ﷺ مأمور به مع أن الآية الكريمة تقتضي ندبه وإجماع المسلمين منعقد عليه . قوله ﷺ: «**أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها**» قال القاضي: أجرني بالقصر والمد حكاهما صاحب الأفعال وقال الأصمعي وأكثر أهل اللغة: هو مقصور لا يمد ومعنى أجره الله أعطاه أجره وجزاء صبره وهمه في مصيبته وقوله ﷺ: «**وأخلف لي**» هو بقطع الهمزة وكسر اللام قال أهل اللغة: يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصول مثله أخلف الله عليك أي رد مثله فإن ذهب ما لا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لا جد له ولا والد له قيل: خلف الله عليك بغير ألف أي كان الله خليفة منه عليك.

شرح مسلم (٦/ ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦) طبعة دار الكتب العلمية

(١) في حديث: «**إن لله تبارك وتعالىٰ ملائكة سيارة فضلاً يبتغون مجالس الذكر**» . . الحديث بقوله في مسلم (٢٥) كتاب الذكر والدعاء، عن أبي هريرة قال النووي: في هذا الحديث فضيلة الذكر وفضيلة مجالسة والجلوس مع أهله وإن لم يشاركهم وفضل مجالسة الصالحين وبركتهم والله أعلم . قال القاضي عياض رحمه الله: وذكره الله تعالىٰ ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان: أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالىٰ وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في مساواته وأرضه ومنه الحديث خير الذكر الخفي والمراد به هذا . والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه وما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث . قال: وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل . قال القاضي: والخلاف عندي إنما يتصور في مجرد ذكر القلب تسبيحاً وتهليلاً وشبههما وعليه يدل كلامهم.

شرح مسلم (١٧/ ١٤) طبعة دار الكتب العلمية

وفتح القلب في الرضا عن الله تعالىٰ وخفض القلب الاشتغال بغير الله ووقف القلب في الغفلة عن الله.

ألا ترى أن العبد إذا ذكر الله بالتعظيم خالصًا ارتفع كل حجاب كان بينه وبين الله تعالىٰ من ذلك.

فإذا انقاد القلب لمورد قضاء الله تعالىٰ[١] بشرط الرضا عنه كيف ينفتح بالسرور والروح والراحة.

وإذا اشتغل القلب بشيء من أمور الدنيا وأسبابها كيف تجد ماذا ذكر الله بعد ذلك وأناب منخفضًا مظلمًا كبيت خراب خلو ليس عمران ولا مؤنس.

وإذا غفل عن ذكر الله تعالىٰ كيف تراه بعد ذلك[٢] موقوفًا محجوبًا قد قسى وأظلم منذ فارق نور التعظيم.

---

(١) اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالىٰ قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالىٰ وعلىٰ صفات مخصوصة فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها سبحانه وتعالىٰ أنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالىٰ لم يقدرها ولم يتقدم عليه سبحانه وتعالىٰ بها وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر . قال الخطابي: وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالىٰ العبد وقهره علىٰ قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالىٰ بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها . قال: والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر يقال: قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي خلقهن قلت وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف علىٰ إثبات قدر الله سبحانه وتعالىٰ.

شرح مسلم (١/١٣٨، ١٣٩) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم رؤية الله تعالىٰ ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا أيضاً علىٰ وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالىٰ دون الكافرين وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالىٰ لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة علىٰ إثبات رؤية الله تعالىٰ في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وهي مستقصاة في كتب الكلام وليس بنا ضرورة إلىٰ ذكرها هنا وأما رؤية الله تعالىٰ في الدنيا فقط قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم=

فعلامة الرفع ثلاثة أشياء: وجوه الموافقة والمخالفة ودوام الشوق.

وعلامة الفتح ثلاثة أشياء التوكل والصدق واليقين.

وعلامة الخفض ثلاثة أشياء: العجب والرياء والحرص.

وعلامة الوقف ثلاثة أشياء: زوال حلاوة الطاعة وعدم مرارة المعصية والتباس العلم الحلال والحرام.

الباب الثالث

في الرعاية

قال الصادق رضي الله عنه: من رعى قلبه عن الغفلة، ونفسه عن الشهوة وعقله[١] عن الجهل، فقد دخل في ديوان المتنبهين.

ثم من رعى علمه عن الهوى، ودينه عن البدعة، وماله عن الحرام فهو من جملة الصالحين[٢].

قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة**»[٣].

وهو علم الأنفس.

= أنها لا تقع في الدنيا وحكم الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري أحدهما وقوعها والثاني لا تقع.
شرح مسلم (٣/ ١٤، ١٥) طبعة دار الكتب العلمية

(١) جميع الأنبياء يعطون للعقل قيمته بيد أنهم يجعلونه في منزلة تالية للموحي، أما الفلاسفة فإنهم علىٰ النقيض من ذلك فغالبيتهم تؤمن بالعقل بالدرجة الأولى حتى فلاسفة المدرسة الفلسفية في الفكر الإسلامي ومعارف الوحي غير تالية له فينكرها أي بعض الفلاسفة يثبت الوحي وبعضهم لا يثبته فالفلسفة تحمل في نفسها هذه الآراء المتناقضة في الموضوع الواحد والنبوة منحة إلهية لا يمنح إياها إلَّا من كان ذا عقل فريد أي أن النبي مفكر وعاقل ويعترف بالعقل غير أنه لا يعترف أنه مصدر الوحي.

(٢) اعلم أن من أعظم فرائض الله سبحانه ترك معاصيه التي هي حدوده التي من تعداها كان عليه من العقوبة ما ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز . ولا خلاف أن الله افترض علىٰ العباد ترك كل معصية كائنة ما كانت فكان ترك المعاصي في هذه الحيثية داخلًا تحت عموم قوله: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه**» بل دخول فرائض الترك للمعاصي أولى من دخول فرائض الطاعات كما يدل عليه حديث: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فلا تقربوه**».
قطر الولي علىٰ حديث الولي (١٩١، ١٩٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

فيجب أن تكون نفس المؤمن علىٰ كل حال في شكر أو عذر علىٰ معنى إن قبل ففضل وإن رد فعدل.

وتطالع الحركات في الطاعات بالتوفيق[١] وتطالع السكون عن المعاصي بالعصمة وقوام ذلك كله بالافتقار إلىٰ الله تعالىٰ والاضطرار والخشوع والخضوع ومفاتحها الإنابة إلىٰ الله تعالىٰ مع قصر الأمل بدوام ذكر الموت[٢].

وعيان الوقوف بين يدي الجبار.

لأن ذلك راحة من الحبس ونجاة من العدو، وسلامة النفس.

وسبب الإخلاص في الطاعات التوفيق وأصل ذلك.

أن يرد العمر إلىٰ يوم واحد قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا ساعة فاجعلها طاعة**»[٣].

وباب ذلك كله ملازمة الخلوة بمداومة الفكر.

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١٨٦ ـ (١١٨)] كتاب الإيمان، ٥١ - باب الحث علىٰ المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**».

وقال النووي: معنى الحديث الحث علىٰ المبادرة إلىٰ الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف رسول الله ﷺ نوعاً من شدائد تلك الفتن وهو أنه يسمى مؤمنًا ثم يصبح كافرًا أو عكسه، شك الراوي وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (٢/ ١١٤، ١١٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام سأل ملك الموت عليه الصلاة والسلام بقبض روح المؤمن؟ فقال له: اصرف وجهك عني، فصرف وجهه عنه ثم نظر إليه فرآه في صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشر فقال له: والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئا سوى وجهك كفاه ثم قال له: أرني كيف تقبض روح الكافر؟ فقال: لا تطيق ذلك، قال: اصرف وجهك عني فصرف وجهه عنه، ثم نظر إليه فإذا هو صورة إنسان رجلاه في الأرض ورأسه في السماء كأقبح ما رأى من الصور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار فقال له: والله لو لم يلق الكافر سوى نظره إلىٰ شخصك لكفاه.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٤٦٩، ٤٧٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٠٠)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (١٩٩)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٧٩).

وسبب الخلوة القناعة وترك الفضول من المعاش، وسبب الفكر الفراغ[١].

وعماد الفراغ الزهد، وتمام الزهد التقوى وباب التقوى الخشية، ودليل الخشية التعظيم لله تعالى، والتمسك بخالص طاعة في أوامره، والخوف والحذر[٢] مع الوقوف عن محارمه.

ودليلها العلم، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨][٣].

الباب الرابع
في النية[٤]

قال الصادق رضي الله عنه: صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم، لأن سلامة القلب

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٦٤١٢) حديث «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**».

(٢) روى الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ قال: كانت امرأة بغي في زمن بني إسرائيل لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلَّا بمائة دينار وإنه أبصرها عابد فأعجبته فذهب يعمل بيده وعالج حتى جمع مائة دينار ثم جاء إليها وقال إنك أعجبتيني فانطلقت فعملت بيدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت له: ادخل وكان لها سريرًا من ذهب فجلست علىٰ سريرها ثم قالت: هلم فلم جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذكر مقامه بين يدي الله تعالىٰ فأخذته رعدة فقال لها: اتركيني أخرج ولك المائة دينار فقالت ما بدا لك وقد زعمت أني أعجبتك فلم قدمت علىٰ فعلك الذي فعلت فقال: فرقًا من الله ومن مقامي بين يديه وقد بغضك الله إلي فأنت أبغض الناس إلي قالت: إن كنت صادقاً فما لي زوج غيرك فقال: دعيني أخرج قالت: لا إلَّا أن تجعل لي أنك تتزوج بي قال: فلعل تقنع بتوبة وخرج إلىٰ بلده فارتحلت نادمة علىٰ ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلت عليه وكانت تعرف بالملكة فقيل له: إن الملكة قد جاءتك فلما رآها شهق شهقة فمات رحمه الله.

حدائق الأولياء (١/ ص١٦٠، ١٦١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) سورة فاطر (٢٨).

(٤) في حديث «**إنما الأعمال بالنيات**» قال النووي: أجمع المسلمون علىٰ عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الإسلام، وقال الشافعي: يدخل في سبعين بابًا من الفقه وقال آخرون: هو ربع الإسلام وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره ينبغي لمن صنف كتابا أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيهًا للطالب علىٰ تصحيح النية ونقل الخطابي هذا عن الأئمة مطلقًا وقد فعل ذلك البخاري وغيره فابتدؤوا به قبل كل شيء وذكره البخاري في سبعة مواضع من كتابه . قال الحفاظ: ولم يضع هذا الحديث عن النبي ﷺ إلَّا من رواية عمر بن الخطاب ولا عن عمر إلَّا من رواية علقمة بن وقاص ولا عن علقمة إلَّا من رواية محمد بن إبراهيم التيمي ولا عن محمد إلَّا من رواية يحيى بن سعيد الأنصاري وعن يحيى انتشر فرواه عنه أكثر من مائتي إنسان أكثرهم أئمة ولهذا قال الأئمة: ليس هو متواترًا وإن كان مشهورًا عند الخاصة والعامة لأنه فقد شرط التواتر في أوله وفيه طرفة من طرف=

من هواجس المحذورات بتخليص النية لله تعالىٰ في الأمور كلها قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1].

وقال النبي ﷺ: «**نية المؤمن خير من عمله**»[2].

وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى**»[3].

فلا بد للعبد من خالص النية كل حركة وسكون.

لأنه إذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلاً والغافلون قد ذمهم الله تعالىٰ فقال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وقال: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[4].

ثم النية تبدو من القلب قدر صفاء المعرفة وتختلف علىٰ حسب اختلاف أوقات، الإيمان في معنى قوته وضعفه[5] وصاحب النية الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان تحت

= الإسناد فإنه رواه ثلاثة تابعيون بعضهم عن بعض يحيى ومحمد وعلقمة.
شرح مسلم (١٣/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية

(١) سورة الشعراء (٨٨، ٨٩).

(٢) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٢٨) والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ١٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٥٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٥٥)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٥٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٣٨).

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه (١) كتاب بدء الوحي، ١ ـ باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ.
ومسلم في صحيحه [١٥٥ ـ (١٩٠٧)] كتاب الإمارة ٤٥ ـ باب قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية**».
وأبو داود (٢٢٠١)، والترمذي (١٦٤٧)، والنسائي في الطهارة ب (٥٩)، وابن ماجه (٤٢٢٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١).

(٤) سورة الأعراف (١٧٩).

(٥) قال الإمام أبو الحسن علي بن خلف بن طالب المالكي في شرح صحيح البخاري: مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والحجة علىٰ زيادته ونقصانه ما أورده البخاري في الآيات في قوله عز وجل: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] وقوله تعالىٰ: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١] وقوله تعالىٰ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].
شرح مسلم (١/ ١٣١) طبعة دار الكتب العلمية

سلطان تعظيم الله تعالى، والحياء منه.

وهو من طبعه وشهوته ومنية نفسه في تعب.

والناس منه في راحة.

الباب الخامس
في الذكر[١]

قال الصادق رضي الله عنه: من كان ذاكرًا لله تعالىٰ علىٰ الحقيقة فهو مطيع.

ومن كان غافلاً عنه فهو عاص.

والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة.

وأصلهما الذكر والغفلة.

فاجعل قلبك[٢] قبلة للسانك لا تحركه إلَّا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضى الإيمان.

---

(١) وصف الله تعالىٰ أولي الألباب فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عِمرَان: ١٩١] كما ثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ قال: «**صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب**» أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وألسنتهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عِمرَان: ١٩١] أي يفهمون ما فيها من الحكم الدالة علىٰ عظمة الخالق وقدرته وحكمته واختياره ورحمته . وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري علىٰ شيء إلَّا رأيت الله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة.

تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٨)

(٢) روى البخاري في صحيحه (٥٢)، ومسلم في صحيحه (١٠٧) كتاب المساقاة من حديث النعمان بن بشير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات** . .» وفي آخره: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

قال النووي: قال أهل اللغة يقال صلح الشيء وفسد بفتح اللام والسين وضمهما والفتح أفصح وأشهر والمضغة القطعة من اللحم سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها قالوا: المراد تصغير القلب بالنسبة إلىٰ باقي الجسد مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب وفي هذا الحديث التأكيد علىٰ السعي في صلاح القلب وحمايته عن الفساد واحتج بهذا الحديث علىٰ أن العقل في القلب لا في الرأس وفيه خلاف مشهور مذهب أصحابنا وجماهير المتكلمين أنه في القلب وقال أبو حنيفة: هو في الدماغ وقد يقال في الرأس وحكوا الأول أيضًا عن الفلاسفة والثاني عن الأطباء . قال المازري: واحتج القائلون بأنه في القلب بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحَج: ٤٦] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: ٣٧] .

شرح مسلم (١١/ ٢٤)

فإن الله تعالىٰ عالم بسرّك وجهرك. وكن كالنازع روحه كالواقف في العرض الأكبر غير شاغل نفسك عما عناك بما كلفك به ربك في أمره ونهيه ووعده ووعيده.

ولا تشغلها بدون ما كلف به ربك.

واغسل قلبك بماء الحزن والخوف.

واجعل ذكر الله تعالىٰ من أجل ذكره إياك[١] فإنه ذكرك وهو غني عنك.

فذكره لك أجل وأشهى وأثنى وأتم من ذكرك وأسبق.

ومعرفتك بذكره لك تورثك الخضوع والاستحياء والانكسار.

ويتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق وتصغر عند ذلك طاعتك وإن كثرت في جنب منته وتخلص لوجهه.

ورؤيتك ذكرك له تورثك الرياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه.

وهو استكثار الطاعة[٢] ونسيان فضله وكرمه ولا تزداد بذلك إلَّا بعدًا، ولا تستجلب به

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة، ١ ـ باب الحث علىٰ ذكر الله تعالى، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم**» . . . الحديث.

قال النووي: قوله تعالىٰ: «**وأنا معه حين يذكرني**» أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فمعناه بالعلم والإحاطة.

قوله تعالىٰ: «**إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**» . قال المازري: النفس تطلق في اللغة علىٰ معان منها الدم ومنها نفس الحيوان وهما مستحيلان في حق الله تعالىٰ ومنها الذات والله تعالىٰ له ذات حقيقة وهو المراد بقوله تعالىٰ في نفسي ومنها الغيب وهو أحد الأقوال في قوله تعالىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي ما في غيبي فيجوز أن يكون أيضًا مراد الحديث أي إذا ذكرني خاليًا أثابه الله وجازاه عما عمل بما لا يطلع عليه أحد.

شرح مسلم (١٧/ ٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) حديث مسلم المتقدم قبل هذا وفي آخره: «**وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**».

قال النووي: هذا الحديث من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره ومعناه من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة وإن زاد زدت فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة=

علىٰ معنى الأيام إلَّا وحشة والذكر ذكران: ذكر خالص بموافقة القلب[١]، وذكر صادف لك بنفي ذكر غيره كما قال رسول الله ﷺ: «**أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**»[٢].

فرسول الله ﷺ لم يجعل لذكر الله تعالىٰ مقدارًا عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله ﷻ من قبل ذكره له ومن دونه أولى.

فمن أراد أن يذكر الله تعالىٰ فليعلم أنه ما لم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره لا يقدر العبد علىٰ ذكره.

الباب السادس
في الشكر[٣]

قال الصادق رضي الله عنه: في كل نفس من أنفاسك شكر لازم لك، بل ألف أو أكثر.

= أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلىٰ المشي الكثير في الوصول إلىٰ المقصود والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه علىٰ حسب تقربه.

شرح مسلم (١٧/ ٤) طبعة دار الكتب العلمية

(١) قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ...﴾ [الحج: ٤٦] الآية.

أي فيعتبرون بها ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي ليس العمى عمى البصيرة إن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلىٰ العبر ولا تدري ما الخبر وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان الأندلسي التستري وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة.

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٤)

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه [٢٢٢ ـ (٤٨٦)] كتاب الصلاة، ٤٢ ـ باب ما يقال في الركوع والسجود، وأبو داود في سننه (٨٧٩) كتاب الصلاة، باب في الدعاء في الركوع والسجود، والترمذي (٣٤٩٣) ٤٩ ـ كتاب الدعوات . والنسائي (٢/ ٢٢٥ ـ المجتبي).

قال النووي: قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالىٰ في هذا معنى لطيف وذلك أنه استعاذ بالله تعالىٰ وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضا والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلىٰ ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالىٰ استعاذ به منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه . وقوله: لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا أتي عليه وقيل لا أحيط به . وقال مالك رحمه الله تعالىٰ: معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك.

شرح مسلم (٤/ ١٧١) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر علىٰ قولين والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون علىٰ الصفات اللازمة والمتعدية تقول: حمدته لفروسيته وحمدته=

وأدنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالىٰ من غير علة يتعلق القلب بها دون الله ﷻ. والرضا بما أعطى، وأن لا تعصيه بنعمته، وتخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته. فكن لله عبدًا شاكرًا علىٰ كل حال تجد الله ربًا كريمًا[1] علىٰ كل حال.

ولو كان عند الله تعالىٰ عبادة تعبد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر علىٰ كُلٍّ لأطلق لفظه فيهم من جميع الخلق بها.

فلما لم يكن أفضل منها خصها من بين العبادات، وخصّ أربابها فقال ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: ١٣][2].

= لكرمه وهو أخص لأنه لا يكون إلَّا بالقول والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لأنه لا يكون إلَّا علىٰ الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته وتقول شكرته علىٰ كرمه وإحسانه إلىٰ هذا حاصله ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم. وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الحمد نقيض الذم تقول حمدت الرجل أحمده حمدًا ومحمدة فهو حميد ومحمود والتحميد أبلغ من الحمد والحمد أعم من الشكر وقال في الشكر هو الثناء علىٰ المحسن بما أولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام أفصح وأما المدح فهو أعم من الحمد لأنه يكون للحي وللميت وللجماد أيضًا كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الإحسان وبعده وعلىٰ الصفات المتعدية اللازمة أيضًا فهو أعم.

تفسير ابن كثير (١/ ص٢٢)

(١) الكريم هو الرفيع القدر الكبير الشأن ومنه ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٣١].

وهذا كرم الذات وبمعنى الموصوف بالصفات الجليلة ومنه قولهم: كريم الطباع أي جليلها وأكرم الصفات وكرم هذه الأفعال البداية بالنوال قبل السؤال الإعطاء بلا حدود ولا زوال وهو تعالىٰ كريم ذاتًا ووصفًا وفعلًا وقال بعض المشايخ: الكريم بمعنى الكرم وهو اكتفاء واكتفى بمعنى يستكفي به من جهات المطالب وأنواع البر، انتهى، فتأمله.

شرح أسماء الله الحسنى ص٩٥، ٩٦ من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة سبأ (١٣).

قال زروق في شرح أسماء الله الحسنى: من عرف أنه الشكور والشاكر لنعمته وآثر طاعته وطلب رحمته وشهد منته فكان به وله والتعرب بهذا الإسم: من جهة التعلق: أن لا تعامل سواه، ولا تشكر إلَّا إياه.

ومن جهة التخلق: أن تكون شاكرًا لما يجري لك منه تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يرضاه لك وشاكرًا لما يرجى علىٰ أيدي العباد بأن تعظم اليسير وتجازي عليه بالكثير ثم حقيقة الشكر في حقنا فرح القلب بالمنعم لأجل نعمة حتى يتعدى ذلك إلىٰ الجوارح، فتقوم بالخدمة علىٰ بساط الحرمة ويظهر ذلك أن لا يعصي الله تعالىٰ بنعمة كما قال الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم هو مظهر طريق القصد، والمنهج الأهم الذي فيه الراحة والنجاة والعافية واعتبر ذلك بما في القرآن من ذكره إذ جعل وصفا لكل كامل كإبراهيم ونوح وأكابر المؤمنين وقال الشيطان عند طرده: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] وقال سبحانه وتعالىٰ: =

وتمام الشكر الاعتراف بلسان العز خالصًا لله ﷻ بالعجز عن بلوغ أدنى شكره لأن التوفيق في الشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها.

وهي أعظم قدراً وأعز وجودًا من النعمة التي من أجلها وفق له.

فيلزمك كل شكر شكرًا أعظم منه إلىٰ ما لا نهاية له مستغرقًا في نعمه عاجزًا قاصرًا عن درك غاية شكره . فأنى يلحق العبد شكر نعمة الله[1].

ومتى يلحق صنيعه بصنيعه، والعبد ضعيف لا قوه له أبدًا إلَّا بالله تعالىٰ ﷻ.

والله تعالىٰ غني عن طاعة العبد، فهو تعالىٰ قوي علىٰ مزيد النعم علىٰ الأبد فكن لله عبدًا شاكرًا علىٰ هذا الوجه ترى العجب.

الباب السابع

في اللباس

قال الصادق رضي الله عنه: زين اللباس للمؤمن التقوى وأنعمه الإيمان.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦][2].

= ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ وما ذاك إلَّا أنه الخروج من الكل والرجوع بالكل لمن له الكل إذ هو ينسب الأمور لباريها ويعامله بما أمره فيها فافهم.

شرح أسماء الله الحسنى (ص٨٦، ٨٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) قال ابن جرير في معنى الحمد لله هو الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم علىٰ عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم من دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلىٰ دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد علىٰ ذلك كله أولا وآخرا وقال ابن جرير رحمه الله: الحمد لله ثناء أثنى به علىٰ نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد لله قال وقد قيل إن قول القائل الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية.

تفسير ابن كثير (١/ ص٢٢)

(٢) الأعراف (٢٦).

وأما اللباس الظاهر فنعمة من الله تعالىٰ تستر بها عورات بني آدم.

هي كرامة أكرم الله بها ذرية آدم ما لم يكرم غيرهم.

وهي للمؤمنين من إله لأداء ما افترض عليهم[١]، وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله ﷻ.

بل يقربك من ذكره وشكره وطاعته ولا يحملك علىٰ العجب والرياء والتزيين والتفاخر والخيلاء[٢]. فإنها من آفات الدين وموروثة القسوة في القلب.

---

(١) قال النووي: لبس الحرير والاستبرق والديباج والقسي وهو نوع من الحرير فكله حرام علىٰ الرجال سواء لبسه للخيلاء أو غيرها إلَّا أن يلبسه للحكة فيجوز في السفر والحضر وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير وجميع أنواعه وخواتيم الذهب وسائر الحلي منه ومن الفضة سواء الممزوجة وغيرها والشابة والعجوز والغنية والفقيرة هذا الذي ذكرناه من تحريم الحرير علىٰ الرجال وإباحته للنساء هو مذهبنا ومذهب الجماهير وحكى القاضي عن قوم إباحته للرجال والنساء وعن ابن الزبير تحريمه عليهما ثم انعقد الإجماع علىٰ إباحته للنساء وتحريمه علىٰ الرجال . وأما الصبيان فقال أصحابنا: يجوز إلباسهم الحلي والحرير يوم العيد لأنه لا تكليف عليهم وفي جواز إلباسهم ذلك في باقي السنة ثلاثة أوجه: أصحها: جوازه، والثاني: تحريمه، والثالث: يحرم بعد سن التمييز.

النووي في شرح مسلم (١٤/٢٩) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى مسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٠٨٥)] في كتاب اللباس والزينة، ٩ ـ باب تحريم جر الثوب خيلاء عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«لا ينظر الله إلىٰ من جر ثوبه خيلاء»**.

قال النووي: قال العلماء: الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام ويقال: خال الرجل خالاً واختال اختيالاً إذا تكبر وهو رجل خال أي متكبر وصاحب خال أي صاحب كبر ومعنى لا ينظر الله إليه أي لا يرحمه ولا ينظر إليه نظر رحمة وأما فقه الأحاديث فقد سبق في كتاب الإيمان واضحًا بفروعه وذكرنا هناك الحديث الصحيح أن الإسبال يكون في الإزار والقميص والعمامة وأن لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء فإن كان لغيرها فهو مكروه، وظواهر الأحاديث في تقييدها بالجر خيلاء تدل علىٰ أن التحريم مخصوص بالخيلاء وهكذا نص الشافعي علىٰ الفرق كما ذكرنا وأجمع العلماء علىٰ جواز الإسبال للنساء وقد صح عن النبي ﷺ الإذن لهن في إرخاء ذيولهن ذراعًا، والله أعلم . وأما القدر المستحب فيما ينزل إليه طرف القميص والإزار فنصف الساقين كما في حديث ابن عمر المذكور، وفي حديث أبي سعيد إزارة المؤمن إلىٰ أنصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما أسفل من ذلك فهو في النار، فالمستحب نصف الساقين والجائز بلا كراهة ما تحته إلىٰ الكعبين فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم وإلا فمنع تنزيه وأما الأحاديث المطلقة بأن ما تحت الكعبين في النار فالمراد بها ما كان للخيلاء لأنه مطلق فوجب حمله علىٰ المقيد، والله أعلم.

النووي في شرح مسلم (١٤/٥٣) طبعة دار الكتب العلمية

فإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك كما ألبست ظاهرك بثوبك.

وليكن باطنك من الصدق في ستر الهيبة.

وظاهرك في ستر الطاعة.

واعتبر بفضل الله ﷻ حيث خلق أسباب اللباس ليستر العورات الظاهرة وفتح أبواب التوبة والإنابة والإغاثة ليستر بها العورات الباطنة من الذنوب[1] وأخلاق السوء ولا تفضح أحدًا حيث ستر الله عليك ما أعظم منه.

واشتغل بعيب نفسك واصفح عما لا يعنيك حاله وأمره.

واحذر أن يفنى عمرك بعمل غيرك ويتجر برأس مالك غيرك فتهلك نفسك فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالىٰ في العاجل.

وأوفر أسباب العقوبة في الآجل.

ومادام العبد مشتغلاً بطاعة الله تعالىٰ ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله ﷻ

---

(١) ساق ابن القيم في كتابه الداء والدواء أضرارًا كثيره للذنوب منها:

حرمان العلم، والوحشة في القلب، وتعسير الأمور ووهن الدين وحرمان الطاعة ومحق البركة وقلة التوفيق وضيق الصدر وتولد السيئات واعتياد الذنوب وهو أن المذنب علىٰ الله وهوانه علىٰ الناس ولعنة البهائم له ولباس الذل والطبع علىٰ القلب، والدخول تحت اللعنة ومنع إجابة الدعاء والفساد في البر والبحر، وانعدام الغيرة وذهاب الحياء وزوال النعم ونزول النقم والرعب في قلب العاصي، والوقوع في أسر الشيطان وسوء الخاتمة وعذاب الآخرة. وهذه المعرفة من العبد لأضرار الذنوب تجعله يبتعد عن الذنوب بالكلية فإن بعض الناس قد يعدل عن معصية إلىٰ معصية أخرى لأسباب منها:

١ ـ أن يعتقد أن وزرها أخف.

٢ ـ لأن النفس تميل إليها أكثر والشهوة فيها أقوى.

٣ ـ لأن ظروف هذه المعصية مسيرة أكثر من غيرها، بخلاف المعصية التي تحتاج إلىٰ إعداد وتجهيز، أسبابها ليست حاضرة متوافرة.

٤ ـ لأن قرناءه وخلطاءه مقيمون علىٰ هذه المعصية ويصعب عليه أن يفارقهم.

٥ ـ لأن الشخص قد تجعل له المعصية المعينة جاهاً ومكانة بين أصحابه فيعز عليه أن يفقد هذه المكانة فيستمر في المعصية.

فهو بمعزل عن الآفات غائص في بحر رحمة الله تعالىٰ[١] يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسيًا لذنوبه جاهلاً لعيوبه راجعًا إلىٰ حوله وقوته لا يفلح إذًا أبدًا.

الباب الثامن

في السواك

قال الصادق رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**السواك مطهر للفم مرضات للرب**»[٢].

وجعلها من السنن المؤكدة.

وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل.

فكما تزيل التلوث من أسنانك مأكلك ومطعمك بالسواك[٣].

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٧٥٢)] كتاب التوبة، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا . . . . الحديث**».
قال النووي: "هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية علىٰ الأكدار الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالىٰ به فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء والله أعلم.
النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٧) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٣/ ٤٠)، والنسائي (١/ ١٠ ـ المجتبي)، وابن ماجة في سننه (٢٨٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٣، ١٠)، والدارمي في سننه (١/ ١٧٤)، وابن خزيمة في صحيحه (١٣٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢١٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٢٠)، والحميدي في مسنده (١٦٢)، وابن أبي شيبه في مصنفه (١/ ١٦٩، ١٩٩)، وابن حبان في صحيحه (١٤٣ ـ الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٦٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٣٤، ٦٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨١).

(٣) قال أهل اللغة: السواك بكسر السين وهو يطلق علىٰ الفعل وعلىٰ العود: الذي يتسوك به وهو مذكر، قال الليث وتؤنثه العرب أيضاً قال الأزهري: هذا من عدد الليث أي من أغاليطه القبيحة وذكر صاحب المحكم أنه يؤنث ويُذكر والسواك فعلك بالسواك ويقال ساك فمه يسوكه سوكاً فإن قلت استاك لم يذكر الفم وجمع السواك سوك بضمتين ككتاب وكتب وذكر صاحب المحكم أنه يجوز أيضاً سؤك بالهمز ثم قيل إن السواك مأخوذ من ساك إذا دلك وقيل من جاءت الإبل تساوك أي تتمايل هزالاً وهو في اصطلاح العلماء استعمال عودًا ونحوه في الأسنان لتذهب الصفرة وغيرها عنها والله أعلم =

كذلك نازل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالأسحار وطهر ظاهرك من النجاسات وباطنك من كدورات المخالفات وركوب المناهي كلها خالصاً لله.

فإن النبي ﷺ ضرب باستعمالها مثلا لأهل التنبه واليقظة[١].

وهو أن السواك نبات لطيف نظيف، وغصن شجر مبارك.

والأسنان خلق خلقه تعالىٰ في الفم آلة للأكل وأداة للمضغ وسبباً لاشتهاء الطعام وإصلاح المعدة.

وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبته تمضيغ الطعام.

وتتغير بها رائحة الفم، ويتولد منها الفساد في الدماغ.

فإذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ومسحها على الجوهرة الصافية أزال عنها الفساد والتغيّر[٢]. وعادت إلىٰ أصلها.

= ثم إن السواك سنة ليس بواجب في حال من الأحوال لا في الصلاة ولا في غيرها بإجماع وقد حكى الشيخ أبو حامد الاسفرايني إمام أصحابنا العراقيين عن داود الظاهري أنه أوجبه للصلاة وحكاه الماوردي عن دواد وقال هو عنده واجب لو تركه لم تبطل صلاته وحكى عن إسحاق بن راهويه أنه قال: هو واجب فإن تركه عمداً بطلت صلاته وقد أنكر أصحابنا المتأخرون علىٰ الشيخ أبي حامد وغيره نقل الوجوب عن داود وقالوا مذهبه أنه سعة كالجماعة ولو صح إيجابه عن داود لم تضر مخالفته في انعقاد الإجماع علىٰ المختار الذي عليه المحققون والأكثرون وأما إسحاق فلم يصح هذا المحكي عنه والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (٣/ ١٢٢) طبعة دار الكتب العلمية

(١) روى مسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٥٢)] كتاب الطهارة، باب السواك، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لولا أن أشق علىٰ المؤمنين** ـ أو علىٰ أمتي ـ **لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**».

قال النووي: فيه دليل علىٰ أن السواك ليس بواجب، قال الشافعي رحمه الله: لو كان واجباً لأمرهم به شق أو لم يشق قال جماعات من العلماء من الطوائف فيه دليل علىٰ أن الأمر للوجوب وهو مذهب أكثر الفقهاء وجماعات من المتكلمين وأصحاب الأصول قالوا وجه الدلالة أنه مسنون بالإتفاق فدل علىٰ أن المتروك إيجابه وهذا الاستدلال يحتاج في تمامه إلىٰ دليل علىٰ أن السواك كان مسنونًا حالة قوله ﷺ: «**لولا أن أشق علىٰ أمتي لأمرتهم**» وقال جماعة أيضاً: فيه دليل علىٰ أن المندوب ليس مأموراً به وهذا فيه خلاف لأصحاب الأصول ويقال في هذا الاستدلال ما قدمناه في الاستدلال علىٰ الوجوب والله أعلم . وفيه دليل علىٰ جواز الاجتهاد للنبي ﷺ فيما لم يرد فيه نص من الله تعالىٰ وهذا مذهب أكثر الفقهاء وأصحاب الأصول وهو الصحيح المختار.

شرح مسلم للنووي (٣/ ١٢٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) السواك مستحب في جميع الأوقات ولكن في خمسة أوقات أشد استحباباً أحدها: عند الصلاة سواء=

كذلك خلق الله القلب طاهرًا صافيًا وجعل غذائه الذكر والفكر والهيبة والتعظيم وإذا شيب القلب الصافي بتغذيته بالغفلة والكدر.

صقل بمصلقة التوبة ونظفت بماء الإنابة ليعود حالته الأولى وجوهره الأصلية.

قال الله تبارك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرة: ٢٢٢][(١)].

قال النبي ﷺ: «**وعليكم بالسواك**»[(٢)].

= كان متطهراً بماء أو بتراب أو غير متطهر كمن لم يجد ماء ولا ترابًا الثاني عند الوضوء الثالث عند قراءة القرآن الرابع عند الاستيقاظ من النوم الخامس عند تغير الفم وتغيره يكون بأشياء منها ترك الأكل والشرب ومنها أكل ماله رائحة كريهة ومنها طول السكوت ومنها كثرة الكلام ومذهب الشافعي أن السواك يكره للصائم بعد زوال الشمس لئلا يزيل رائحة الخلوف المستحبة ويستحب أن يستاك بعود من أراك وبأي شيء استاك مما يزيل التغير حصل السواك كالخرقة الخشنة والسعد والأشنان وأما الأصبع فإن كانت لينة لم يحصل بها السواك وإن كانت خشنة ففيها ثلاثة أوجه لأصحابنا المشهور لا تجزي والثاني تجزي والثالث تجزي إن لم يجد غيرها ولا تجزي إن وجد المستحب أن يستاك بعود متوسط لا شديد اليبس يجرح ولا رطب لا يزيل.

شرح مسلم للنووي (٣/ ١٢٢) طبعة دار الكتب العلمية

(١) سورة البقرة (٢٢٢).

نزلت فيمن يأتوا النساء وهم في الحيض فنهى الله عن ذلك وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

فيه ندب وإرشاد إلىٰ غشيانهن بعد الاغتسال وذهب ابن حزم إلىٰ وجوب الجماع بعد كل حيضة لقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وليس له في ذلك مستند لأن هذا أمر بعد الحظر وفيه أقوال لعلماء الأصول منهم من يقول إنه علىٰ الوجوب كالمطلق وهؤلاء يحتاجون إلىٰ جواب ابن حزم ومنهم من يقول إنها للإباحة ويجعلون تقدم النهي قرينة صارفة له عن الوجوب وفيه نظر والذي ينهض عليه الدليل أنه يرد عليه الحكم إلىٰ ما كان عليه الأمر قبل النهي فإن كان واجبًا فواجب كقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] أو مباحا فمباح كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة: ٢].

تفسير ابن كثير (١/ ٢٦٠)

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ١٠٨)، وابن حبان في صحيحه (١٤٤ ـ الموارد) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٩٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٢٠، ٢٢١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٣، ١١٤)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٦٧، ٣٤٩، ٣٥١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٣٢).

فإن النبي ﷺ أمر بالسواك في ظاهر الأسنان وأراد هذا المعنى والمثل، ومن أناخ تفكره علىٰ باب عتبة العبرة في استخراج مثل هذه الأمثال في الأصل والفرع فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضله.

والله لا يضيع أجر المحسنين.

الباب التاسع
في التبرز

قال الصادق رضي الله عنه: إنما سمي المستراح مستراحاً لاستراحة الأنفس من أثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها[١].

والمؤمن يعتبر عندها أن الخالص من الطعام والحطام الدنيا.

كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها وبتركها، ويفرغ نفسه وقلبه من شغل ويستنكف عن جمعها وأخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ويتفكر في نفس المكرمة في حال كيف تصير ذليلاً ويعلم أن التمسك بالقناعة والتقوى يورث راحة الدارين.

فإن الراحة من هوان الدنيا والفراغ من التمتع بها وفي إزالة النجاسة[٢] من الحرام

---

(١) يجب عند الاستنجاء الاستبراء وهو إخراج ما بقي في المخرج من بول أو غائط حتى يغلب علىٰ الظن أنه لم يبق في المحل شيء وقد اعتاد بعض الناس أن ينزل منه البول بعد أن يمشي أو يقوم أو يأتي حركة من الحركات المعتادة له فالذي يريد الاستنجاء يلزمه الاستبراء بحيث لا يجوز له أن يتوضأ وهو يشك في انقطاع بوله فإنه إذا توضأ في هذه الحالة ونزلت منه قطرة بول لم ينفع وضوءه فواجبه أن يخرج ما عساه أن يكون موجوداً حتى يغلب علىٰ ظنه أنه لم يبق في المحل شيء وهذا واجب باتفاق فلم يختلف فيه أحد إلَّا أن بعضهم قال: إن الاستبراء لا يجب إلَّا إذا غلب علىٰ الظن أن بالمحل شيء وبعضهم قال: إن الاستبراء واجب حتى يغلب علىٰ الظن أنه لم يبق بالمحل شيء والأمر في ذلك هين.

الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٧٩، ٨٠)

(٢) قال المالكية: الأصل في الاستنجاء ونحوه أن يكون مندوبًا فيندب لقاضي الحاجة أن يزيل ما علىٰ المخرج بماء أو حجر إلَّا أنهم قالوا: تجب إزالته بالماء في أمور: منها من بول المرأة سواء كانت بكرًا أو ثيبًا فيجب عليها أن تغسل كل ما ظهر من فرجها حال جلوسها سواء تعدى المحل الخارج منه إلىٰ جهة المقعد أو لا إلَّا أنه إن تعدى المحل وأصبح ذلك لازمًا بحيث يأتي كل يوم مرة فأكثر فإنه يكون سلساً يعفى عنه ومنها أن ينتشر الخارج علىٰ المحل انتشارًا كثيرًا بحيث يزيد علىٰ ما جرت العادة بتلويثه كأن يصل الغائط إلىٰ الإلية ويعم البول معظم الحشفة وفي هذه الحالة يجب غسل الكل بالماء بحيث لا يصح الاقتصار علىٰ غسل ما جاوز المعتاد ومنها المذي إذا خرج بلذة معتادة، ويجب=

والشبهة فينطق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء ويجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب الزلفى، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات إلىٰ أن يتصل بأمان الله تعالىٰ في دار القرار ويذوق طعم رضاه.

فإن المعول ذلك وما عداه فلا شيء.

الباب العاشر
في الطهارة[١]

قال الصادق رضي الله عنه: إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك إلىٰ رحمة الله تعالىٰ.

فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلاً إلى بساط خدمته.

وكما أن رحمة الله تطهر ذنوب العباد، كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَىۡءٍ حَىٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠][٣]، فكما

= عندهم غسل الذكر كله بنية علىٰ المعتمد فإذا غسله كله من غير نية وصلى فصلاته صحيحة علىٰ المعتمد وإذا غسل بعضه بنية وصلى فصلاته صحيحه علىٰ المعتمد وإذا غسل بعضه بنية وصلى فبعضهم يقول: تصح وبعضهم يقول: لا، ومنها المني في الحالة التي لا يجب فيها الغسل من الجنابة.

الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٧٨)

(١) قال جمهور أهل اللغة: يقال الوضوء والطهور بضم أولهما إذا أريد به الفعل الذي هو المصدر ويقال: الوضوء والطهور بفتح أولهما إذا أريد به الماء الذي يتطهر به، هكذا نقله ابن الأنباري وجماعات من أهل اللغة وغيرهم عن أكثر أهل اللغة وذهب الخليل والأصمعي وأبو حاتم السجستاني والأزهري وجماعة إلىٰ أنه بالفتح فيهما قال صاحب المطالع وحكى الضم فيهما جميعا: وأصل الوضوء من الوضاءة وهي الحسن والنظافة وسمي وضوء الصلاة وضوءًا لأنه ينظف المتوضئ ويحسنه وكذلك الطهارة أصلها النظافة والتنزه وأما الغسل فإذا أريد به الماء فهو مضموم الغين وإذا أريد به المصدر فيجوز بضم الغين وفتحها لغتان مشهورتان وبعضهم يقول: إن كان مصدر الغسلات فهو بالفتح كضربت ضربًا وإن كان بمعنى الاغتسال فهو بالضم كقولنا: غسل الجمعة مسنون وكذلك الغسل من الجنابة واجب وما أشبهه.

شرح مسلم للنووي (٣/ ٨٤) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة الفرقان (٤٨).

(٣) سورة الأنبياء (٣٠). =

أحيا به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك برحمته وفضله جعل حياة القلب والطاعات والتفكر في صفاء الماء ورقته وطهره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وتعبدك بأدائها في فرائضه وسننه فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة، فإذا استعملها بالحرمة انفجرت لك عيون فوائده عن قريب ثم عاشر خلق كامتزاج الماء بالأشياء يؤدي كل شيء حقه ولا يتغير معناه معبراً لقول الرسول ﷺ: «**مثل المؤمن المخلص كمثل الماء**»[1].

ولتكن صفوتك مع الله تعالىٰ في جميع طاعتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسماه طهورًا.

وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء.

الباب الحادي عشر
في الخروج من المنزل[2]

قال الصادق رضي الله عنه: إذا خرجت من منزلك فاخرج خروج لا يعود، ولا يكن خروجك

= أي أصل الأحياء، قال ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة أنه قال: يا نبي الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فأخبرنا عن كل شيء قال: «**كل شيء خلق من ماء**» وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن قتادة عن أبي هريرة بسنده قال قلت يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن كل شيء قال: «**كل شيء خلق من ماء**» قال قلت أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة قال «**أفش السلام وأطعم الطعام وصل الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام**» ورواه أيضًا عبد الصمد وعفان وبهز عن همام تفرد به أحمد وهذا إسناد علىٰ شرط الصحيحين إلَّا أن أبا ميمونة من رجال السنن واسمه سليم والترمذي يصحح له وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا والله أعلم.

تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٢)

(١) لم أقف عليه.

(٢) روى أبو داود في سننه (٢٦٠٠) عن قزعة قال: كنت عند عبد الله بن عمر فأردت الانصراف فقال: كما أنت حتى أودعك كما ودعني رسول الله ﷺ فأخذ بيدي وصافحني ثم قال: «**استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**».
وفي الترمذي (٣٤٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال: «**عليك بتقوى الله والتكبير علىٰ كل شرف فلما أن ولي الرجل قال: «اللهم أطو له البعد وهون عليه السفر**».

إلَّا لطاعة أو سبب من أسباب الدين، والزم السكينة والوقار، واذكر الله سرًّا وجهرًا[١].

سأل بعض أصحاب أبي ذر ﷺ أهل داره عنه فقالت: خرج، فقال: متى يرجع[٢]؟

فقالت: متى يرجع من روحه بيد غيره، ولا يملك لنفسه شيئًا.

واعتبر بخلق الله تعالىٰ برَّهم وفاجرهم أينما مضيت فاسأل الله تعالىٰ[٣] أن يجعلك من خلص عباده الصادقين.

ويلحقك بالماضين منهم ويحشرك في زمرتهم.

واحمده واشكره علىٰ ما جنبك من الشهوات وعصمك من قبيح أفعال المجرمين وغض بصرك من الشهوات ومواضع النهي واقصد في مشيك.

وراقب الله في كل خلوة[٤] .....

---

(١) روى الترمذي في سننه (٣٤٢٣)، وأبو داود في سننه (٥٠٩٤) عن أم سلمة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله توكلت علىٰ الله اللهم إنا نعوذ بك أن نَزِل أو نُزَل أو نَضِل أو نُضَل، أو نَظلِم أو نُظلَم أو نَجهَل أو يُجهلَ علينا**».

وروي أبو داود في سننه (٥٠٩٥) عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت علىٰ الله لا حول ولا قوة إلَّا بالله قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت يتنحى له الشيطان فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي**».

(٢) روى أبو داود في سننه (٥٠٩٦) عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلىٰ الله توكلنا، ثم ليسلم علىٰ أهله**».

وروى الترمذي في سننه (٢٦٩٩) عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا بني إذا دخلت علىٰ أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلىٰ أهل بيتك**».

(٣) روى أبو داود في سننه (١٤٨١) عن فضالة ابن عبيد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل علىٰ النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**عجل هذا**» ثم دعاه فقال له أو لغيره: «**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه، ثم يصلي علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام ثم يدعو بما شاء**».

(٤) روى البخاري في صحيحه (٦٤٠٧) عن أبي موسى، ومسلم في صحيحه [٢١١ ـ (٧٧٩)] عن أبي موسى عن النبي ﷺ، قال: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**» وهذا لفظ مسلم ولفظ البخاري «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**».

وقال النووي: فيه الندب إلىٰ ذكر الله تعالىٰ في البيت أنه لا يخلى من الذكر وفيه جواز التمثيل وفيه=

كأنك علىٰ الصراط جائز[١].

ولا تكن لفاتًا وافش السلام لأهله مبتدئًا ومجيبًا.

وأعن من استعان بك في حق.

وأرشد الضال وأعرض عن الجاهلين وإذا رجعت منزلك فادخل دخول الميت في القبر.

حيث ليس همته إلَّا رحمة الله تعالىٰ وعفوه.

الباب الثاني عشر
في دخول المسجد[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت باب ملك عظيم لما يطأ بساطه إلَّا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته إلَّا الصديقين، فتهب القدوم إلىٰ بساط هيبة

= أن طول العمر في الطاعة فضيلة وإن كان الميت ينتقل إلىٰ خير لأن الحي يستلحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات.

(١) أخرج الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٩) عن أبي ذر قال: إن خليلي أبا القاسم ﷺ عهد إليّ: «**إن جسر جهنم دحض مزلة**».
وأخرج مسلم في صحيحه [٣٠٢ ـ (١٨٣)] كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، عن أبي سعيد الخدري قال "بلغني أن الجسر أرق من الشعر وأحد من السيف".
وأخرج الطبراني وابن حبان والخرائطي في مكارم الأخلاق عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من كان وصلة لأخيه المسلم إلىٰ ذي سلطان في مبلغ بر وتيسير عسر أعانه الله علىٰ إجازته الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام**». وأخرج الأصبهاني وابن أبي الدنيا عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**من مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام**» وأخرج الأصبهاني عن عبد الله بن محيريز قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رفع حاجة ضعيف إلىٰ ذي سلطان لا يستطيع رفعها إليه ثبت الله قدميه يوم القيامة**». وأخرج أبو نعيم في الحلية والأصبهاني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من أحسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط مدلا**». قال الأصبهاني قوله مدلا أي أمنا غير خائف والإدلال: الانبساط والوثوق بما يأتي ويفعل.
بستان الفقراء (٣/ ص٢٣٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى مسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٧١٣)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٠ ـ باب ما يقول إذا دخل المسجد، عن أبي حميد وعن أبي أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك**».
قال النووي: فيه استحباب هذا الذكر ثم ذكر مجموعها مختصراً: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم=

الملك فإنك علىٰ خطر عظيم إن غفلت[١].

فاعلم أنه قادر علىٰ ما يشاء من العدل والفضل معك، وبك.

فإن عطف عليك برحمته وفضله قبل منك يسير الطاعة وأجزل لك عليها ثوابًا كثيرًا، وإن طالبك باستحقاقه الصدق والإخلاص عدلاً بك، حجبك ورد طاعتك وإن كثرت.

وهو وفعال لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك وانكسارك وفقرك بين يديه[٢]، فإنك قد

= وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله والحمد لله اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وفي الخروج يقوله لكن يقول اللهم إني أسألك من فضلك.

شرح مسلم للنووي (٥/ ١٩٠) طبعة دار الكتب العلمية

(١) من حديث مسلم «**إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس**» قال النووي: وفي الرواية الأخرى فلا يجلس حتى يركع ركعتين فيه استحباب تحية المسجد بركعتين وهي سنة بإجماع المسلمين وحكى القاضي عياض عن داود وأصحابه وجوبهما وفيه التصريح بكراهة الجلوس بلا صلاة وهي كراهة تنزيه، وفيه استحباب التحية في أي وقت دخل وهو مذهبنا وبه قال جماعة وكرهها أبو حنيفة والأوزاعي والليث في وقت النهي وأجاب أصحابنا أن النهي إنما هو عما لا سبب له لأن النبي ﷺ صلى بعد العصر ركعتين قضاء سنة الظهر فخص وقت النهي وصلى به ذات السبب ولم يترك التحية في حال من الأحوال، بل أمر الذي دخل المسجد يوم الجمعة وهو يخطب فجلس، أن يقوم فيركع ركعتين مع أن الصلاة في حال الخطبة ممنوع منها إلَّا التحية فلو كانت التحية تترك في حال من الأحوال لتركت الآن لأنه قعد وهي مشروعة قبل القعود ولأنه كان يجهل حكمها ولأن النبي ﷺ قطع خطبته وكلمه وأمره أن يصلي التحية فلولا شدة الاهتمام بالتحية في جميع الأوقات لما اهتم عليه السلام هذا الاهتمام ولا يشترط أن ينوي التحية بل تكفيه ركعتان من فرض أو سنة راتبة أو غيرهما ولو نوى بصلاته التحية والمكتوبة انعقدت صلاته وحصلتا له ولو صلى علىٰ جنازة أو سجد شكراً أو للتلاوة أو صلى ركعة بنية التحية لم تحصل التحية علىٰ الصحيح من مذهبنا.

النووي في شرح مسلم (٥/ ١٩١، ١٩٢) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال السنوسي: من تأمل الإنسان الذي نسبته إلىٰ سائر العالم لا شيء، وانظر أصغر عضو من أعضائه كعينه مثلاً اطلع في ذلك علىٰ العجب العجاب فيتأمل فيها كيف جعلها الله تعالىٰ في أعلى رأسه وفي مقدمة ليرى بها القاصي والداني، ولم يجعلها بارزة في ظاهر وجهه كما فعل في أنفه، بل وضعها سبحانه في زاوية منه ليقل وصول الأذى إليها لما هي عليه من شدة القبول له عادة لرطوبتها وصقالتها ونحو ذلك من الصفات التي ركبها الله تعالىٰ عليها ثم إنه تعالىٰ جعل عليها غشائين لحميين ناعمين ينطبقان عليها ويصقلانها ويكنسان ما يتعلق عليها منا لهباء الذي لو اجتمع فيها لتضررت به عادة، والإنسان في هذا يحركها بقدرة الله تعالىٰ وإرادته انفتاحاً وانغلاقاً علىٰ ممر الأوقات وتوالى الساعات من غير قصد ولا ارتياد ولا تكلف في غالب عموم الحالات.

العقيدة الوسطى وشرحها (١٧٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

توجهت للعبادة له والمؤانسة به واعرض عليه.

ولتعلم أنه لا يخفى عليه أسرار الخلايق أجمعين وعلانيتهم.

وكن كأفقر عباده بين يديه وأخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك.

فإنه لا يقبل إلَّا الأطهر والأخلص.

انظر من أي ديوان يخرج اسمك، فإن ذقت حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجابته، فقد صلحت لخدمته فادخل فلك الإذن والأمان، وإلا فقف وقوف من قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الأمل، وقضى عليه الأجل.

فإن علم الله ﷻ[1] من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفة والرحمة واللطف ووفقك لما يحب ويرضى فإنه كريم يحب الكرامة، وعباده المضطرين إليه المحترقين علىٰ بابه لطلب مرضاته.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[2].

الباب الثالث عشر
في افتتاح الصلاة[3]

قال الصادق رضي الله عنه: إذا استقبل القبلة فآيس من الدنيا وما فيها، والخلق وما هم فيه وفرّغ قلبك

---

(١) الدليل علىٰ كون ذلك العلم قديماً أنه لو كان حادثًا لكان ضده من الجهل ونحوه قديماً والقديم لا ينعدم. فيلزم أن لا يتصف بالعلم أبداً ومصنوعاته تشهد بكذب ذلك وأيضاً فلو كان العلم حادثًا لاحتاج في إحداثه إلىٰ علم آخر يتعلق به أو القصد إلىٰ إحداثه فرع لعلم به . ثم ننقل الكلام إلىٰ العلم الآخر فيحتاج هو أيضاً في إحداثه إلىٰ علم آخر ويلزم التسلسل وهو متنزه عن الضرورة والنظر هذا مخصوص نعتا لقوله بعلم قديم . والعلم الضروري في الأصل هو الذي يقارنه ضرر وحاجة كعلمنا بألمنا وجزعنا ولا شك أنه بهذا المعنى مستحيل في حقه تعالىٰ لاستحالة الضرر عليه والحاجة إجماعاً . وقد يطلق الضروري علىٰ علمه تعالىٰ ولو بهذا المعنى له يجوز شرعاً لما أفهمه اللفظ من الضر والالتجاء وبالجملة فإطلاق لفظ الضروري علىٰ علمه تعالىٰ ممتنع إما لفظاً ومعنى إن أريد المعنى الثاني وأما استحالة كون علمه تعالىٰ نظريًا فظاهر لأنه لو كان كذلك لكان حادثاً لما تقرر أن النظر يضاد العلم، فالعلم النظري إنما يحصل بعد انصرام النظر ولا يجتمع معه.

العقيدة الوسطى وشرحها (١٧٤، ١٧٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة النمل (٦٢).

(٣) أجمعوا علىٰ أن الصلاة أحد أركان الإسلام الخمسة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: الآية ١٠٣]. =

عن كل شاغل يشغلك عن الله تعالىٰ، وعاين بسرك عظمة الله ﷻ واذكر وقوفك بين يديه.

قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ﴾[1].

وقف علىٰ قدم الخوف والرجاء.

فإذا كبرت فاستصغر ما بين السماوات العلى والثرى دون كبريائه.

فإن الله تعالىٰ إذا اطلع علىٰ قلب العبد وهو يكبر[2] وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره فقال: يا كذّاب أتخدعني، وعزتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ولأحجبنَّك عن قربي والمسرة بمناجاتي.

واعلم أنه تعالىٰ غير محتاج إلىٰ خدمتك وهو غني عنك وعن عبادتك ودعائك وإنما دعاك بفضله ليرحمك ويبعدك عن عقوبته[3]، وينشر عليك من بركات حنانيته، ويهديك إلىٰ

= وأجموا علىٰ أنها خمس صلوات، وأنها سبعة عشر ركعة، الفجر ركعتان والظهر أربع والعصر أربع والمغرب ثلاث والعشاء أربع، وأجمعوا علىٰ أن الله فرضها علىٰ كل مسلم بالغ عاقل، وعلى كل مسلمة بالغة عاقلة خالية من حيض ونفاس . وأجمعوا علىٰ أنه لا يسقط فرضها في حق من جرى عليه التكليف من الرجال العقلاء البالغين وخاطبهم إلىٰ معاينة الموت وأمور الآخرة وكذلك النساء سواء ما اختصصن به من الحدثين المذكورين إلا أن أبا حنيفة قال: إذا عجز عن الإيماء برأسه، سقط الفرض عنه . وأجمعوا علىٰ أن من وجبت عليه الصلاة من المخاطبين بها ثم امتنع منها جاحدًا لوجوبها عليه فهو كافر ويجب قتله ردة.

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ٧٩)

(١) سورة يونس (٣٠).

(٢) اتفقوا علىٰ أن تكبيرة الإحرام من فروض الصلاة واتفقوا علىٰ أنه لا يصح الصلاة إلا بنطق وأنه لا يكفي فيه مجرد النية بالقلب من غير نطق بالتكبير . وكذلك اتفقوا على أن هذا الإحرام ينعته بقول المصلي: الله أكبر . ثم اختلفوا فيما عداه من ألفاظ التفضلة هل يقوم مقامه أو مقام التكبير؟ فقال أبو حنيفة: ينعته بكل لفظ يقتضي التعظيم والتفخيم كالعظيم والجليل، ولو قال: الله ولم يزد عليه انعقد تكبيره . وقال الشافعي: ينعته بقول: الله أكبر، والله الأكبر . وقال مالك وأحمد: لا ينعته إلا بقوله: الله أكبر حسب . وأجمعوا علىٰ أن رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام سنة، إذا أراد الشروع من كبر جاز (. . .) بإبهاميه شحمتي أذنيه . وأنه ليس بواجب.

واختلفوا في حده، فقال أبو حنيفة: إلىٰ أن يحاذي برفع يديه حتى يمس شحمتي أذنيه بإبهاميه . وقال مالك والشافعي: إلىٰ حذو منكبيه . وعن أحمد ثلاث روايات أشهرها عنه: إلىٰ حذو المنكبين، والثانية إلىٰ أذنيه، واختارها عبد العزيز، والثالثة هو مخير في أيهما شاء وهو اختيار الخرقي.

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٠٥، ١٠٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) أجمعوا علىٰ أن دعاء الاستفتاح في الصلاة مسنون إلا مالك فإنه قال: ليس بسنة وصفته عند أبي حنيفة وأحمد أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالىٰ جدك ولا إله غيرك كما روى=

سبيل رضاه ويفتح عليك باب مغفرته فلو خلق الله ﷻ ضعف ما خلق من العوالم أضعافًا مضاعفة علىٰ سرمد الأبد لكان عند الله سواءً أكفروا به بأجمعهم أو وحدوه[١].

فليس له من عبادة الخلق إلَّا إظهار الكرم والقدرة.

فاجعل الحياء رداءً والعجز إزارًا وادخل تحت سرير سلطان الله تعالىٰ تغتنم فوائد ربوبيته مستعينًا مستغيثًا إليه.

الباب الرابع عشر

في قراءة القرآن[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرق قلبه ولا ينشئ حزنًا ووجلًا في سرّه فقد استهان بعظم شأن الله تعالىٰ وخسر خسرانًا مبينًا.

= أبو سعيد الخدري وعائشة رضي الله تعالىٰ عنهما . وصفته عند الشافعي: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، ولا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . كما في التنزيل كما مر، ورواه علي عنه ﷺ.
اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٠٧، ١٠٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) روى مسلم في صحيحه [٥٥ ـ (٢٥٧٧)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٥ ـ باب تحريم الظلم، عن أبي ذر من حديث طويل عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالىٰ . أوله: «**قال: يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** . . . .» الحديث . وفيه «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني . فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم . ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٤٤ ـ (٧٩٨)] كتاب صلاة المسافرين عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**».
قال النووي: السفرة جمع سافر ككاتب وكتبة والسافر الرسول والسفرة الرسل لأنهم يسفرون إلىٰ الناس برسالات الله وقيل: السفرة الكتبة، والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه واتقانه قال القاضي: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالىٰ. قال: ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته قال القاضي وغيره=

فقارئ القرآن محتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال.

فإذا خشع الله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[1].

فإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة[2].

ولا يعترضه عارض فيحرمه بركة نور القرآن وفوائده.

فإذا اتخذ مجلسًا خاليًا واعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين: خضوع القلب، وفراغ البدن، استأنس روحه وسره بالله ﷻ ووجد حلاوة مخاطبات الله تعالىٰ ﷻ عباده الصالحين، وعلم لطفه بهم.

ومقام اختصاصه لهم بفنون كراماته وبدايع إشاراته.

فإن شرب كأسًا من هذا المشرب لا يختار ذلك الحال حالاً[3]، وعلىٰ ذلك الوقت

= من العلماء وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة ولم يفكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالىٰ وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه والله أعلم.

شرح مسلم (٦/ص٧٤) طبعة دار الكتب العلمية

(١) سورة النحل (٩٨).

(٢) جمهور العلماء علىٰ أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قال: وقال ابن سيرين: إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية "فاستعذ" وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي ﷺ عليها ولأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم: كانت واجبة علىٰ النبي ﷺ دون أمته وحكي عن مالك أنه لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه . وقال الشافعي في الإملاء يجهر بالتعوذ وإن أسر فلا يضر وقال في الأم بالتخيير لأنه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى هل يستحب التعوذ فيها علىٰ قولين ورجح عدم الاستحباب . والله أعلم.

تفسير ابن كثير (١/ ١٤)

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٣٢ ـ (٧٩٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٤ ـ باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، عن أبي هريرة يبلغ النبي قال: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن.

قال النووي: أذن بكسر الذال قال العلماء معنى أذن في اللغة الاستماع ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق: ٢] قالوا: ولا يجوز أن تحمل هنا علىٰ الاستماع بمعنى الاصغاء، فإنه يستحيل علىٰ الله تعالىٰ=

وقتًا، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة.

لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشود ولايتك، وكيف تجيب أوامره وتجتنب نواهيه.

وكيف تتمثل حدوده.

فإنه كتاب عزيز: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ فرتله ترتيلاً[1].

وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه.

واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده[2].

= بل هو مجاز ومعناه الكناية عن تقريبه القارئ وإجزال ثوابه لأن سماع الله تعالىٰ لا يختلف فوجب تأويله. وقوله: "يتغنى بالقرآن" معناه عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون يحسن صوته به وعند سفيان ابن عيينة يستغنى به قيل يستغنى به عن الناس. وقيل: عن غيره من الأحاديث والكتب. قال القاضي عياض: القولان منقولان عن ابن عيينة. قال يقال: تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت. وقال الشافعي وموافقوه معناه تحزين القراءة وترقيقها واستدلوا بالحديث الآخر **«زينوا القرآن بأصواتكم»** قال الهروي: معنى يتغنى به يجهر به وأنكر أبو جعفر الطبري تفسير من قال: يستغنى به وخطأه من حيث اللغة والمعنى والخلاف جار في الحديث الآخر ليس منا من لم يتغن بالقرآن والصحيح أنه من تحسين الصوت ويؤيده الرواية الأخرى يتغنى بالقرآن يجهر به قوله في رواية حرملة: "كما يأذن لنبي" هو بفتح الذال.

النووي في شرح مسلم (٦/ ٦٩) طبعة دار الكتب العلمية

(١) قال النووي: قال القاضي أجمع العلماء علىٰ استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها: قال أبو عبيد: والأحاديث الواردة في ذلك محمولة علىٰ التحزين والتشويق قال: واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم، وأباحهما أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس علىٰ استماعه.

النووي في شرح مسلم (٦/ ٧٠، ٧١) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) في حديث أنس بن مالك الذي رواه مسلم رقم (٧٩٩) في صلاة المسافرين وقصرها أن النبي ﷺ قال لأُبي ابن كعب: **«إن الله أمرني أن أقرأ عليك»** قال: الله سماني لك؟ قال: **«الله سماك لي»** قال: فجعل أُبي يبكي.

وقال النووي: في الحديث فوائد كثيرة منها استحباب قراءة القرآن علىٰ الحذاق فيه وأهل العلم به والفضل وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ومنها المنقبة الشريفة لأُبي بقراءة النبي ﷺ ولا يعلم أحد من الناس شاركه في هذا ومنها منقبة أخرى له بذكر الله تعالىٰ له ونصه عليه في هذه المنزلة الرفيعة ومنها البكاء للسرور والفرح مما يبشر الإنسان به ويعطاه من معالي الأمور. وأما قوله: "الله سماني لك" =

الباب الخامس عشر
في الركوع[١]

قال الصادق رضي الله عنه: لا يركع عبد الله ركوعًا علىٰ الحقيقة إلَّا زيّنه الله بنور بهائه وأظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة صفائه.

والركوع أول والسجود ثان.

فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني.

وفي الركوع أدب وفي السجود قرب.

ومن لا يحسن للأدب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله عز وجل.

متذلل بقلبه وجل تحت سلطانه خافض لله بجوارحه خفض خائف حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين.

وحكي أن ربيع خثيم[٢] رحمه الله كان يسهر بالليل إلىٰ الفجر في ركوع واحد، فإذا أصبح

= فيه أنه يجوز أن يكون الله تعالىٰ أمر النبي ﷺ يقرأ علىٰ رجل من أمته ولم ينص علىٰ أُبي فأراد أُبي أن يتحقق هل نص عليه أو قال علىٰ رجل فيؤخذ منه الاستثبات في المحتملات واختلفوا في الحكمة في قراءته ﷺ علىٰ أُبي والمختار أن سببها أن تستن الأمة بذلك في القراءة علىٰ أهل الإتقان والفضل ويتعلموا آداب القراءة ولا يأنف أحد من ذلك.

النووي في شرح مسلم (٦/ ٧٥) طبعة دار الكتب العلمية

(١) الركوع فرض في كل صلاة للقادر عليه باتفاق وقد ثبت فرضية الركوع في الصلاة ثبوتاً قاطعاً وإنما اختلف الأئمة في القدر الذي يَصح به الصلاة في الركوع . فقال الحنفية: يحصل الركوع بطأطأة الرأس بأن ينحني انحناء يكون إلىٰ حال الركوع أقرب فلو فعل ذلك صحت صلاته، أما كمال الركوع فهو انحناء الصلب حتى يستوي الرأس بالعجز وهذا في ركوع القائم أما القاعد فركوعه يحصل بطأطأة الرأس من انحناء الظهر ولا يكون كاملاً إلا إذا حاذت جبهته قدام ركبتيه . والحنابلة قالوا: إن الجزئ في الركوع بالنسبة للقائم انحناؤه بحيث يمكنه مس ركبتيه بيديه إذا كان وسطاً في الحلقة وقالت الشافعية: أقل الركوع بالنسبة للقائم انحناء، بحيث تنال راحتا معتدل الحلقة ركبتيه بدون انحناء، وهو أن يخفض الحلقة ركبتيه بدون انحناء، وهو أن يخفض عجزه ويرفع رأسه ويقدم صدره بشرط أن يقصد الركوع وأكمله بالنسبة له أن يسوي بين ظهره وعنقه وأما بالنسبة للقاعد فأقله أن ينحني بحيث يحاذي جبهته أمام ركبتيه وأكمله أن تحاذي جبهته موضع سجوده من غير مماسة.

الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٢٠٥)

(٢) قال رجل للربيع خثيم: قتل الحسين ابن فاطمة فاسترجع ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

قال: ما تقول؟ قال: ما أقول؟ إلىٰ الله إيابهم وعليه حسابهم . كانت أم الربيع تنادي عليه فتقول: =

تزفر وقال: اوه سبق المخلصون.

واقطع بنا واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همتك في القيام بخدمته إلَّا بعونه وفرّ بالقلب من وسوسة الشيطان وخدائعه ومكائده.

فإن الله تعالىٰ يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرهم.

الباب السادس عشر
في السجود[1]

قال الصادق رضي الله عنه: ما خسر والله تعالىٰ قط من أتى بحقيقة السجود.

ولو كان في عمره مرة واحدة.

= يا بني، يا ربيع ألا تنام، فيقول: يا أماه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن ينام، قال: فلما بلغ ورأت ما يلقي من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بني لعلك قتلت قتيلاً؟ فقال: نعم يا والدتي قتلت قتيلاً، فقالت: ومن هذا القتيل يا بني نتحصل علىٰ أهله فيعفوك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك، فيقول: يا والدتي هي نفسي . قالت ابنة الربيع بن خيثم: يا أبتاه ما لي أرى الناس ينامون ولا تنام؟ قال: إن جهنم لا تدعني أنام وقيل: يا بنية إن أباك يخاف البيات . كان عند الربيع بن خيثم رهط فجاءته ابنته فقالت: يا أبتاه أذهب ألعب؟ فقال: اذهبي فقولي خيراً، غير مرة، قال: فقال القوم: أصلحك الله وما عليك أن تقول لها؟ قال: وما علي أن لا يكتب هذا في صحيفتي.

صفة الصفوة (٢/ ٨١، ٨٢)

(١) اتفقوا علىٰ أن السجود علىٰ سبعة أعضاء مشروع وهي نواحي الوجه واليدين والركبتان وأطراف أصابع الرجلين.

واختلفوا في الفرض منه ذلك . فقال أبو حنيفة: الفرض من ذلك جبهته أو أنفه . وقال الشافعي: بوجوب الجبهة قولاً واحداً وفي باقي الأعضاء قولان . واختلفت الرواية عن مالك فروى عنه ابن القاسم: أن الفرض معلق بالجبهة، فأما الأنف فإن أخل به أعاد في الوقت استحباباً ولم يعد بعد خروج الوقت أما إن أخل به أعاد في الوقت استحباباً ولم يعد بعد خروج الوقت، فأما إن أخل السبعة مع القدرة واقتصر علىٰ الأنف أعاد أبدًا . وقال ابن حبيب: من أصحاب القرطبي يتعلق بهما معا . وروى أشهب عنه كمذهب أبي حنيفة . وعن أحمد روايتان إحداهما تعلق الفرض بالجبهة خاصة والأخرى تعلق بهما معا وهي المشهورة . واختلفوا فيمن سجد علىٰ كور عمامته إذا مال بين جبهته وبين المسجد فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد في إحدى روايتيه: يجزئه ذلك . وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: لا يجزئه ذلك حتى يباشر المسجد بجبهته.

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١١٦، ١١٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

وأفلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه غافلاً لاهيًا عما أعد الله تعالىٰ للساجدين من البشر العاجل وراحة الأجل ولا بعد عن الله تعالىٰ أبدًا من أحسن تقربه في السجود ولا قرب إليه أبدًا من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعليق قلبه بسواه في حال السجود فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم أنه خلق من تراب يطؤه الخلق[١].

وأنه ركب من نطفة يستقذرها كل أحد.

وكون ولم يكن.

ولقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه[٢] بالقلب والسرّ والروح.

فمن قرب منه بعد عن غيره.

ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلَّا بالتواري عن جميع الأشياء.

والإحجاب عن كل ما تراه العيون، كذلك أراد الله أمر الباطن.

---

(١) قال المالكية: افترض السجود علىٰ أقل جزء من الجبهة وجبهة الإنسان معروفة وهي ما بين الحاجبين إلىٰ مقدم الرأس فلو سجد علىٰ أحد الجنبين لم يكفه ويندب السجود علىٰ أنفه ويعيد الصلاة مع تركه في الوقت والحنفية قالوا: حد السجود المفروض هو أن يضع جزءاً ولو قليلاً من جبهته علىٰ ما يصح السجود عليه أما وضع جزء من الأنف فقط فإنه لا يكفي إلا لعذر علىٰ الراجح أما وضع الخد أو الذقن فقط فإنه لا يكفي مطلقاً لا لعذر ولا لغير عذر ولا بد من وضع إحدى اليدين وإحدى الركبتين وشيء من أطراف إحدى القدمين ولو كان أصبعا واحداً علىٰ ما يصح السجود عليه ويتحقق السجود الكامل بوضع جميع اليدين والركبتين وأطراف القدمين والجبهة والأنف.

الفقه على المذاهب الأربعة (١/٢٠٦)

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢١٥ ـ (٤٨٢)] كتاب الصلاة ٤٢ ـ باب ما يقال في الركوع والسجود، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**».

قال النووي: معناه أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله وفيه الحث علىٰ الدعاء في السجود وفيه دليل لمن يقول أن السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب: أحدها: أن تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل حكاه الترمذي والبغوي عن جماعة وممن قال بتفضيل تطويل السجود ابن عمر رضي الله عنهما والمذهب الثاني: مذهب الشافعي رضي الله عنه وجماعة أن تطويل القيام أفضل لحديث جابر في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: أفضل الصلاة طول القنوت والمراد بالقنوت القيام ولأن ذكر القيام القراءة وذكر السجود التسبيح والقراءة أفضل لأن المنقول عن النبي ﷺ أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود.

شرح مسلم للنووي (٤/١٦٧، ١٦٨) طبعة دار الكتب العلمية

فمن كان قلبه متعلقًا في صلاته بشيء دون الله تعالى، فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله تعالىٰ منه في صلاته.

قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: «**ما اطلع علىٰ قلب عبد فأعلم فيه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلَّا توليت تقويمه وسياسته وتقربت منه، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه اسمه مكتوب في ديوان الخاسرين**».

الباب السابع عشر
في التشهد[2]

قال الصادق رضي الله عنه: التشهد ثناء علىٰ الله، فكن عبدًا له في السرّ خاشعًا خاضعًا له في الفعل.

كما أنك له عبد بالقول والدعوة.

---

(١) سورة الأحزاب (٤).

يقول تعالىٰ موطئا قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسناً وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت علي كظهر أمي أما له كذلك لا يصير الدعي ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له فقال: «**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم**» كقوله ﷻ: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۗ﴾ الآية وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب: ٤] هذا هو المقصود بالنفي فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي ﷺ كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالىٰ أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب: ٤] كما قال تعالىٰ في أثناء السورة ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٢)

(٢) اختلفوا في التشهد هل هو واجب أم سنة فقال الشافعي وطائفة: التشهد الأول سنة والأخير واجب وقال جمهور المحدثين: هما واجبان وقال أحمد: الأول واجب والثاني فرض وقال أبو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء هما سنتان وعن مالك رواية بوجوب الأخير وقد وافق من لم يوجب التشهد علىٰ وجوب القعود بقدره في آخر الصلاة.

شرح مسلم للنووي (٤/ ٩٩) طبعة دار الكتب العلمية

وصل صدق لسانك بصفاء صدق سرك فإنه خلقك عبدًا وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك.

وأن تحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم أن نواصي الخلق بيده[١].

فليس لهم نفس ولا لحظة إلَّا بقدرته ومشئيته، وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء في مملكته إلَّا بإذنه وإرادته.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[٢].

---

(١) اختلفوا في التشهد في الجلسة هل هو فرض أو سنة؟ فقال أبو حنيفة: الجلسة هي الركن دون التشهد فإنه سنة. وقال الشافعي وأحد في المشهور عنه: التشهد فيه ركن كالجلوس وقد روي عن أحمد رواية أخرى أن التشهد الأخير سنة والجلسة بمقداره هي الركن وحدها كذلك كمذهب الشافعي والمشهور الأول: وقال مالك: والتشهد الأول والثاني سنة. واتفقوا علىٰ أن الإعداد بكل واحد من التشهد المروي عن النبي ﷺ من طرق الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم وهم: عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس. ثم اختلفوا في الأول منهما. فاختار أبو حنيفة وأحمد تشهد ابن مسعود وهو عشر كلمات: التحيات لله والصلوات الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اختلاف الأئمة من تحقيقنا (١/ ١١٩) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة القصص (٦٨).

يخبر تعالىٰ أنه المنفرد بالخلق والاختيار وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨] أي ما يشاء فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه. وقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ﴾ [القصص: ٦٨] نفي علىٰ أصح القولين كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقد اختار ابن جرير أن (ما) ههنا بمعنى الذي تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة، وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة علىٰ وجوب مراعاة الأصلح، والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضاً فإن المقام في بيان انفراده تعالىٰ بالخلق والتقدير والاختيار وأنه لا نظير له في ذلك ولهذا قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨] أي من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئا ثم قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [القصص: ٦٩] أي يعلم ما تكن الضمائر وما تنطوي عليه السرائر، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ١٠].

تفسير ابن كثير (٣/ ٤١١)

فكن لله عبدًا ذاكرًا بالقول والدعوة، وصل صدق لسانك بصفاء سرك فإنه خلقك، فعز وجل أن تكون إرادة ومشيئة لأحد إلَّا بسابق إرادته ومشيئته فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته وبالعبادة أداء أوامره.

وقد أمرك بالصلاة علىٰ حبيبه النبي محمد ﷺ.

فأوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته.

وانظر لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلاته وأمره بالاستغفار لك والشفاعة[1] فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب.

وتعلم جليل مرتبته عند الله ﷻ.

الباب الثامن عشر
في السلام[2]

قال الصادق رضي الله عنه: معنى التسليم في دُبر كل صلاة معنى الأمان أي من أتى بأمر الله

---

(١) قال النووي: قال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعاً بصريح قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وأمثالها وبخبر الصادق ﷺ وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] وبقوله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] وهذه الآيات في الكفار وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار.

شرح مسلم للنووي (٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) اتفقوا علىٰ أن الإتيان بالتسليم مشروع، ثم اختلفوا في عدده كمذهب الشافعي وقال ابن حامد من أصحاب أحمد قدر الإجزاء أنه يجب الصلاة عليه ﷺ وعلىٰ آله. فقال أبو حنيفة وأحمد: هو تسليمتان. وقال مالك: واحدة ولا فرق بين أن يكون إمامًا أو منفردًا وللشافعي قولان: الذي في المزني والأم كمذهب أبي حنيفة وأحمد والقديم إن كان الناس قليلاً وسكتوا حيث أن يسلم تسليمة واحدة . واختلفوا هل السلام من الصلاة أم لا فقال مالك والشافعي وأحمد: هو من الصلاة وقال أبو حنيفة: ليس منها . واختلفوا فيما يجب منه . فقال مالك والشافعي: التسليمة الأولى فرض علىٰ الإمام والمنفرد وقال الشافعي وحده: وعلىٰ المأموم أيضا وقال أبو حنيفة: ليس بفرض في الجملة.

اختلاف الأئمة من تحقيقنا (١/ ١٢٣، ١٢٤) طبعة دار الكتب العلمية

تعالىٰ وسُنّة نبيه ﷺ خاضعًا له خاشعًا فيه فله الأمان من بلاء الدنيا، والبراءة من عذاب الآخرة.

والسلام اسم من أسماء الله تعالىٰ أودعه في خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإلصاقات وتصديق مصاحبتهم ومجالستهم فيما بينهم[١].

وصحة معاشرتهم.

فإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله تعالىٰ وليسلم دينك وقلبك وعقلك.

لا تدنسها بظلم المعاصي ولتسلم منك حفظتك لا تبرمهم ولا تملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم.

ثم مع صديقك ثم مع عدوك.

فإن من لم يسلم منه من هو أقرب إليه فالأبعد أولى.

ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا تسليم وكان كاذبًا في سلامه وإن أفشاه في الخلق[٢].

---

(١) السلام فيه معنى من السلامة، قال بعض المشايخ: السلام اسم مطلق إليه الصيغة لمعنى ما مفرده: السلامة . قال: والمطلق الصيغة هو ما لم تقصد صيغة للدلالة علىٰ معنى، كأسماء الأجناس المرتجلة، نحو رجل وفرس والمخصوص بالصيغة ما قصد بصيغة الدلالة علىٰ معنى، نحو ما ذكر من فعلان، وفعيل، وفعل، وفعول في اسم الرحمن الرحيم، والملك والقدوس . قال: وحقيقة السلام استواء الأمر، والتوسط فيما بين طرفي ظهور الرحمة والمحنة فهو بالنظر إلىٰ أمر الله تعالىٰ اسم تزيه، وبالنظر إلىٰ أمر الخلق (أتم) أثره وتوسط حال بين منعم عليه ومنتقم منه . قال: ومنه شرع السلام بين المتلاقين، إشعاراً بالأمنية من العدو والنزول عن رؤية الأعلى. وقال الرجب: فلذلك فرض بين المؤمنين فأدنى حظ المؤمن من المؤمن السلامة والأخوة والمناصرة انتهى فتأمله فإنه عجيب.

ولما كان السلام من السلامة كان العارف بهذا الاسم طالباً للسلامة متلبساً للاستسلام، جمع كمال التنزيه في كل الأحوال وذلك كان من أذكار أصحاب البدايات وأهل البلايا.

شرح أسماء الله الحسنى (٣٩، ٤٠، ٤١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى مسلم في صحيحه [٩٣ ـ (٥٤)] كتاب الإيمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**».

قال النووي: فيه الحث العظيم علىٰ إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض=

واعلم أن الخلق بين فتن ومحن في الدنيا.

إما مبتلى بالنعمة ليظهر شكره.

وإما مبتلى[١] بالشدة ليظهر صبره.

والكرامة في طاعته، والهوان في معصيته.

ولا سبيل إلىٰ رضوانه ورحمته إلَّا بفضله ولا وسيلة إلىٰ طاعته إلَّا بتوفيقه.

ولا شفيع إليه إلَّا بإذنه ورحمته.

الباب التاسع عشر
في الدعاء[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: احفظ أدب الدعاء وانظر من تدعو كيف تدعو ولماذا تدعو، وحقق

= وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين.

شرح مسلم للنووي (٢/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية

(١) حكى عن بعضهم أنه رأى مبتلي يقول: الحمد لله الذي أنعمت علي وفضلتني علىٰ كثير من خلقك تفضيلاً فقيل: علىٰ أي نعمة تحمد، أم علىٰ أي فضل تشكره، فوالله ما أرى شيئاً من البلاء هو بك فقال: ألا ترى ما قد صنع الله بي فوالله لو أرسل السماء عليّ ناراً فأحرقتني وأمر الجبال فدكتني والبحار فأغرقتني ما ازددت له إلَّا حمداً وشكراً فإن لي إليك حاجة كانت لي بنت تخدمني وتتعاهدني عند إفطاري فانظر هل هي موجودة فتطلبها بين تلك الرمال فإذا السبع قد أكلها فأخبرته بذلك فقال: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا وفي قلبي منها شيء ثم شهق شهقة ومات فجهزته ودفنته فرأيته في المنام في روضة خضراء عليه حلتان خضراوتان وهو قائم يتلو القرآن فقلت: ألست صاحبي بالأمس قال: بلى، قلت: فما صبرك إلىٰ ما أرى قال: وردت مع الصابرين علىٰ درجة ما ينالوها إلَّا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء.

حدائق الأولياء (١/ ٨٠، ٨١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال ابن الإمام في كتابه سلاح المؤمن: فمن أولى ما انصرفت إلىٰ حفظه عناية ذوي الهمم وأحق ما اهتدى بأنواره في غياهب الظلم . . . . إلىٰ أن قال والدعاء أمر الله تعالىٰ به في كتابه العظيم وفيه رغب رسوله الكريم وإليه جنح المرسلون والأنبياء وعليه عول الصالحون والأولياء وإن أحسن ما توخاه المرء لدعائه في كل مهم وتحراه لكل خطب مدلهم ما تحصل به مقصود الدعاء مع بركة التأسي والاقتداء ويكون لفظه وسيلة لقبوله، وهو ما جاء في كتاب الله أو سنة رسوله وقد أنكر الأئمة رضي الله عنهم الإعراض عن الأدعية السنية والعدول عن اقتفاء آثارها السنية فقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد ابن أيوب الطبراني رحمه الله في كتاب "الدعاء": هذا كتاب ألفته جامع من أدعية رسول الله ﷺ حداني=

عظمة الله وكبريائه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما تكن وما تكون فيه من الحق والباطل.

واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله تعالىٰ بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن ان فيه نجاتك.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾[1].

وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل، والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويبا لمهجه في مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعاً وتسليم الأمور كلها ظاهرا وباطنا إلىٰ الله تعالىٰ فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة فإنه يعلم السرّ وأخفى، فلعلك تدعوه بشيء علم من سرك خلاف ذلك.

قال بعض الصحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر وأنا انتظر الحجر.

واعلم أنه لو لم يكن الله أمرنا بالدعاء[2] لكان إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالإجابة

= علىٰ ذلك أني رأيت كثيراً من الناس قد تمسكوا بأدعية السجع وأدعية وضعت علىٰ عدد الأيام مما ألفها الوضَّاعون لا تروى عن رسول الله ولا أحد من أصحابه ولا التابعين بإحسان مع ما روي عن النبي ﷺ من الكراهية للسجع في الدعاء والتعدي فيه.

سلاح المؤمن (٢٥، ٢٦)

(١) سورة الإسراء (١١).

يخبر تعالىٰ عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان علىٰ نفسه أو ولده أو ماله بالشر أي بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ الآية وكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وقد تقدم في الحديث «**لا تدعوا علىٰ أنفسكم ولا علىٰ أموالكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها**» وإنما يحمل ابن آدم علىٰ ذلك قلقه وعجلته ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسرَاء: ١١].

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦)

(٢) روى أبو داود في سننه (١٤٩٣) عن بريرة أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله باسمه الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب**» وفي رواية لأبي داود أيضاً: «**لقد سألت الله باسمه الأعظم**» وعن أنس رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي ثم دعا «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلَّا أنت المنان بديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم . فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله عز وجل باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**».

سلاح المؤمن في الدعاء والذكر (٢٥٥)

فكيف قد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء وسئل رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم[١]، فقال ﷺ: «**كل اسم من أسماء الله أعظم**»[٢].

ففرغ قلبك عن كل ما سواه وادعه تعالىٰ بأي اسم شئت فليس لله في الحقيقة اسم دون اسم بل هو الله الواحد القهار[٣].

قال النبي ﷺ: «**إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاه**»[٤].

قال الصادق رضي الله عنه: إذا أراد أحدكم أن يسأل ربه إلَّا أعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكن رجاه إلا من عند الله عز وجل.

فإذا علم الله تعالىٰ ذلك من قلبه لم يسأله شيئا إلَّا أعطاه.

فإذا أتيت ذكرت لك من شرائط الدعاء وأخلصت سرك لوجهه، فأبشر بإحدى ثلاث: إما أن يعجل لك ما سألت، وإما أن يدخر لك ما هو أفضل منه، وإما أن يصرف منك البلاء ما لو أرسله إليك لهلكك.

---

(١) روى الحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن في سورة البقرة، وآل عمران، وطه**» قال القاسم، فالتمستها إنه الحي القيوم. وعن سعد بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هل أدلكم علىٰ اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، الدعوة التي دعاها يونس** عليه السلام حيث ناداه في الظلمات «**لا إله إلَّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**» فقال رجل: يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة فقال رسول الله: «**ألا تسمع قوله** ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾».

سلاح المؤمن (٢٥٦)

(٢) لم أقف عليه.

(٣) القهار هو الذي له الغلبة التامة علىٰ ظاهر كل أمر وباطنه، وقال بعض المشايخ القهار من القهر وهو الاستيلاء علىٰ الشيء من جهه أمر ظاهر ومن جهة الملك والسلطان. وعلىٰ باطنه: من جهة علو المكان وقيام الحجة. انتهى. أشار بآخره لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] والله تعالىٰ أعلم من عرف قهره لعباده نسي مراد نفسه بمراده فكان له وبه لا أحد سواه ولا بشيء دونه. من جهة التحقيق بالقهر والتحلق به، بحيث يقهر من يجب قهره من نفس وشيطان وغير هام بإسقاط التدبير والرجوع للواحد القهار بالاستسلام في كل جليل وحقير، وبالله تعالىٰ التوفيق. إذهاب حب الدنيا وعظمة ما سوى الله من قلبه وضعف النفس عن التعلقات فمن أكثر من ذكره كان له ذلك وظهرت له آثار النصر علىٰ عدوه بقهره ويذكر عند طلوع الشمس وجوف الليل لإهلاك الظالم بهذه الصيغة: يا قهار، يا جبار، ياذا البطش مدة ثم يقول: خذ حقي ممن ظلمني وعدى علي.

شرح أسماء الله الحسنى (٦٠، ٦١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٤) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ١٧٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩١).

قال النبي ﷺ: «**قال الله تعالىٰ من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي للسائلين**»[١].

قال الصادق رضي الله عنه: لقد دعوت مرة فاستجاب لي ونسيت الحاجة لأن استجابته بإقباله عبده عند دعوته أعظم وأجل مما يريد منه العبد، وكانت الجنة ونعيمها الأبدي وليس يعقل ذلك العاملون المحبون العارفون صفوة الله وخواصه.

الباب العشرون

في الصوم

قال الصادق رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «**الصوم جنة**»[٢].

آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة فإذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان والشياطين وانزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعامًا ولا شرابًا، وتوقع في كل لحظة شفاك من مرض الذنوب.

وطهر باطنك من كل كذب وكدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالىٰ.

قيل لبعضهم: إنك ضعيف وإن الصيام يضعفك[٣] قال: إني أعده بشر يوم طويل،

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٩٢٦) وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٤٦)، وذكره الحافظ في الفتح (١١/ ١٤٧)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٧٥، ٥/ ٧)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٢٣)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٨٢٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٦٥)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٩٦).

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٩/ ١٧٥)، والترمذي في سننه (٦١٤، ٢٦١٦)، والنسائي (٤/ ١٦٦ ـ المجتبي)، وابن ماجة (٣٩٧٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٦، ٣٩٣)، والدارمي (٢/ ٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٢، ٣/ ٣٧٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٠٦، ١٣٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٦١، ١٥٦٩. ٢٥٥٣ ـ الموارد)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٧).

(٣) النهي الوارد في الصيام النهي عن الوصال قال النووي: اتفق أصحابنا علىٰ النهي عن الوصال وهو صوم يومين فصاعدا من غير أكل أو شرب بينهما ونص الشافعي وأصحابنا علىٰ كراهته ويهم في هذه الكراهة وجهان: أصحهما: أنها كراهة تحريم . والثاني: كراهة تنزيه وبالنهي عنه . قال جمهور العلماء وقال القاضي عياض: اختلف العلماء في أحاديث الوصال فقيل النهي عنه رحمة وتخفيف فمن قدر فلا حرج وقد واصل: جماعة السلف الأيام . قال: وأجازه ابن وهب وأحمد وإسحاق إلىٰ=

والصبر على طاعة الله أهون من الصبر علىٰ عذابه وقال رسول الله ﷺ : «**قال الله تعالىٰ: الصوم لي وأنا أجزي به**»[١].

والصوم يميت مراد النفس وشهوة الطمع وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن.

والشكر علىٰ النعم والإحسان إلىٰ الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء (وجل)[٢] الالتجاء إلى الله تعالىٰ وسبب انكسار الهمة وتخفيف السيئات وتضعيف الحسنات.

وفيه من الفوائد ما لا يحصى.

وكفى بما ذكرناه منه لمن عقله ووفق لاستعماله إن شاء الله تعالىٰ.

الباب الواحد والعشرون
في الزكاة[٣]

قال الصادق رضي الله عنه: علىٰ كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله تعالىٰ.

= السحر ثم حكى عن الأكثرين كراهته . وقال الخطابي وغيره من أصحابنا: الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله ﷺ وحرمت علىٰ الأمة واحتج لمن أباحه بقوله في بعض طرق مسلم نهاهم عن الوصال رحمة لهم وفي بعضها لما أبوا أن ينتهوا واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم وفي بعضها لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم واحتج الجمهور بعموم النهي وقوله ﷺ: «**لا تواصلوا**».

النووي في شرح مسلم (٧/ ١٨٣، ١٨٤)

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ٢٣٤، ٣٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٣٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٢٠)، والزبيدي في الاتحاف (٤/ ١٨٨، ١٨٩).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) الزكاة هي في اللغة النماء والتطهير فالمال ينمي بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب، وقيل: ينمي أجرها عند الله تعالىٰ . وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها وقيل: لأنها تزكي صاحبها وتشهد بصحة إيمانه . وسميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه قال القاضي عياض: قال المازري رحمه الله: قد أفهم الشرع أن الزكاة وجبت للمواساة وأن المواساة لا تكون إلّا في مال له بال، وهو النصاب ثم جعلها في الأموال الثابتة وهي العين والزرع والماشية.

النووي في شرح مسلم (٧/ ٤٢، ٤٣)

والزكاة شرعاً: تمليك مال مخصوص لمستحقه بشرائط مخصوصة وهذا معناه: أن الذين يملكون نصاب الزكاة يفترض عليهم أن يعطوا الفقراء ومن علىٰ شاكلتهم من مستحقي الزكاة قدرًا معيناً من أموالهم=

بل علىٰ كل منبت شعر من شعرك.

بل علىٰ كل لحظة من لحظاتك زكاة فزكاة العين النظرة بالعبرة، والغض عن الشهوات وما يضاهيها.

وزكاة الأذن استماع العين، والحكمة، والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك.

وبالإعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباههما، وزكاة اللسان النصح للمسلمين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيرها.

وزكاة[1] اليد البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به وتحريكها بكتابه العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله والقبض عن الشرّ.

وزكاة الرجل السعي في حقوق الله تعالىٰ من زيارة الصالحين ومجالس الذكر، وإصلاح الناس، وصلة الأرحام[2]، والجهاد، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك.

= بطريق التمليك والحنابلة يعرفون الزكاة بأنها حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص وهو بمعنى التعريف الأول، إلَّا أن التعريف الأول قد صرح بضرورة تمليك المستحق وإعطائه القدر المفروض من الزكاة فعلا إذ لا يلزم من الوجوب التمليك بالفعل.

الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٥٢٤)

(١) أجمعوا علىٰ أن أول النصاب في أجناس الأثمان وهي الذهب والفضة مضروبًا أو مكسورًا أو تبرًا أو نقرة، عشرون دينارًا من الذهب ومائتا درهم من الفضة فإذا بلغت الدراهم مائتا درهم والذهب عشرون دينارا وحال عليه الحول فقيه ربع العشر . واختلفوا في زيادة النصاب فيهما . فقال مالك والشافعي وأحمد: تجب الزكاة في زيادتها بالحساب وإن قلت الزيادة . وقال أبو حنيفة: لا تجب فيما زاد علىٰ المائتي درهم حتى تبلغ الزيادة أربعين درهما ولا علىٰ هذا الذهب حتى تبلغ أربعة دنانير، فيكون في الأربعين درهم وفي الأربعة دنانير قيراطان وليس فيما دون الأربعين والأربعة شيء . واختلفوا هل يضم الذهب إلىٰ الورق في تكميل النصاب؟ فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد في إحدى الروايتين: يضم. وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى، لا يضم.

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ٢٠٤، ٢٠٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال النووي: قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحماً والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة علىٰ عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم لهذا سمي العقوق قطعًا والعق الشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال: ويجوز أن يكون المراد قام ملك=

هذا مما تحمل القلوب فهمه والنفوس استعماله وما لا يشرف عليه إلَّا عباده المخلصون المقربون أكثر من أن تحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم.

اللهم وفقني بما تحب وترضى.

الباب الثاني والعشرون
في الحج[١]

قال الصادق رضي الله عنه: إذا أردت الحج فجرد قلبك لله عز وجل من قبل عزمك من كل شاغل وحجب عن كل حاجب.

وفوض أمورك كلها إلىٰ خالقك.

وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكونك وسلم لقضائه وحكمه وقدره.

ودع الدنيا والراحة والخلق.

واخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك[٢] وقوتك وشبابك ومالك مخافة أن تصير ذلك أعداء ووبالاً ليعلم أنه ليس قوة

= من الملائكة وتعلق بالعرش وتكلم علىٰ لسانها بهذا بأمر الله تعالىٰ هذا كلام القاضي والعائذ المستعيذ وهو المعتصم بالشيء الملتجئ إليه المستجير به.

شرح مسلم (١٦/ ٩١) طبعة دار الكتب العلمية

(١) قال في فقه السنة: الحج قصد مكة لأداء عبادة الطواف والسعي والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته وهو أحد أركان الإسلام الخمسة وفرض من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة فلو أنكر وجوبه منكر كفر وارتد عن الإسلام والمختار لدى جمهور العلماء أن إيجابه كان سنة ست بعد الهجرة لأنه نزل فيها قوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] واتفق الفقهاء علىٰ أنه يشترط لوجوب الحج الشروط الآتيه: ١ ـ الإسلام، ٢ ـ البلوغ، ٣ ـ العقل، ٤ ـ الحرية، ٥ ـ الاستطاعة. فمن لم تتحقق فيه هذه الشروط فلا يجب عليه الحج . وذلك أن الإسلام والبلوغ والعقل شرط التكليف في أية عبادة من العبادات . وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل**» والحرية شرط لوجوب الحج لأنه عبادة تقتضي وقتاً ويشترط فيها الاستطاعة بينما العبد مشغول بحقوق سيده وغير مستطيع وأما الاستطاعة فلقول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] .
فقه السنة (١/ ٥٢٧، ٥٣٠، ٥٣١)

(٢) حكي عن بعض السلف أنه قال: جاءني صاحب لي فقال رافقني رجلًا ترضاه لمرافقتي فجئته برجل له صلاح ودين، فلما كان يوم الرحيل جعل الرفيق يبكي، فقال: ليس هذا برفيق قد ابتدأ بالبكاء فقال الباكي: إني ذكرت بها الرحلة إلىٰ الآخرة . فقال: هذا كان ينبغي له مرافقة داود الطائي وأشباهه. =

ولا حيلة ولا حد إلَّا بعصمة الله تعالىٰ وتوفيقه.

واستعد استعداد من لا يرجو الرجوع.

وأحسن الصحبة وراع أوقات فرائض الله تعالىٰ وسنن نبيه ﷺ وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء، وإيثار الراد علىٰ دوام الأوقات.

ثم اغتسل بماء التوبة الخالصة من الذنوب والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع.

وأحرم[1] عن كل شيء يمنعك عن ذكر الله ﷻ ويحجبك عن طاعته ولبِّ بمعنى إجابة صافية خالصة زاكية لله ﷻ في دعوتك له متمسكًا بالعروة الوثقى، وطف بقلبك مع

= فحجَّا ثم رجعا، فجئت أسلم علىٰ صاحبي فقال: جزاك الله يا أخي خيرًا ما رأيت مثل هذا الرفيق، كان يتفضل عليَّ في النفقة وهو معدوم، وأنا موسر وفي الخدمة وأنا شاب وهو شيخ ويطرح لي وأنا مفطر وهو صائم ولقد أبكاني إذا بكى، وأبكى الرفقة ثم خرجت من عنده وأتيت الرجل فقلت: كيف رأيت صاحبك قال: خير صاحب، كثير الذكر طويل التلاوة وسريع الدمعة، جزاك الله عني خيرًا . فائدة: قال علقمة لابنه أصحب من الرجال من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك وإن سألته أعطاك، وإن لم تسأله ابتداك، أصحب من لا يأتيك منه البوائق ولا يختلف منه عليك الخلائق، ولا يخذلك عند الحقائق.

حدائق الأولياء (٢/ ١٥٦، ١٥٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) للإحرام آداب منها:

١ ـ النظافة وتتحقق بتقليم الأظافر وقص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة والوضوء أو الاغتسال وتسريح اللحية وشعر الرأس.

٢ ـ التجرد من الثياب المخيطة ولبس ثوبي الإحرام وهما رداء يلف النصف الأعلى من البدن دون الرأس وإزار يلف به النصف الأسفل منه.

٣ ـ التطيب في البدن والثياب وإن بقي أثره عليه بعد الإحرام.

٤ ـ صلاة ركعتين ينوي بهما سنة الإحرام.

فقه السنة (١/ ٥٥٣)

روي البخاري (١٥٢٤) كتاب الحج ٧ ـ باب مهل أهل مكة للحج والعمرة، عن ابن عباس قال: إن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة، وقال في فقه السنة (١/ ٥٥١): هذه هي المواقيت التي عينها رسول الله ﷺ وهي مواقيت لكل من مر بها سواء كان من أهل تلك الجهات أم كان من جهة أخرى . وقد جاء في كلامه ﷺ قوله: «**هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن لمن أراد الحج أو العمرة**» أي أن هذه المواقيت لأهل البلاد المذكورة ولمن مر بها وإن لم يكن من أهل تلك الآفاق المعينة فإنه يحرم منها إذا أتى مكة قاصدًا النسك.

الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت وهرول هرولة[١] فرًا من هواك، وتبؤاً من جميع حولك وقوتك.

واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلىٰ منى.

ولا تمن ما لا يحل لك ولا تستحقه.

واعترف بالخطأ بالعرفات[٢]، وحدد عهدك عند الله تعالىٰ بوحدانيته وتقرب إليه واتقه بمزدلفة.

واصعد بروحك إلىٰ الملأ الأعلى بصعودك إلىٰ الجبل.

واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة وارم الشهوات والخساسة والدناءة والأفعال الذميمة عند رمي الجمرات.

واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك.

وادخل في أمان الله تعالىٰ وكنفه وستره وحفظه وكلائه من متابعه مرادك بدخول الحرم[٣].

---

(١) اختلفوا في السعي بين الصفا والمروة إلىٰ آراء ثلاثة: ١ ـ فذهب ابن عمر وجابر وعائشة من الصحابة ﷺ ومالك والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه إلىٰ أن السعي ركن من أركان الحج، بحيث لو ترك الحاج السعي بين الصفا والمروة، بطل حجة ولا يجبر بدم ولا غيره . ٢ ـ وذهب ابن عباس وأنس وابن الزبير وابن سيرين ورواية عن أحمد: أنه سنة لا يجب بتركه شيء . ٣ ـ وذهب أبو حنيفة والثوري والحسن إلىٰ أنه واجب ليس بركن، لا يبطل الحج أو العمرة بتركه وأنه إذا تركه وجب عليه دم، ومن شروطه: ١ ـ أن يكون بعد طواف . ٢ ـ أن يكون سبعة أشواط . ٣ ـ وأن يبدأ بالصفا ويختم بالمروة لقدر طوله ٤٢٠ مترا، ٤ ـ وأن يكون السعي في المسعى وهو الطريق الممتد بين الصفا والمروة (مذهب الأحناف: إنهما واجبان لا شرطان، فإذا سعى قبل الطواف أو بدأ بالمروة وختم بالصفا صح سعيه ووجب عليه دم).

فقه السنة (١/ ٦٠٠، ٦٠١)

(٢) أجمع العلماء علىٰ أن الوقوف بعرفه هو ركن الحج الأعظم لما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن يعمر: أن رسول الله ﷺ أمر منادياً ينادي: «**الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك**» وقت الوقوف: يرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف يبتدئ من زوال اليوم التاسع إلىٰ طلوع فجر يوم العاشر وأنه يكفي الوقوف في أي جزء من هذا الوقت ليلا أو نهارًا إلَّا أنه إن وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف إلىٰ ما بعد الغروب . أما إذا وقف بالليل فلا يجب عليه شيء . ومذهب الشافعي: إن مد الوقوف إلىٰ الليل سنة.

فقه السنة (١/ ٦٠٧، ٦٠٨)

(٣) قال النووي: إثبات طواف القدوم للحاج هو مشروع قبل الوقوف بعرفات، وبهذا قاله ابن عمر، قال العلماء كافة سوى ابن عباس وكلهم يقولون: إنه سنة ليس بواجب.

النووي في شرح مسلم (٨/ ١٧٧) =

وزر البيت متحففًا لتعظيم صاحبه ومعرفته وجلاله وسلطانه.

واستلم الحجر رضى بقسمته وخضوعًا لعظمته ودع ما سواه بطواف الوداع[١].

وصفِّ روحك وسرّك للقاء الله تعالىٰ يوم تلقاه بوقوفك علىٰ الصفاء.

وكن ذا مروءة من الله بفناء أوصافك عند المروة.

واستقم على شروط حجك ووفاء عهدك الذي عاهدت ربك وأوجبته يوم القيامة واعلم بأن الله لم يفترض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالإضافة إلىٰ نفسه بقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٢]، ولا شرع نبيه ﷺ في

= من سنن الطواف استقبال الحجر الأسود عند بدء الطواف مع التكبير والتهليل ورفع اليدين كرفعهما في الصلاة واستلامه بهما بوضعهما عليه، وتقبيله بدون صوت ووضع الخد عليه إن أمكن ذلك وإلا مسه بيده وقبلها أو مسه بشيء معه وقبله أو أشار إليه بعض ونحوهما.

النووي في شرح مسلم (١/ ٥٩٠) طبعة دار الكتب العلمية

(١) اختلفوا في طواف الوداع وهو طواف الصدر قال أبو حنيفة وأحمد هو واجب وتركه لغير عذر يوجب دما وقال مالك: ليس بواجب ولا مسنون وإنما هو مستحب ولا يجب فيه دم لأن الدم إنما يجب عنده في ترك الواجب والمسنون.

وعن الشافعي قولان المنصور منهما عند أصحابه وجوبه ووجوب الدم في تركه: ثم اختلفوا فيما إذا طاف للصدر هذا الطواف المذكور ثم أقام لشراء حاجة أو عيادة مريض أو انتظار رفقة أو غير ذلك . هل يجزئه طوافه ذلك أم يحتاج إلىٰ إعادة طواف آخر . فقال الشافعي وأحمد: يعيد طوافًا آخر ولا يجزئه إلَّا ذلك لأنه يجب عنده أن يكون آخر عهده بالبيت . وقال أبو حنيفة: لا يعيد ولو أقام شهرًا وقال مالك: لا بأس لمن ودَّع البيت بطواف الوداع أن يشتري بعض حوائجه، وأن يبيت مع كريه، ولا إعادة ولو أعاد كان أحب إلي . وأجمع موجبوا طواف الوداع علىٰ أنه إنما يجب علىٰ أهل الأمصار ولا يجب علىٰ أهل مكة. واختلفوا فيمن فرغ من أفعال الحج ونوى الإقامة بمكة؛ هل يجب عليه طواف الوداع؟ فقالوا: لا يجب عليه. إلَّا أبا حنيفة فإنه قال: إذا نوى الإقامة بعدما حل له النفر الأول لم يسقط عنه طواف الوداع.

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ٢٩٠، ٢٩١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة آل عمران (٩٧).

قال الحنفية: الاستطاعة هي القدرة علىٰ الزاد والراحلة بشرط أن يكونا زائدين عن حاجياته الأصلية، كالدين الذي عليه والمسكن والملبس والمواشي اللازمة له وآلات الحرفة والسلاح وعن نفقة ما تلزمه نفقتهم مدة غيابه إلىٰ أن يعود . وقال المالكية: الاستطاعة هي إمكان الوصول إلىٰ مكة ومواضع النسك إمكانا عاديًا سواء كان ماشيًا أو راكبًا وسواء كان ما يركبه مملوكًا له أو مستأجرًا ويشترط أن لا تلحقه=

خلال المناسك علىٰ ترتيب ما شرعه للاستعداد والإشارة إلىٰ الموت والقبر والبعث والقيامة.

وفصل بيان السبق من دخول الجنة أهلها ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحج من أولها آخرها لأولي الألباب وأولي النهى.

الباب الثالث والعشرون

في السلامة[١]

قال الصادق رضي الله عنه: اطلب السلامة أينما كنت، وأي حال كنت لدينك وقلبك وعواقب أمورك من الله عز وجل، فليس مَنْ طلبها وجدها، فكيف من تعرض للبلاء وسلك مسالك ضد السلامة وخالف أصولها.

= مشقة عظيمة بالسفر. وقال الشافعية: الاستطاعة نوعان: استطاعة بالنفس واستطاعة بالغير. وقال الحنابلة: الاستطاعة هي: القدرة علىٰ الزاد والراحلة ويشترط أن يكونا فاضلين عما يحتاجه.

الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (٦١٢، ٦١٤)

وقال في فقه السنة (١/ ٥٣٤): يجب علىٰ المرأة الحج كما يجب علىٰ الرجل سواء بسواء إذا استوفت شرائط الوجوب ويزاد عليها بالنسبة للمرأة أن يصحبها زوج أو محرم فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يخلون رجل بامرأة إلَّا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلَّا مع ذي محرم**» فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا. فقال: «**انطلق فحج مع امرأتك**» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

(١) قال بعض العلماء رحمهم الله: لله تعالىٰ بالمسلمين من الألطاف ما لا تصل إليهم أوهامهم ولا تتصورها عقولهم ومن شديد النقمة للكفار ما لا يقدر قدره وإذا جاز أن يكفر الإنسان مرة يسيرة فيعاقبه الله النار أبداً فلم لا يجوز أن يضع عليه من ذنوب المسلمين مالا يفعله. ثم روي أبو القاسم الأصبهاني بإسناده عن عقبة بن وساج قال: كان أبو مسلم الخولاني جار يهودي يكني أبو مسلم فكان يمر ويقول: يا أبا مسلم أسلم تسلم. فيقول: إن لي دينا خيراً من دينك. قال: ضمر به ذات يوم وهو قائم يصلي فقاله له: يا أبا مسلم، ألم أكن أدعوك إلىٰ هذا الدين فتأبى علي. قال: بلى، ولكن قرأت في التوراة غير (المعدلة): إن هذه الأمة تأتي يوم القيامة علىٰ ثلاث أصناف: صنف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وصنف يحاسبون حساباً يسيراً، ويبقى صنف أوزارهم علىٰ ظهورهم كأمثال الجبال فيقول الله عز وجل لملائكته: من هؤلاء؟ فيقولون: هؤلاء عباد من عبادك كانوا يشهدون أن لا إله إلَّا أنت. قال: فيقول الله تعالىٰ: خذوها ـ يعني أوزارهم ـ وضعوها علىٰ المشركين، فيدخلون الجنة.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٨١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

بل رأى السلامة تلفًا والتلف سلامة والسلامة قد عزلت من الخلق في كل عصر خاصة في هذا الزمان.

وسبيل وجودها في احتمال جفاء الخلائق وأذيتهم والصبر عند الرزايا وخفة الموت[١] والفرار من الأشياء التي تلزمك رعايتها.

والقناعة بالأقل من الميسور.

فإن لم تكن فالعزلة.

فإن لم تقدر فالصمت، وليس كالعزلة فإن لم تستطع فالكلام بما ينفعك ولا يضرك وليس كالصمت[٢]. فإن لم تجد السبيل فالإنقلاب في الأسفار من بلد إلىٰ بلد وطرح النفس في براري التلف، بسرّ صاف وقلب خاشع وبدن صابر قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣]. أي: قناعة، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٤] أي في طمع، وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

قال في الرسالة القشيرية: قال كثير من المفسرين: المراد بالحياة الطيبة في الدنيا هي القناعة. وقيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٨١] أي: يميتني بالطمع، ويحييني بالقناعة. وقال الجنيد رحمه الله في قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١] أي لألبسنه ثوب الطمع ولأحرمنه القناعة. قال السلمي في حقائقه: في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي: تبيض وجوه قوم بالقناعة وتسود وجوه قوم بالطمع. قال في الرسالة القشيرية: لما مر الخضر عليه السلام بالجدار قال موسى: «**لو شئت لتخذت عليه أجراً**» فلما خرجا من القرية دعا الخضر ظبياً فوقف بينهما، فصار الجانب الذي يلي الخضر لحماً مشوياً، والجانب الذي يلي موسى لحما طرياً. فسأله موسى عن ذلك، فقال: لأنك طمعت وأنا قنعت. أو قال كلاماً هذا معناه.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١٢٢، ١٢٣)

(٢) روي أن عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام لقي خنزيراً علىٰ الطريق فقال له: انفذ بسلام، فقيل له: أتقول هذا للخنزير، فقال: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء. وقال بعض الحكماء: الصمت فيه سبعة آلاف خير، وقد جمع ذلك في سبع كلمات: الأولى: أن الصمت عبادة فيه سبعة آلاف خير وقد جمع من غير عناء الثانية: أنه زينة من غير حلي الثالثة: أنه هيبة من غير سلطان الرابعة: أنه حصن من غير حائط الخامسة: الاستغناء عن الاعتذار عن فضول الكلام عن كل أحد. السادسة: راحة الكرام الكاتبين. السابعة: أنه ستر للعيوب.

بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ٢٣٥) طبعة دار الكتب العلمية

فَنُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾[١].

وتنتهز مغنم عباد الله الصالحين ولا تنافس الأشكال ولا تنازع الأضداد[٢].

ومن قال لك: أنا، فقل: أنت ولا تدع شيئًا.

وان أحاط به علمك وتحققت به معرفتك ولا تكشف سرّك إلَّا لمن هو أشرف منك في الدين فتجد الشرف.

فإن فعلت ذلك أصبت السلامة وبقيت مع الله ﷻ بلا علاقة.

الباب الرابع والعشرون
في العزلة[٣]

قال الصادق رضي الله عنه: صاحب العزلة متحصن بحصن الله تعالىٰ ومتحرس بحراسته فيا طوبى لمن تفرد به سرًّا وعلانية.

وهو يحتاج إلىٰ عشرة خصال.

---

(١) سورة النساء (٩٧).

(٢) اختلف العلماء في حد الكبيرة علىٰ أقوال كثيرة جمعها أبو طالب المكي فقال: أربع في القلب وهي: الإصرار علىٰ المعصية، والشرك، واليأس من رحمة الله، والأمن من مكر الله، وثلاثة في البطن وهي: شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا، واثنتان في الفرج: الزنا واللواطا واثنتان في اليد: السرقة والقتل وواحدة في جميع البدن وهي عقوق الوالدين، وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف، وأربع في اللسان وهي: شهادة الزور وقذف المحصنات والسحر واليمين الغموس وهي التي يتعمد فيها الكذب سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم.

بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ٢٦٠) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) روى البخاري في صحيحه (٦٤٩٤) كتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خلاط السوء، ومسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (١٨٨٨)] كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: «**مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال: ثم من؟ قال: «ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره»**.

قال النووي: فيه دليل لمن قال بتفضيل العزلة علىٰ الاختلاط وفي ذلك خلاف مشهور فمذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن ومذهب طوائف أن الاعتزال أفضل وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول علىٰ الاعتزال في زمن الفتن والحروب أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص وقد كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه=

علم الحق والباطل، وتحبب الفقر.

واختيار الشدة والزهد.

واغتنام الخلوة والنظر في العواقب، ورؤية التقصير في العبادة، مع بذل المجهود وترك العجب.

وكثرة الذكر بلا غفلة.

فإن الغفلة مصطاد الشيطان ورأس كل بلية وسبب كل حجاب.

وخلوة البيت[١] عما يحتاج إليه في الوقت.

قال عيسى ابن مريم عليه السلام: احرز لسانك لعماره قلبك، وليسعك بيتك واحذر من الرياء[٢].

= عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين فيحصلون منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك . وأما الشعب فهو ما انفرج بين جبلين وليس المراد نفس الشعب خصوصاً بل المراد الانفراد والاعتزال.

شرح مسلم (١٣/ ٣٠، ٣١) طبعة دار الكتب العلمية

(١) قال ابن الملقن بعد أن ذكر حديث مسلم المتقدم: وفيه أن المعتزل في شعب أفضل الناس وفيه ثلاث فوائد للعزلة: عبادة الرب تعالى، ولا شك أن الفراغ من كل شاغل عن الخير ميسر للخير وأن التفرد عن الخلق أبعد عن الرياء وأعون علىٰ الإخلاص والفائدة الثانية: تقوى الله ولا شك أن كثيراً من المعاصي تتعذر في العزلة فكانت مطية التقى وثالثها: ويدع الناس من شره وإنها لفائدة جليلة وصدقة جزيلة وفيه أحد مواطن العزلة وهو شعب من الشعاب ولزوم البيت قريب منه.

حدائق الأولياء (١/ ٥٦٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال تعالىٰ: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤] .

فالريا يبطل العمل إبطالاً يضرب به المثل ونضرب بمثله الأمثال، وقال تعالىٰ: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية فهو شأن المنافقين وكفى به مقتا . وروينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حكاية عن الله تعالىٰ: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك عن عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»** وما أشد الإعراض وروينا عنه مرفوعا: **«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها . قال: قاتلت فيك حتى استشهدت . قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها. قال: تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت فيك=**

وفضول معاشك.

واستحيي من ربك.

وابك علىٰ خطيئتك.

وفر من الناس فرارك من الأسد والأفعى فإنهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء.

ثم الق الله تعالىٰ متى شئت.

قال ربيع بن خيثم: إن استطعت أن تكون اليوم في موضع لا تعرف ولا تُعرف فافعل[1].

ففي العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش.

وكسر سلاح الشيطان ومجانبة من سوء، وراحة القلب.

= **القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق لك فيها إلَّا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه فألقي في النار»**.

حدائق الأولياء (١/ ٤٣٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) مر الربيع بن خيثم في الحدادين فنظر إلىٰ كير فصعق.

وكان إذا قيل له كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا.

كان الربيع بن خيثم إذا أصبح قال: مرحباً بملائكة الله بما كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر.

كان الربيع بن خيثم يقول في دعائه: أشكو إليك حاجة لا يحسن بها إلَّا إليك.

بينما الربيع بن خيثم جالس علىٰ باب داره إذ جاءه حجر فصك وجهه فقال: لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل الدار وأغلق الباب وما رؤي في ذلك المجلس حتى مات وكان الربيع يبكي حتى تبل لحيته من دموعه ثم يقول: أدركنا أقواماً كما في جنوبهم لصوصًا كان الربيع بن خيثم يقول: السرائر التي تختفي علىٰ الناس وهي لله بوادٍ التمسوا دواءهن التمسوا دواءهن ثم يقول: وما دواءهن . دواؤهن أن تتوب فلا تعود.

وقال لأصحابه يوما: تدرون ما الداء والدواء والشفاء . قالوا: لا، قال: الداء الذنوب والدواء الاستغفار والشفاء أن تتوب ثم لا تعود.

صفة الصفوة (٢/ ٨٢، ٨٣)

وما من نبي ولا وصي إلَّا واختار العزلة في زمانه إما في ابتدائه وإما في انتهائه.

الباب الخامس والعشرون
في العبادة[١]

قال الصادق رضي الله عنه: داوم علىٰ تخليص المفروضات والسنن فإنهما الأصل.

فمن أصابهما وأداهما بحقهما أصاب الكل وإن خير العبادة أقربها بالأمن وأخلصها الآفات وأدومها وإن أقل.

فإن سلم لك فرضك وسننك فأنت عابد واحذر أن تطأ بساط ملك إلَّا بالذل والافتقار والخشية والتعظيم واخلص حركاتك من الرياء.

وسرّك من القساوة.

فإن النبي ﷺ قال: «**المصلي مناج ربه**»[٢]، فاستحِ من المطلع علىٰ سرّك، والعالم بنجواك وما يخفى ضميرك وكن بحيث يراك لما أراد منكَ ودعاك إليه[٣]، فكان السلف لا

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٣) كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلىٰ الله أدومه، ورقم (١١٥١) كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة.
ومسلم في صحيحه [٢١٥ ـ (٧٨٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام وغيره.
عن عائشة وفيه عن النبي ﷺ: «**يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا . . . . الحديث**».
قال النووي: قال العلماء: الملل والسآمة بالمعنى المتعارف في حقنا محال في حق الله تعالىٰ فيجب تأويل الحديث . قال المحققون: معناه لا يعاملكم معاملة المال فيقطع عنكم ثوابه وجزاءه وبسط فضله ورحمته حتى تقطعوا عملكم . وقيل: معناه لا يمل إذا مللتم وقاله ابن قتيبة وغيره وحكاه الخطابي وغيره وأنشدوا فيه شعراً قالوا ومثاله قولهم في البليغ فلان يقطع حتى يقطع خصومه معناه لا يقطع إذا انقطع خصومه ولو كان معناه ينقطع إذا انقطع خصومه لم يكن له فضل علىٰ غيره وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته لأنه أرشدهم إلىٰ ما يصلحهم.
شرح مسلم (٦/ ٦٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٢١٢) كتاب الوضوء باب الوضوء من النوم، ومسلم في صحيحه (٢٢٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته واستعجم عليه القرآن أو الذكر يرقد =

يزالون يشغلون من وقت الفرائض إلىٰ وقت الفرض في إصلاح الفرضين جميعًا في إخلاص.

حتى يأتوا بالفرضين جميعًا.

وأرى الدولة في هذا الزمان للفضائل علىٰ ترك الفرائض.

كيف يكون جسدًا بلا روح.

قال علي بن الحسين رضي الله عنه: عجبت لطالب فضيلة تارك فريضة[1].

وليس ذلك إلَّا لحرمان معرفة الأمر وتعظيمه وترك رؤية مشيئته بما أهلهم لأمره واختارهم له.

= أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك.

عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه**».

قال النووي: فيه الحث علىٰ الإقبال علىٰ الصلاة بخشوع وفراغ قلب ونشاط وفيه أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس وهذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور لكن لا يخرج فريضة عن وقتها قال القاضي: وحمله مالك وجماعة علىٰ نفل الليل لأنه محل النوم غالباً.

النووي في شرح مسلم (٦/ ٦٥) طبعة دار الكتب العلمية.

قال النووي: في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وجمع مسلم رحمه الله طرقه فأتقنها وحاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم وإرشادهم إلىٰ مصالحهم وحثهم علىٰ ما يطيقون الدوام عليه.

النووي في شرح مسلم (٨/ ٣٣) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) قال النووي: تارك الصلاة إن كان منكراً لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج عن ملة الإسلام إلَّا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلىٰ أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن لكنه يقتل بالسيف وذهب جماعة من السلف إلىٰ أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله.

شرح مسلم (٢/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية

الباب السادس والعشرون
في التفكر[١]

قال الصادق رضي الله عنه: اعتبر بما مضى من الدنيا هل ما بقي علىٰ أحد، هل أحد فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدو.

فكذلك لم يأت منها بما مضى أشبه من الماء بالماء.

قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالموت واعظًا وبالعقل دليلاً وبالتقوى زادًا وبالعبادة شغلاً وبالله مؤنسًا وبالقرآن بيانًا**»[٢].

قال رسول الله ﷺ: «**لم يبق الدنيا إلَّا بلاء وفتنة، وما نجا من نجا إلَّا بصدق الالتجاء**»[٣].

وقال نوح عليه السلام: وجدت الدنيا كبيت له بابان، دخلت من إحداهما وخرجت من الأخر.

هذا حال نجيّ الله عليه السلام، فكيف حال من اطمأن فيها وركن إليها وضيّع عمره في

---

(١) قال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري علىٰ شيء إلَّا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل والاعتبار، وعن الحسن البصري أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال الفضيل: قال الحسن . الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقال سفيان بن عيينة: الفكر نور يدخل قلبك وربما تمثل هذا البيت.

إذا الـمـرء كـانـت لـه فـكـرة ففـي كـل شـيء لـه عـبـرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: طوبى لمن كان قوله تذكرا وصمته تفكراً ونظره عبراً، وقال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألهم للفكرة وطول الفكرة دليل علىٰ طرق باب الجنة . قال وهب بن منبه: ما طالت فكرة امرئ قط إلَّا فهم ولا فهم امرؤ قط إلَّا علم ولا علم امرؤ قط إلَّا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن والفكرة في نعم الله أفضل العبادة . وقال مغيث الأسود: زوروا القبور كل يوم تفكركم وشاهدوا الموقف بقلوبكم وانظروا إلىٰ المنصرف بالفريقين إلىٰ الجنة أو النار.

تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٨)

(٢) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٨)، والزبيدي في الاتحاف (٩/ ١٣، ١٠/ ٢٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٦٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ١٦٤)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٠٢).

(٣) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٤٠٣٥)، وابن حبان في صحيحه (١٨٢٨ ـ الموارد).

عمارتها ومزود في طلبها[١].

والفكرة مرآة الحسنات وكفارة السيئات وضياء القلب وفسحة للخلق وإصابة في إصلاح المعاد واطلاع علىٰ العواقب واستزادة في العلم.

وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها.

قال رسول ﷺ: «**فكرة ساعة خير من عبادة سنة**»[٢].

ولا ينال منزلة التفكر إلَّا من قد خصه الله بنور المعرفة والتوحيد.

الباب السابع والعشرون
في الصمت[٣]

قال الصادق رضي الله عنه: الصمت شعار المحققين بحقائق سبق وجف القلم به.

---

(١) قال بشر بن الحارث الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالىٰ لما عصوه، وقال الحسن عن عامر ابن عبد قيس قال: سمعت غير واحد واثنين وثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر: وعن عيسى عليه السلام أنه قال: يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت وكن في الدنيا ضيفا واتخذ المساجد بيتاً وعلم لعينك بالبكاء وجسدك الصبر وقلبك الفكر ولا تهتم برزق غد: وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أنه بكى يوما بين أصحابه فسئل عن ذلك . فقال فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها ما تكاد شهواتها تنقضي حقي تكدرها مرارتها ولئن لم يكن فيها عبر لمن اعتبر، إن فيها مواعظ لمن ادّكر وقد ذم الله تعالىٰ من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة علىٰ ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ ومدح عباده المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قائلين ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] أي ما خلقت هذا الخلق عبثاً.

تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)

(٢) بلفظ خير من عبادة ستين سنة أخرجه: الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٤٢)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٠٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٧٠، ٤٧١)، والسيوطي في اللآلئ (٢/ ١٧٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤٤)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٧٣).

(٣) روى البخاري في صحيحه (٦٠١٨) كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم في صحيحه [٧٤ ـ (٤٧)] كتاب الإيمان، ١٩ ـ باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلَّا عن الخير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**» . . . الحديث. =

وهو مفتاح كل راحة من والآخرة.

وفيه رضي الله وتخفيف الحساب.

والصون الخطايا والزلل.

وقد جعله الله سترًا علىٰ الجاهل وزينًا للعالم.

ومعه عزل الهوى ورياضة النفس وحلاوة العبادة.

وزوال قسوة القلب[١].

والعفاف والمروة والظرف.

= قال النووي: فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان من يتكلم به خيراً محققاً يثاب عليه واجباً أو مندوباً فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوى الطرفين . فعلى هذا يكون الكلام المباح مأموراً بتركه مندوباً إلىٰ الإمساك عنه، مخافة من انجراره إلىٰ المحرم أو المكروه وهذا يقع في العادة كثيراً أو غالباً . وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨] واختلف السلف والعلماء في أنه هل يكتب جميع ما يلفظ به العبد وإن كان مباحاً لا ثواب فيه ولا عقاب لعموم الآية، أم لا يكتب إلَّا ما فيه جزاء من ثواب أو عقاب وإلى الثاني ذهب ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره من العلماء . وعلىٰ هذا تكون الآية مخصوصة أي ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء وقد ندب الشرع إلىٰ الإمساك عن كثير من المباحات لئلا يجر صاحبها إلىٰ المحرمات أو المكروهات.

النووي في شرح مسلم (٢/ ١٧) طبعة دار الكتب العلمية

(١) روى الترمذي في سننه (٢٤١١) كتاب الزهد باب منه رقم (٦١) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالىٰ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي**».

وفي الترمذي (٢٦١٦) كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، عن معاذ قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ قال ﷺ: «**لقد سألت عن أمر عظيم وإنه ليسير علىٰ من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت**» ثم قال ﷺ: «**ألا أدلك علىٰ أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل**» ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدَة: ١٦] حتى بلغ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ثم قال ﷺ: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ ﷺ بلسانه وقال: «**كف عليك هذا**» . قلت يا رسول الله، وإنها لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم إلَّا حصائد ألسنتهم؟!**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فاغلق باب لسانك عما لك منه بد.

لا سيما إذا لم تجد أهلاً للكلام.

عدا المذاكرة لله وفي الله.

وكان الربيع بن خيثم يضع قرطاسًا بين يديه فيكتب كل ما يتكلم به.

ثم يحاسب نفسه في عشيته، ما له وما عليه ويقول: آه آه نجا الصامتون يقينًا.

وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يضع الحصاة في فمه.

فإذا أراد أن يتكلم بما علم لله وفي الله ولوجه الله أخرجها من فمه[١].

وإن كثيرًا من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتنفسون تنفس الغرقى.

ويتكلمون شبيه المرضى.

وإنما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت.

فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت وفوائده.

فإن ذلك من أخلاق الأنبياء وشعار الأصفياء.

---

(١) قال النووي: قال الإمام الجليل أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد إمام المالكية بالمغرب في زمنه: جماع آداب الخير يتفرع من أربعة أحاديث قول النبي ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**.

وقوله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء ترك مالا يعنيه»** وقوله ﷺ للذي اختصر له الوصية: **«لا تغضب»**. وقوله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»** والله أعلم. وروينا عن الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله قال: الصمت بسلامة وهو الأصل والسكون في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال قال: وسمعت أبا علي الدقاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس. قال: فأما إيثار أصحاب المجاهدة السكوت، فلما علموا ما في الكلام من الآفات ثم ما فيه من حظ النفس وإظهار صفات المدح والميل إلىٰ أن يتميز من أبين أشكاله يحسن النطق وغير هذا من الآفات وذلك نعت أرباب الرياضة وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق. وروينا عن الفضيل بن عياض رحمه الله. قال: من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وعن ذي النون رحمه الله: أصون الناس لنفسه أمسكهم للسانه. والله أعلم.

النووي في شرح مسلم (٢/ ١٧، ١٨) طبعة دار الكتب العلمية

ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصمت[١] ومن أشرف علىٰ ما في لطائف الصمت وائتمنه خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ولا يطلع عبادته هذه إلَّا الملك الجبار.

الباب الثامن والعشرون

في الراحة

قال الصادق ﷺ: لا راحة لمؤمن علىٰ الحقيقة إلَّا عند لقاء الله تعالىٰ[٢]، وما سوى ذلك ففي أربعة أشياء: صمت تعرف به حال قلبك ونفسك.

---

(١) روي عن سفيان ﷺ أنه قال: قالوا لعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام: دلنا علىٰ عمل ندخل به الجنة؟ قال: لا تنطقوا إلَّا بخير . وروي: أن عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام لقي خنزيراً علىٰ الطريق فقال له: انفذ بسلام، فقيل له: أتقول هذا لخنزير، فقال: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء . وقال بعض الحكماء: الصمت فيه سبعة آلاف خير، وقد جمع ذلك في سبع كلمات:

الأولى: أن الصمت عبادة فيه سبعة آلاف خير، وقد جمع من غير عناء .

الثانية: أنه زينة من غير حلي . الثالثة: أنه هيبة من غير سلطان .

الرابعة: أنه حصن من غير حائط .

الخامسة: الاستغناء عن الاعتذار عن فضول الكلام عن كل أحد .

السادسة: راحة الكرام الكاتبين .

السابعة: أنه ستر للعيوب ويقال: يقول اللسان للجوارح في كل صباح: ما حالكم؟ فيقلن: بخير إن تركتنا . وقال علي بن أبي طالب ﷺ: إذا تم العقل نقص الكلام . وقال لقمان لابنه: يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك . وقال حاتم ﷺ: طلب رجلان العلم، فلما علما صمت أحدهما وتكلم الآخر . فكتب المتكلم إلىٰ الصامت:

وما شيء أردت به اكتساباً ما جمع في المعيشة من لساني
وما شيء أردت به كمالاً أحق بطول سجن من لساني

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٢٣٥، ٢٣٦)

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٤ ـ (٢٦٨٣)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة، ٥ ـ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، عن عبادة بن الصامت أن نبي الله ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**».

وقال النووي: قالت عائشة: فقلت يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا يكره الموت قال: ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وأن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه هذا الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويكشف له عن ذلك فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلىٰ ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم أي فيجزل لهم العطاء=

فيما يكون بينك وبين بارئك.

وخلوة تنجو بها من آفات الزمان ظاهرًا وباطنًا.

وجوع تميت به الشهوات والوسواس.

وسهر تنوَّر به قلبك وتصفي به طبعك وتزكي به روحك.

قال النبي ﷺ: «**من أصبح في سربه آمنًا وفي بدنه معافًا وعنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا بحذافيرها**»[1].

وقال وهب بن منبه في كتب الأولين والآخرين مكتوب: يا قناعة العز والغنى معك فاز من فاز بك. قال أبو الدرداء[2] رضي الله عنه: ما قسم الله لي ما يفوتني ولو كان في جناح ريح.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: هتك سرّ من لا يثق بربه ولو كان محبوسًا في الصم الصياخيد فليس أحد أخسر وأرذل وانزل ممن لا يصدق ربه فيما ضمن له وتكفل به من قبل أن

= والكرامة وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم.

شرح مسلم للنووي (١٧/ ٩) طبعة دار الكتب العلمية

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٣٤٦) وابن ماجة في سننه (٤١٤١)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٠٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠)، والزبيدي في الاتحاف (٨/ ١٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ١٢٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٤٩)، والشجري في أماليه (٢/ ١٦١)، والحميدي في مسنده (٤٣٩)، والمغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٦٦)، والقرطبي في تفسيره (٦/ ١٣٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٠).

(٢) أبو الدرداء من المهاجرين لم يشهد بدراً وله إسلام قديم وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق سئلت أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعبار قال أبو الدرداء: يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدين والجيران في الدار والأنصار علىٰ الأعداء ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي علىٰ غيركم مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون وأراكم قد أقبلتم علىٰ ما تكفل لكم به وتركتم ما أمرتم به ألا إن قوما بنوا شديدا وجمعوا كثيرًا وأملوا بعيدًا فأصبح بنيانهم قبوراً وأملهم غرورا وجمعهم بورا ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في الناس بعدهما . كتب أبو الدرداء إلىٰ مسلمة بن مخلد الأنصاري: أما بعد فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله فإذا أحبه الله حببه إلىٰ خلقه وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فإذا أبغضه الله أبغضه إلىٰ خلقه.

صفة الصفوة (١/ ٣٦٤

يخلقه، وهو مع ذلك يعتمد قوته وتدبيره وجهده وسعيه ويتعدى حدود ربه بأسباب قد أغناه الله تعالىٰ بها.

الباب التاسع والعشرون
في القناعة[١]

قال الصادق رضي الله عنه: لو حلف القانع بتملكه علىٰ الدارين لصدقه الله عز وجل بذلك ولأبره. لعظم شأن مرتبة القناعة.

ثم كيف لا يقنع العبد بما قسم الله له وهو يقول: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢][٢].

فمن أذعن وصدقه بما شاء ولما شاء بلا غفلة وأيقن بربوبيته أضاف تولية الإقسام إلىٰ نفسه بلا سبب.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج موسى إلىٰ شاطئ البحر فوجد مؤمنًا وكافراً يصيران السمك بشبكة فالمؤمن يذكر ربه فلا يصيد شيئاً والكافر يذكر ضمه فيقع السمك علىٰ شبكته، فتعجب موسى من ذلك فأوحى الله إليه، يا موسى، انظر، فنظر إلىٰ الجنة فيها حوض من ذهب مكتوب عليه اسم المؤمن فيه من الحيتان ما لا يحصى. ثم قال: انظر يا موسى، فنظر إلىٰ جهنم وفيها قصر من نار مكتوب عليه اسم الكافر وفيه من الحيات والعقارب ما لا يعلمه إلَّا الله فأوحى الله إليه يا موسى قل لعبدي المؤمن: أيام أحب إليك حيتان البحر بدلا من نعيم الجنة أو نعيم الجنة بدلا عن حيتان البحر؟ قال: فبكى الرجل وقال: يا رب إن منعت عني الرزق صبرت طمعاً في رضاك فكيف لا أصبر علىٰ حيتان البحر.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١١٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة الزخرف (٣٢).

قال تعالىٰ مبيناً أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية وقوله جلت عظمته: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] قيل معناه ليسخر بعضهم بعضا وهو راجع إلىٰ الأول ثم قال عز وجل: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] أي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا ثم قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الزخرف: ٣٣] أي لولا أن يعتقد كثير من الناس لمن أعطيناه فيجتمعوا علىٰ الكفر لأجل المال هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي سلالم ودرجات من فضة. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم. ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣] أي يصعدون ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾ [الزخرف: ٣٤] أي: إغلاقا علىٰ أبوابهم ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ أي جميع ذلك يكون فضة ﴿وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: ٣٥] أي وذهبًا قاله ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد.

تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٧)

ومن قنع بالمقسوم استراح من الهم والكرب والتعب.

وكلما انقص من القناعة زاد في الرغبة والطمع في الدنيا أصل كل شرّ[١]

وصاحبها لا ينجو من النار إلَّا أن يتوب، ولذلك قال ﷺ: «**القناعة ملك لا يزول**»[٢].

وهي مركب رضى الله تعالىٰ تحمل صاحبها إلىٰ داره.

فأحسن التوكل فيما لم تعطه، والرضا بما أعطيت، واصبر علىٰ ما أصابك فإن ذلك من عزم الأمور.

الباب الثلاثون

في الحرص

قال الصادق رضي الله عنه: لا تحرص علىٰ شيء لو تركته لوصل إليك[٣] وكنت عند الله تعالىٰ مستريحًا محمودًا بتركه ومذمومًا باستعجالك في طلبه.

وترك التوكل عليه والرضا بالقسم فإن الدنيا خلقها الله تعالىٰ بمنزلة الظل إن طلبته أتعبك ولا تلحقه أبدًا.

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣] أي: قناعة، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٤] أي في طمع، وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] قال في الرسالة القشرية: قال كثير من المفسرين المراد بالحياة الطيبة في الدنيا هي القناعة وقيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٨١] أي يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة وقال الجنيد رحمه الله في قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١] لألبسنه ثوب الطمع ولأحرمنه القناعة. قال السلمي في حقائقه: في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي: تبيض وجوه قوم بالقناعة وتسود وجوه قوم بالطمع. قال في الرسالة القشيرية: لما مر الخضر عليه السلام بالجدار قال موسى: «**لو شئت لاتخذت عليه أجرا**» فلما خرجا من القرية دعا الخضر ظبيًا فوقف بينهما فصار الجانب الذي يلي الخضر لحمًا مشويًا والجانب الذي يلي موسى لحمًا طريًا فسأله موسى عن ذلك فقال: لأنك طمعت وأنا قنعت. أو قال كلاما هذا معناه.

بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ١٢٢، ١٢٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: بلفظ "القناعة ما لا ينفد" الشجري في أماليه الحديثية (٢/ ١٩٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٣٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٥١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٩٤).

وبلفظ: "القناعة كنز لا يفنى". أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦١).

(٣) في النهي عن المسألة قال النووي: اتفق العلماء عليه إذا لم تكن ضرورة واختلف أصحابنا في مسألة القادر علىٰ الكسب علىٰ وجهين أصحهما: أنها حرام لظاهر الأحاديث. =

وإن تركته تبعك وأنت مستريح.

قال النبي ﷺ: «**الحريص محروم**»[١] وهو مع حرمانه مذموم في أي كان وكيف لا يكون محرومًا وقد فرّ من وثاق الله تعالىٰ ﷻ[٢].

وخالف قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الرُّوم: ٤٠][٣].

والحريص بين سبع آفات صعبة.

فكر يضرّ بدنه ولا ينفعه.

وهمّ لا يتم له أقصاه.

= والثاني: حلال مع الكراهة بثلاثة شروط: أن لا يذل نفسه، ولا يلح في السؤال، ولا يؤذي المسؤول، فإن فقد أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق والله أعلم.

وقوله ﷺ: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**».

قال القاضي: قيل معناه يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله وقيل: هو علىٰ ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه كما جاءت الأحاديث الأخر بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالا منهيًا عنه وأكثر منه كما في الرواية الأخرى من سأل تكثراً والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (٧/ ١١٦) طبعة دار الكتب العلمية

(١) لم أقف عليه.

(٢) روى مسلم في صحيحه [١١٥ ـ (١٠٤٧)] كتاب الزكاة، باب كراهه الحرص علىٰ الدنيا، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص علىٰ المال والحرص علىٰ العمر**»، وفي رقم (١١٦) حديث أنس أيضاً وقوله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلَّا التراب ويتوب الله علىٰ من تاب**».

وفي رواية ولن يملأ فاه إلَّا التراب وفي رواية ولا يملأ نفس ابن آدم إلَّا التراب فيه ذم الحرص علىٰ الدنيا وحب المكاثرة بها والرغبة فيها ومعنى لا يملأ جوفه إلَّا التراب أنه لا يزال حريصاً علىٰ الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره وهذا الحديث خرج علي حكم غالب بني آدم في الحرص علىٰ الدنيا ويؤيده قوله ﷺ: «**ويتوب الله علىٰ من تاب**» وهو متعلق بما قبله ومعناه أن الله يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات . قوله ﷺ: «**ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس**» العرض هنا بفتح العين والراء جميعا وهو متاع الدنيا ومعنى الحديث الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة حرصها لا كثرة المال مع الحرص علىٰ الزيادة لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى.

شرح مسلم للنووي (٧/ ١٢٤، ١٢٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) سورة الروم (٤٠).

وتعب لا يستريح منه إلَّا عند الموت.

ويكون عند الراحة أشد تعبًا.

وخوف لا يورثه إلَّا الوقوع فيه.

وحزن قد كدر عليه عيشه بلا فائدة وحساب لا مخلص له معه من عذاب الله تعالىٰ إلَّا أن يعفو الله عنه[1].

وعقاب لا مفر له منه ولا حيلة.

والمتوكل على الله تعالىٰ يصبح ويمسي في كنف الله تعالىٰ وهو في عافية.

وقد عجل الله كفايته وهيأ له من الدرجات ما الله تعالىٰ به عليم.

والحرص ما يجري في منافذ غضب الله تعالىٰ، وما لم يحرم العبد اليقين يكون لا حريصًا، واليقين أرض الإسلام وسماء الإيمان.

(١) حديث مسلم (١٢١ ـ (١٠٥٢)] كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، عن أبي سعيد الخدري وفيه قوله ﷺ: «**ما أخشى عليكم أيها الناس إلَّا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا فقال رجل: يا رسول الله أيأتي الخير بالشر فقال له رسول الله ﷺ: إن الخير لا يأتي إلَّا بخير أو خير هو**» فمعناه أنه ﷺ حذرهم من زهرة الدنيا وخاف عليهم منها فقال هذا الرجل: إنما يحصل ذلك لنا من جهة مباحة كغنيمة وغيرها وذلك خير وهل يأتي الخير بالشر وهو استفهام إنكار واستبعاد أي يبعد أن يكون الشيء خيرًا ثم يترتب عليه شر فقال له النبي ﷺ: «**أما الخير الحقيقي فلا يأتي إلَّا بخير**» أي لا يترتب عليه إلَّا خير ثم قال: "أو خير هو" معناه أن هذا الذي يحصل لكم من زهرة الدنيا ليس بخير وإنما هو فتنة وتقديره الخير لا يأتي إلَّا بخير ولكن ليست هذه الزهرة بخير لما تؤذي إليه من الفتنة والمنافسة والاشتغال بها عن كمال الإقبال علىٰ الآخرة.

شرح مسلم للنووي (٧/ ١٢٧، ١٢٨) طبعة دار الكتب العلمية

الباب الواحد والثلاثون
في الزهد[١]

قال الصادق رضي الله عنه: الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله تعالىٰ من غير تأسف علىٰ فوتها ولا إعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا تطلب محمدة عليها ولا غرض لها، بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ويكون أبدًا هاربًا من الآفة معتصمًا بالراحة.

الزاهد الذي يختار الآخرة والذل علىٰ العز والدنيا[٢] والجهد علىٰ الراحة والجوع علىٰ الشبع وعافية الأجل علىٰ المحنه العاجل والذكر علىٰ الغفلة وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة قال رسول الله ﷺ: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**الدنيا جيفة، وطلابها كلاب**»[٤].

ألا ترى كيف أحب ما أبغضه الله وأي خطيئة أشد جرمًا من هذا.

قال بعض أهل البيت: لو كانت بأجمعها لقمة في فم طفل لرحمناه، فكيف حال من

---

(١) حكى بعض العارفين: رأيت كأن القيامة قد قامت والناس يذهبون إلىٰ الجنة زمراً زمراً فنظرت إلىٰ طبقة أحسن الناس وجهاً فذهبت لأكون معهم فأحالت الملائكة بيني وبينهم فقلت لهم: ولم؟ قالوا: هؤلاء هم السابقون، لا يكون معهم إلَّا من كان له قميص واحد، وأنت لك قميصان ومن كل شيء اثنان فاستيقظت مرعوباً وصار لا يملك إلَّا واحداً من كل نوع.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١١٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرج النسائي في سننه (٧/ ٦١ ـ المجتبي)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٨، ٢٨٥)، عنه ﷺ قال: «**حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة**».

والجواب أنه ﷺ كان مشرّعاً، فحبب الله إليه ثلاثة أشياء لتكون شريعته متبعة إلىٰ يوم القيامة ولأن شيم الطيب يزيد في العقل وبقدرة العقل يقوم الدين . وقال الشافعي رحمه الله: من طاب ريحه زاد عقله، ومن نظف ثوبه قل همه . وقال النبي ﷺ: «**إن الله تعالىٰ نظيف يحب النظافة وطيب يحب الطيب وجواد يحب الجود**» رواه الترمذي . وذكر العلامة في تفسيره: أن الثوب النظيف يسبح الله تعالىٰ . وأما النساء: فهن سبب العفة وقمع الشهوة وبهن يكثر العباد وبكثرة العباد تكثر العبادة.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١١٤، ١١٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (٣/ ١٣١، ٧/ ٣٥٤) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٥٧).

(٤) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٩٣)، والسيوطي في الدرر المنتثرة (٨٥).

نبذ حدود الله تعالىٰ وراء ظهوره في طلبها والحرص عليها والدنيا دار لو حسنت سكناها لما رحمتك ولما أجبتك وأحسنت وداعك[١].

قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق تعالىٰ الدنيا أمرها بطاعته فأطاعت ربها، فقال لها: خالفي من طلبك وواقفي من خالفك**» وهي علىٰ ما عهد الله إليها وطبعها بها.

الباب الثاني والثلاثون
في صفة الدنيا[٢]

الدنيا بمنزلة صورة؛ رأسها الكبر وعينها الحرص، وأذنها الطمع ولسانها الرياء، ويدها الشهوة ورجلها العجب، وقلبها الغفلة وكونها الفناء، وحاصلها الزوال فمن أحبها أورثته الكبر، ومن استحسنها أورثته الحرص، ومن طلبها أورثته الطمع، ومن مدحها ألبسته الرياء، ومن أرادها مكنته من العجب، ومن ركن إليها أولته الغفلة ومن أعجبه متاعها أفتنته،

---

(١) أخرج الترمذي في سننه (٢٣٠٧) عن أبي هريرة مرفوعاً «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**» ولُقب بها ذم اللذات من حيث أن العدم إثرة والمراد باللذات الجثمانية الكثيفة فإنه يزعج عن الاحتفال بها فملابس تلك اللذات تتجافى عنها . وفاقدها يتسلى عنها ولا يأسف عليها.

الموت لا شك آت فاستعد له ... إن اللبيب بذكر الموت مشغول
وكيف يلهو بعيش ويلذ به ... من التراب علىٰ عينيه مجعول

غيره:

تزود من الدنيا قليلاً فما تدري ... إذا جنَّ ليل هل تعيش إلىٰ الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

غيره:

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله الخلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي فاعله
وكيف يلذ العيش من هو صائر ... إلى لحد قبر فيه تبلى شمائله
ويذهب رسم الوجه فيه بعده ... يبلى سريعاً جسمه ومفاصله

نادرة: قال منصور بن عمار: إذا دنا موت العبد قسم حاله إلىٰ خمسة أقسام: المال الوارث والحساب للخصوم . فيا ليت الشيطان لا يذهب بالإيمان عند الموت فيكون فراقاً من الرب جل جلاله.

حدائق الأولياء (٢/ ٣٩٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى الترمذي في سننه (٢٣٧٧) كتاب الزهد، عن ابن مسعود قال: نام رسول الله ﷺ علىٰ حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء . فقال: «**ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلَّا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**».

ولا تبقى له ومن جمعها وبخل بها ردتها إلىٰ مستقرها وهي النار.

الباب الثالث والثلاثون
في الورع

قال الصادق ﷺ: اغلق أبواب جوارحك عما يقع ضرره إلى قلبك ويذهب بوجاهتك عند الله تعالىٰ.

ويعقب الحسرة والندامة يوم القيامة.

والحياء عما اجترحت من السيئات.

والمتورع[1] يحتاج إلىٰ ثلاثة أصول: الصفح عن عثرات الخلق أجمع.

وترك خطيته فيهم واستواء المدح والذم وأصل الورع دوام محاسبة النفس وصدق المقاولة وصفاء المعاملة والخروج من كل شبهة ورفض كل عيبة وريبة ومفارقة جميع ما لا يعنيه.

وترك فتح أبواب لا يدري كيف يغلقها ولا يجالس من يشكل عليه الواضح ولا يصاحب مستخفًا الدين ولا يعارض من العلم ما لا يحتمل قلبه، ولا يتفهمه من قائله ويقطعه عمن يقطعه عن الله ﷻ تعالىٰ شأنه.

---

(١) في الورع وترك الشبهات قال تعالىٰ: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

فرب موبقات ترى أدق من الشعر ورب شرارة أضرمت نارًا علىٰ بلد كبير.

إن الأمور صغيرها مما يهيج به العظيم وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤] فإن كان بذلك فقد ينزل به سخطه بأمر لا يلقى له بالا ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]. وروينا من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بين الحرام والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» أخرجاه من طرق بألفاظ متقاربة وهو من أعظم المرغبات في الورع وذكر فوائده العظيمة الشأن وهو الاستبراء للدين والعرض.

حدائق الأولياء (١/ ٥٦١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

الباب الرابع والثلاثون
في العبرة[١]

قال الصادق رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**المعتبر في الدنيا عيشه فيها كعيش النائم يراها ولا يمسها ويزيد عن قلبه ونفسه باستقباحه معاملات المغرورين بها ما تورثه الحساب والعقاب**»[٢].

ويتبدل بها ما تقربه رضى الله وعفوه ويغسل بماء زوالها مواضع دعوتها إليه وتزين نفسها إليه.

فالعبرة تورث صاحبها ثلاثة أشياء العلم بما يعمل، والعمل بما يعلم، والعلم بما لا يعلم[٣].

---

(١) قال عيسى عليه السلام: طوبى لمن كان قوله تذكرًا، وصمته تفكرًا ونظره عبراً، وقال لقمان الحكيم: إن طول الوحده ألهم للفكرة وطول الفكرة دليل علىٰ طرق باب الجنة، قال وهب بن منبه: ما طالت فكرة امرئ قط إلَّا فهم ولا فهم امرؤ قط إلَّا علم ولا علم امرؤ قط إلَّا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن والفكرة في نعم الله أفضل العبادة. وقال مغيث الأسود: زوروا القبور كل يوم تفكركم وشاهدوا الموقف بقلوبكم وانظروا إلىٰ المنصرف بالفريقين إلىٰ الجنة أو النار وأسعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه قد ذهب عقله.

تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٨)

(٢) قوله ﷺ في حديث مسلم (٧٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، عن عائشة قال رسول الله ﷺ: «**من حوسب يوم القيامة عُذب**»، وفي رقم (٨٠) عنها، عن النبي ﷺ: «**من نوقش الحساب هلك**».

قال النووي: قوله ﷺ: «**من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**» معنى نوقش استقصى عليه.

قال القاضي وقوله عذب له معنيان: أحدهما: أن نفس المناقضة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ. والثاني: أنه مفض إلىٰ العذاب بالنار ويؤده قوله في الرواية الأخرى هلك مكان عذاب هذا كلام القاضي وهذا الثاني هو الصحيح ومعناه أن التقصير غالب في العباد فمن استقصى عليه فلم يسامح هلك ودخل النار ولكن الله تعالىٰ يعفو ويغفر ما دون الشك لمن يشاء.

شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٧١) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) قيل لبعض الحكماء: العلم أفضل أم المال؟ فقال: بل العلم.

قال: فما بالنا نرى العلماء علىٰ أبواب الأغنياء ولا نكاد نرى الأغنياء علىٰ أبواب العلماء فقال ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال وجهل الأغنياء لفضل العلم وقال بعض علماء السلف: " إذا أراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم والملك في علماتهم وقال بعض البلغاء: العلم عصمة الملوك لأنه يمنعهم من الظلم ويردهم إلىٰ الحلم ويصرفهم عن الأذية ويعطفهم علىٰ الرعية فمن حقهم أن يعرفوا حقه ويستنبطوا أهله وأما المال فظل زائل أو عارية مسترجعة وليس في كثرته فضيلة ولو كانت فيه فضيلة لخص الله تعالىٰ به من اصطفاه لرسالته واجتباه لنبوته وقد كان أكثر أنبياء الله صلوات الله عليهم مع ما خصهم به من كراماته وفضلهم علىٰ سائر خلقه فقراء لا يجدون بلغة ولا يقدرون علىٰ شيء حتى صاروا في الفقر مثلاً.

بستان الفقراء (١/ ٤٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

والعبرة أصلها أول يخشى آخره.

وآخر قد تحقق الزهد في أوله.

ولا يصح الاعتبار إلَّا لأهل الصفاء والبصيرة.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢][(١)].

قال تعالىٰ أيضا: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦][(٢)].

فمن فتح الله عين قلبه وبصيرته بالاعتبار فقد أعطاه منزلة رفيعة وملكًا عظيمًا.

الباب الخامس والثلاثون
في المتكلف[(٣)]

قال الصادق رضي الله عنه: المتكلف متخلف عن الصواب وإن أصاب، والمتطوع مصيب وإن أخطأ، والمتكلف لا يستجلب في عاقبة أمره إلَّا الهوان، وفي الوقت إلَّا التعب والعناء

---

(١) سورة الحشر (٢).

(٢) سورة الحج (٤٦).

قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار بسنده عن مالك بن دينار قال: أوحى الله تعالىٰ إلىٰ موسى ابن عمران: أن يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح في الأرض ثم اطلب الآثار والعبر حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا. وقال ابن أبي الدنيا قال بعض الحكماء: أحي قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكر وموته بالزهد وقوه باليقين وذلله بالموت وقدره بالفناء وأره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام واعرض عليه أخبار الماضيين وذكره ما أصاب من كان قبله وسيره في ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلوا وعم انقلبوا. أي فانظروا ما حل بالأمم المكذبة من النقم والنكال.

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٤)

(٣) في قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص: ٨٦].

يقول تعالىٰ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تعطونيه من عرض الحياة الدنيا ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] أي وما أزيد علىٰ ما أرسلني الله تعالىٰ به ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله ﷻ والدار الآخرة، قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال: أتينا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فإن الله ﷻ قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص: ٨٦] أخرجاه من حديث الأعمش به.

تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤)

والشقاء، والمتكلف ظاهره رياء وباطنه نفاق، وهما جناحان يطير بهما المتكلف وليس في الجملة أخلاق الصالحين ولا من شعار المؤمنين المتكلف في أي باب كان.

قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾[١].

قال ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء والأتقياء والأمناء براء من المتكلف**»[٢] فاتق الله تعالىٰ واستقم نفسك عن التكلف فيطبعك بطباع الإيمان[٣] ولا تشتغل بلباس آخره البلاء وطعام آخره الخلاء، ودار آخره الخراب، ومال آخره الميراث، وإخوان آخرهم الفراق، وعز آخره الذل، ووفاء آخره الجفاء، وعيش آخره الحسرة.

الباب السادس والثلاثون
في الغرور

* قال الصادق رضي الله عنه: المغرور في الدنيا[٤] مسكين وفي الآخرة مغبون؛ لأنه باع

---

(١) سورة ص (٨٦).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) من حديث «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**».
قال النووي: في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أدنى وأعلىٰ والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها . والحقيقة تقتضي جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ويدل عليه قوله ﷺ: «**الحياء شعبة من الإيمان**» وفيه إثبات التفاضل في الإيمان وتباين المؤمنين في درجاته . هذا آخر كلام الخطابي.
النووي في شرح مسلم (١/ ١٣٠) طبعة دار الكتب العلمية

(٤) عن رجل من بني شيبان أن علياً رضي الله عنه خطب فأثنى علىٰ الله ووحده ثم قال: اعلموا بأنكم ميتون ومبعثون من بعد الموت وموقوفون علىٰ أعمالكم ومجزون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالفناء محفوفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها إلىٰ زوال وهي بين أهلها دول ومحال لا تدوم أحوالها ولن يسلم مَن مِن شرها نزالها بينما أهلها منها في رخاء وسرور أبدلهم منها ببلاء وغرور. أحوال مختلفة وثارات متفرقة والعيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أعراض مستهدفة ترميهم بأسهامها وتعضهم بجماحها واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا علىٰ سبيل من مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً وأعمر وأبعد آثاراً . فأصبحت أموالهم هامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وأثارهم عافية واستلدوا بالقصور المشيدة والنمارق المتمهدة، الصخور والأحجار في القبور التي بني بالخراب وشيد بالتراب بناؤها.
حدائق الأولياء (٢/ ٤٠٧، ٤٠٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

الأفضل بالأدنى، ولا تعجب من نفسك فربما اغتررت بمالك وصحة جسدك أن لعلك تبقى وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم، وربما اغتررت بجمالك ومنبتك وأصابتك مأمولك وهواك فظننت أنك صادق ومصيب، وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم علىٰ تقصيرك في العبادة[١].

ولعل الله تعالىٰ يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفاً والله يريد الإخلاص وربما توهمت أنك تدعو الله وأنت تدعو سواه، وربما حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك، وربما ذممت نفسك وتمدحها علىٰ الحقيقة.

واعلم أنك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني إلَّا بصدق الإنابه إلىٰ الله تعالىٰ والإخبار له، ومعرفه عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل[٢] والعلم، ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وأئمه الهدى وان كنت راضيًا بما أنت فيه فما أحد أشقى بعلمه وعمله منك وأضيع عُمرًا، فأورثت حسرة يوم القيامة.

---

(١) قال السري السقطي: مررت يوماً في بعض البراري مع جماعة من إخواني علىٰ قصر قد أناخ الزمان بكلكله فهدم أركانه وحطم بنيانه وقد بقيت معالمه وأبوابه وعلىٰ أبوابه مكتوب فنفضت التراب عن ذلك ثم تأملته فإذا هو مكتوب:

هو السبيل فمن يوم إلىٰ يوم كفرحة النائم المهجوع في النوم
إن المنايا وإن أصبحت في شغل تحوم حولك حوماً أيما حوم
لا تعجلن رويداً إنها دول دنيا تنقل من قوم إلىٰ قوم

حدائق الأولياء (٢/ ٤١١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال في بستان الفقراء: لو أُوصي لأعقل الناس صرف للزهاد أو لأجهل الناس من المسلمين صرف لمن يسب أبا بكر وعمر . قاله في الروضة:

ولو أوصي لسيد الناس صرف للخليفة . قاله الماوردي رحمه الله: رأيت الإمام عمر رضي الله عنه في المنام فماشيته في الطريق فضاق فقلت: تقدم يا أمير المؤمنين فإنك سيد الناس فقال: لا تقل هذا فقلت: بلى يا أمير المؤمنين ألا أنه لو أوصى بثلث ماله لسيد الناس صرف إلىٰ الخليفة . وقال في "عوارف المعارف": للعقل ألف اسم كل اسم أوله ترك الدنيا وقد أحسن القائل حيث قال:

إذا كمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه
وأفضل قسم الله للمرء عقله وليس من الأشياء شيء يقاربه

بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ٢٣٢) طبعة دار الكتب العلمية

الباب السابع والثلاثون
في صفة المنافق

قال الصادق رضي الله عنه: المنافق قد رضي ببعده عن رحمة الله تعالىٰ لأنه يأتي بأعماله الظاهرة شبيهاً بالشريعة وهو لاه ولاغ وباغ بالقلب عن حقها مستهزئ فيها.

وعلامة النفاق قله المبالاة بالكذب[١] والخيانة والوقاحة والدعوى بلا معنى واستخانة العين والسفه والغلط وقلة الحياء واستصغار المعاصي واستيضاع أرباب الدين واستخفاف المصائب في الدين والكبر والمدح، ومدح الحب وحب المدح والحسد وإيثار الدنيا علىٰ الآخرة، والشر علىٰ الخير والحث علىٰ النميمة وحب اللهو، ومعرفه أهل الفسق ومعونة أهل البغي والتخلف عن الخيرات وتنقص أهلها واستحسان ما يفعله من سوء واستقباح ما يفعله غيره من حسن.

وأمثال ذلك كثيرة وقد وصف الله المنافقين[٢] في غير موضع قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ في التفسير أي: ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ

---

(١) حديث «**آية المنافق ثلاث**» وفي رواية «**أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً** . . .» وفيه إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر».

قال النووي: هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث أن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد أجمع العلماء علىٰ أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال ولا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله وهذه الحديث ليس فيه بحمد الله تعالىٰ إشكال ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس.

شرح مسلم للنووي (٢/ ٤٠، ٤١) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قوله ﷺ: «**كان منافقاً خالصاً**» معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال، قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه فهذا هو المختار في معنى الحديث وقد نقل الإمام أبو عيسى الترمذي رضي الله عنه معناه عن العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي ﷺ فحدثوا بإيمانهم وكذبوا واؤتمنوا علىٰ دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فأخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري رحمه الله بعد أن كان علىٰ خلافة وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ورويا أيضًا عن النبي ﷺ.

شرح مسلم للنووي (٢/ ٤١) طبعة دار الكتب العلمية

وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[١].

قال تعالىٰ في وصفهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾[٢].

قال النبي ﷺ: «**المنافق من إذا وعد أخلف، وإذا فعل أساء، وإذا قال كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا رزق طاش، وإذا منع عاش**»[٣].

وقال أيضًا: «**من خالفت سريرته علانيته فهو منافق كائنًا من كان وحيث كان وفي أي زمن وعلىٰ أي رتبه كان**»[٤].

الباب الثامن والثلاثون
في العقل والهوى

قال الصادق رضي الله عنه: العاقل من كان ذلول عند إجابة الحق منصفًا بقوله حموصًا عند الباطل، خصيمًا بقوله:

يترك دنياه ولا يترك دينه.

ودليل العاقل شيئان: صدق القول وصواب الفعل.

والعاقل[٥] لا يحدث بما ينكره العقول ولا يتعرض للتهمة، ولا يدع مدادات من ابتلى

---

(١) سورة الحج (١١).

(٢) سورة البقرة (٨ ـ ١٠).

(٣) لم أقف عليهما وأحاديث المنافق مشهورة في البخاري ومسلم.

(٤) فالبخاري رواه في صحيحه (٣٣) بلفظ «**آية المنافق ثلاث**» ومسلم في كتاب الإيمان رقم الحديث (١٠٧، ١٠٩، ١١٠) والنسائي (٨/ ١١٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٨٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠)، والزبيدي في الاتحاف (٦/ ٢٦٣).

(٥) قال قتادة رحمه الله: الرجال ثلاثة: رجل وهو العاقل، ونصف رجل وهو لا عقل له ولكن يشاور العقلاء، ورجل لا شيء وهو من لا عقل له ولا يشاور العقلاء. وقال النووي في "بستان العارفين": خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل. قال علي رضي الله عنه: خلق الله العقل من نور مكنون فجعل العلم نفسه والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياء عينه، والحكمة لسانه والخير سمعه، والرأفة قلبه، والرحمة صدره، والصبر بطنه، ثم قيل له تكلم فقال: الحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز علي منك، ولا أسكنتك إلَّا في أحب الخلق إلي. وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله: العقل طائر غيبي لا يصاد إلَّا بشباك العناية جوهري الصفات نوري الذات. =

به والعلم دليله في أعماله والحلم رفيقه في أحواله والمعرفة يقينه في مذاهبه.

والهوى عدو العقل ومخالف الحق، وقرين الباطل.

وقوة الهوى من الشهوات وأصل علامات الهوى من أكل الحرام والغفلة عن الفرائض والاستهانة بالسنن والخوض في الملاهي[١].

الباب التاسع والثلاثون
في الوسوسة[٢]

قال الصادق ﷺ: لا يتمكن الشيطان بالوسوسة من العبد إلّا وقد أعرض عن ذكر الله

= العقل جوهر والغضب يزيله والدين جوهر والحسد يزيله، والحياء جوهر والطمع يزيله والعمل الصالح جوهر والغيبة تزيله. وقال ابن عباس ﷺ: "لما خلق الله العقل قال له: «**أدبر فأدبر. ثم قال له: أقبل فأقبل. فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك، ولا ركبتك إلّا في أحب الخلق إلي، فبك آخذ وبك أعطي وبك أعاقب**».

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٢٢٧، ٢٢٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) الجهل اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه وهو قسمان: جهل مركب وهو عند طائفة أن يجهل ويجهل كونه يجهل، وعند أخرى: مثل اعتقاد المجسمة أن الله تعالىٰ جسم ومثل اعتقاد المعتزلة أنه تعالىٰ لا يرى في الآخرة. وجهل بسيط: مثل عدم علمنا بما تحت الأرضين وما في بطون البحار من الحيوانات وقال الجنيد ﷺ: لما خلق الله تعالىٰ العقل قال له: من أنا؟ فسكت، فكحله بنور الوحدانية، ففتح عينيه وقال: أنت الله الذي لا إله إلّا أنت. وقالت عائشة ﷺ: يا رسول الله، بم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: «**بالعقل**» قلت: وفي الآخرة؟ قال: «**بالعقل**».

قال الذهبي في "الطب النووي" عن النبي ﷺ: «**عليكم بالدباء فإنه يزيد في العقل**» والدباء من أجود (الموزاور) للمجهدين وينفع في السعال.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: ١٢٠].

ونتيجه طاعة آدم وحواء لإبليس وأكلهما من الشجرة فعوقب آدم وحواء بعشرة أشياء:

الأول: عاتبهما الله تعالىٰ بقوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

والثاني: سقط لباس الجنة عنهما حين بدت لهما سوءاتهما.

والثالث: سلب النور عنهما.

والرابع: أخرجهما من الجنة فقال الله تعالىٰ: «**أخرجوا آدم وحواء من جواري فإنه لا يجاورني من عصاني**». فأهبط آدم إلىٰ سرنديب من الهند وحواء بجدة وإبليس بالأيلة وهي البصرة وقيل: نيسان=

تعالىٰ واستهان، وسكن إلىٰ نهيه ونسي اطلاعه علىٰ سرّه.

فالوسوسة ما تكون من خارج القلب بإشارة معرفة العقل ومجاورة الطبع.

وأما إذا تمكن في القلب فذلك غي وضلالة وكفر.

والله ﷻ دعا عباده بلطف دعوته، وعرفهم عداوة إبليس[1] فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ

= والحية بأصبهان والطاووس ببابل.

والخامس: الفرقة بين آدم وحواء مائة سنة حتى اجتمعا بالمزدلفة فلذلك سميت جمعاً وتعارفاً بنعمان ولذلك سمي عرفة.

والسادس: العداوة بين بني آدم وإبليس والحية.

والسابع: النداء بالمعصية في كتاب الله تعالىٰ.

روي: أن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال: يا رب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه بروحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزللة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته . فأوحى الله تعالىٰ إليه يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب للحبيب أمر شديد.

بستان الفقراء (٢/ ٤٠٩) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) عوقب إبليس لعنه الله بعشرة:

الأول: عزله عن الولاية، وكان مقدماً علىٰ ملائكة السماء الدنيا وملائكة الأرض وخازناً من خزان الجنة فعزله الله تعالىٰ.

والثاني: منعه الجنة فلا يعود إليها أبداً.

والثالث: مسخه فصار شيطاناً .

والرابع: غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه إبليس والإبلاس: اليأس من الرحمة .

والخامس: جعله إمام الأشقياء فلا يتبعه إلا شقي .

والسادس: لعنه إلىٰ يوم الدين .

والسابع: سلبه العرفة ولم يبق عنده من تعظيم الله ذرة .

والثامن: أغلق عنه باب التوبة .

والتاسع: جعله خالياً من كل خير .

والعاشر: جعله خطيب أهل النار . ويقال: شقي إبليس بخمسة أشياء: لم يعترف بخطيئته ولم ير أن التوبة واجبة ولم يتب، وتكبر عن أمر الله، وقنط من رحمة الله . وسعد آدم عليه السلام بخمسة أشياء: اعترف بذنبه وندم علىٰ زلته ورأى أن التوبة واجبة وتاب إلىٰ الله ولم يقنط من رحمة الله . قال وهب بن منبه رحمه الله: لما أهبط آدم عليه السلام إلىٰ الأرض مكث سبعة أيام لا ترقأ له دمعة وهو منكس الرأس.

بستان الفقراء (٢/ ٤١٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فَاطِر: ٦][(١)].

فكن معه كالقريب مع كلب الراعي يفزع إلىٰ صاحبه صرفه عنه.

كذلك إذا أتاك الشيطان موسوسًا ليضلك عن سبيل الحق وينسيك ذكر الله تعالىٰ فاستعذ منه بربك وبربه.

فإنه يؤيد الحق علىٰ الباطل، وينصر المظلوم بقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾[(٢)].

ولن يقدر علىٰ هذا.

ومعرفة إتيانه ومذاهب وسوسته إلَّا بدوام المراقبة والاستقامة علىٰ بساط الخدمة وهيبة المطلع وكثره الذكر.

وأما المهمل لأوقاته فهو صيد الشيطان لا محالة[(٣)].

---

(١) سورة فاطر (٦).

(٢) سورة النحل (٩٩).

قال الثوري: ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه.

وقال آخرون معناه لا حجة له عليهم وقال آخرون كقوله ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٠] قال مجاهد يطيعونه وقال آخرون اتخذوه ولياً من دون الله ﴿هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ أي: أشركوا في عبادة الله ويحتمل أن تكون الباء سببية أي صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالىٰ وقال آخرون معناه أنه شركهم في الأموال والأولاد.

تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٤)

(٣) قال ذو النون المصري: إن كان إبليس يراك من حيث لا تراه فإن الله تعالىٰ يراه من حيث لا يرى الله، فاستعن بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وقال عروة بن رويم اللخمي: إن عيسى عليه السلام دعا ربه ﷻ فقال: يا رب أرني موضع الشيطان من ابن آدم، فجلى له ذلك فإذا له رأس كرأس الحية واضعاً رأسه علىٰ ثمرة القلب فإذا ذكر الله تعالىٰ خنس، وإن ترك الذكر مناه فذلك قوله تعالىٰ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [النَّاس: ٤] وقال شقيق رحمه الله: ليس للشيطان سلاح علىٰ العبد أشد من خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ من الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومني ما أخذه ملك الموت أخذه بسخط الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من بات سكراناً بات للشيطان عروساً وكذلك المخنث والنائحة . وقال مجاهد رحمه الله: إن من ذرية إبليس: زنبوراً وهو صاحب الأسواق يضع فيها رايته وبتراً صاحب المزامير ولقويس صاحب التحريش والمسوط صاحب الأخبار يلقيها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلاً.

بستان الفقراء (٢/ ٤١٣، ٤١٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

واعتبر بما فعل بنفسه من الإغواء والاغترار والاستكبار.

حيث غرّه وأعجبه عمله وعبادته وبصيرته وجرأته قد أورثه علمه ومعرفته واستدلاله بعقله اللعنة إلى الأبد فما ظنك بنصحه ودعوته غيره.

فاعتصم بحبل الأوثق وهو الالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ والاضطرار بصحة الافتقار إلىٰ الله في كل نفس.

ولا يغرنَّك تزيينه للطاعة عليك[1] فإنه يفتح عليك تسعة وتسعين بابًا من الخير ليظفر بك عند تمام المائة.

فقابله بالخلاف والضد عن سبيله والمضادة باستهوائه.

❊ ❊ ❊

الباب الأربعون
في العجب[2]

قال الصادق رضي الله عنه: العجب كل العجب ممن يعجب بعمله ولا يدرى بم يختم له.

---

(١) ذُكر أن إبليس لعنه الله كان يرى في الزمان الأول، قال له رجل: يا أبا مرة كيف أصنع حتى أكون مثلك: فقال إبليس: ويحك ما طلب هذا مني أحد فكيف تطلبه أنت فقال الرجل: أنا أحب ذلك فقال له إبليس لعنة الله عليه: أما إن أردت أن تكون مثلي فتهاون بالصلاة ولا تبالي بالحلف كاذباً أو صادقاً فقال رجل: لا أعود أفعل ذلك أبداً وتاب الرجل إلىٰ الله عز وجل فقال له إبليس: ما تعلم أحد مني بالاحتيال غيرك وأنا عهدت أن لا أنصح لآدمي قط وروى الثعلبي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ وروى أبو عبد الله وهب بن منبه رحمه الله: أن إبليس لعنه الله أتى راهبًا في صومعته فاستفتح عليه وقال: من أنت قال: أنا المسيح فقال الراهب: والله لئن كنت إبليس لا أخلو بك، ولئن كنت المسيح لما عسيت أن أصنع بك اليوم شيئاً لقد بلغتنا رسالة ربك وقبلنا عنك وشرعت لنا الدين ونحن عليه فاذهب فلست بفاتح لك.

بستان الفقراء (٢/ ٤١٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرج مسلم في صحيحه [١٣٦] كتاب البر والصلة باب تحريم الكبر، عن أبي هريرة مرفوعاً «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر**».

قال النووي: الضمير إزاره ورداؤه يعود إلىٰ الله تعالىٰ للعلم به وفيه محذوف تقديره: قال الله تعالىٰ ومن ينازعني ذلك أعذبه ومعنى ينازعني يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه وأما تسميته إزاراً ورداء فمجاز واستعارة حسنة كما تقول العرب فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار بل معناه صفته.

شرح مسلم (١٦/ ١٤٣) طبعة دار الكتب العلمية

فمن أعجب بنفسه وفعله فقد ضل منهج الرشاد وادعى ما ليس له.

والمدعي من غير حق كاذب، وإن خفي دعواه وطال دهره.

فإن أول ما يفعل بالمعجب[١] نزع ما أعجب به ليعلم أنه عاجز حقير.

ويشهد علىٰ نفسه لتكون الحجة أوكد عليه كما فعل بإبليس.

والعجب نبات حبه الكفر[٢]، وأرضه النفاق ومائه البغي، وأغصانه الجهل، وورقه الضلال، وثمرته اللعنة والخلود في النار، فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق.

فلا بد من أن يثمر ويصير إلىٰ النار.

الباب الواحد والأربعون
في الأكل[٣]

قال الصادق ﷺ: قلة الأكل محمود في كل حال، وعند قوم، لأن فيه مصلحة للظاهر والباطن.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٥٧٨٩) كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، ومسلم في صحيحه [٤٩ - (٢٠٨٨)] كتاب اللباس والزينة باب تحريم التبختر في المشي مع إعجاب بثيابه عن أبي هريرة رفعه: **«بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه إذ خُسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة»**.
قال النووي: وفي رواية بينما رجل يتبختر يمشي في برديه وقد أعجبته نفسه فخسف الله به يتجلجل بالجيم أي يتحرك وينزل مضطربا قيل: يحتمل أن هذا الرجل من هذه الأمة فأخبر النبي ﷺ بأنه سيقع هذا وقيل: بل هو إخبار عمن قبل هذه الأمة وهذا هو الصحيح وهو معنى إدخال البخاري له في باب ذكر بني إسرائيل والله أعلم.
شرح مسلم للنووي (١٤/ ٥٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) حكي عن عكرمة رحمه الله أنه قال: إن رجلاً مر بشجرة تعبد من دون الله ﷻ فغضب وقال: هذه الشجرة تعبد من دون الله ثم أخذ فأسا وركب حماره وتوجه نحو الشجرة ليقطعها فلقيه الشيطان لعنة الله عليه في الطريق علىٰ صورة إنسان فقال له: إلىٰ أين . فقال: إني رأيت شجرة تعبد من دون الله ﷻ فأعطيت الله ﷻ عهدًا أن أركب حماري وأخذ فأسي وأتوجه نحوها وأقطعها فقال له إبليس لعنه الله: ارجع فأنا أعطيك كل يوم أربعة دراهم فترفع طرف فراشك فتجدها . فقال: أو تفعل ذلك قال: نعم ضمنت لك ذلك كل يوم فرجع إلىٰ بيته فوجد ذلك يومين أو ثلاثة أو ما شاء الله فلما أصبح بعد ذلك رفع طرف فراشه فلم ير شيئا فلما رأى أنه لا يجد دراهم أخذ الفأس وركب حماره وتوجه نحو الشجرة فلقيه إبليس لعنة الله عليه علىٰ صورة إنسان فقال له: أين تريد قال: شجرة تعبد من دون الله أريد أن أقطعها قال له إبليس لعنه الله: لا تطيق ذلك أما أول مرة لكان خروجك غضبا لله تعالىٰ فلو اجتمع أهل السماء والأرض ما ردوك وأما الآن فإنما خرجت لأنك لم تجد الدراهم فلئن تقدمت فلأدقن عنقك فرجع إلىٰ بيته وترك الشجرة.
بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ٤١٤، ٤١٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة باب التسمية علىٰ الطعام والأكل باليمين، ومسلم=

والمحمود من المأكولات أربعة: ضرورة، وعدة، وفتوح، وقوت.

فالأكل الضروري للأصفياء.

والعدة لقوام الأتقياء.

والفتوح للمتوكلين.

والقوت للمؤمنين.

وليس شيء أضر للقلب المؤمن من كثرته فيورث شيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة.

والجوع إدام للمؤمنين وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن[1].

= في صحيحه (١٠٨) كتاب الأشربه باب أداب الطعام والشراب وأحكامهما، من حديث عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك**».
قال النووي: في هذا الحديث بيان ثلاث سنن من سنن الأكل وهي التسمية والأكل باليمين وقد سبق بيانهما والثالثة: الأكل مما يليه لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مروءة فقد يتقذره صاحبه لا سيما في الأمراق وشبهها وهذا هو في الثريد والأراف وشبهها فإن كان تمراً أو أجناساً فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق ونحوه والذي ينبغي تعميم النهي حملاً للنهي علىٰ عمومه حتى يثبت دليل مخصص.
قوله ﷺ: «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله تعالىٰ عليه**» معنى يستحل يتمكن من أكله ومعناه أنه يتمكن من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذكر الله تعالىٰ.
شرح مسلم (١٣/ ١٦١، ١٦٣) طبعة دار الكتب العلمية

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٥٨١٨) كتاب اللباس من حديث أبي موسى الأشعري قال: أخرجت لنا عائشة كساء وإزاراً غليظاً قالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين".
وفي البخاري (٣٧٢٨) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ عن سعد بن أبي وقاص قال: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحبلة وهذا السمر، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاه ما له خلط أخرجاه والحبلة بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة وهي والسمر نوعان معروفان من شجرة البادية وفيه أن اعتياد الخشونة تسهل العزية في طلب محاب الله ومراضيه وأما الترفه فاعتياده مضيع لكثرة الخيرات ومتى تصل الفافة إلىٰ تقوت ورق الحبلة والسمر متى يعقد مثله.
حديث أبي هريرة مرفوعا «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**» أخرجاه أي ما يسد الرمق قاله أهل اللغة والغريب أي لا ناقصًا عنه ولا زائدًا عليه وهو ترغيب بديع ومدح مطر لا سيما إذا بلغ معه وإذا سألت فأعظم الرغبة فإنه يظهر به البرهان.
حدائق الأولياء (١/ ٥٣٤، ٥٣٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

قال النبي ﷺ: «**ما ملأ ابن آدم وعاء أشر من بطنه**»[١].

وقال داود عليه السلام: ترك لقمة مع الضرورة إليها أحب إليَّ من قيام عشرين ليلة.

قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق في سبعه أمعاء**»[٢].

وقال ﷺ: «**ويل للناس من القبقبين**».

قيل: وما هما يا رسول الله؟

قال ﷺ: «**البطن والفرج**». قال عيسى ابن مريم عليه السلام: "ما أمرض قلب بأشد من القسوة وما اعتلت نفس بأصعب من نقص الجوع".

وهما زمامان للطرد والخذلان.

الباب الثاني والأربعون
في غض البصر

قال الصادق رضي الله عنه: ما اغتنم أحد بمثل ما اغتنم بغض البصر[٣]، لأن البصر لا يغض

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٣٨٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣١)، وابن ماجه في سننه (٣٣٤٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٦).

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٥٠٧٨) كتاب الأطعمه، باب المؤمن يأكل في معي واحد.
ومسلم في صحيحه (١٨٢ - (٢٠٦٠)] كتاب الأشربة ٣٤ ـ باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء.
قال النووي: قال القاضي: قيل: إن هذا في رجل بعينه فقيل له: علىٰ جهة التمثيل، وقيل إن المراد أن المؤمن يقتصد في أكله وقيل: المراد المؤمن يسمي الله تعالىٰ عند طعامه فلا يشركه فيه الشيطان والكافر لا يسمي فيشاركه الشيطان فيه وفي صحيح مسلم أن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله تعالىٰ عليه . قال أهل الطب: لكل إنسان سبعة أمعاء: المعدة ثم ثلاثة متصلة بها رقاق ثم ثلاثة غلاظ فالكافر لشرهه وعدم تسميته لا يكفيه إلا ملؤها والمؤمن لاقتصاده وتسميته يشبعه ملء أحدهما ويحتمل أن يكون هذا في بعض المؤمنين وبعض الكفار وقيل: المراد بالسبعة سبع صفات الحرص والشره وطول الأمل والطمع وسوء الطبع والحسد والسمن وقيل: المراد بالمؤمن هنا تام الإيمان المعرض عن الشهوات المقتصر علىٰ سد خلته والمختار أن معناه بعض المؤمنين يأكل في معي واحد وأن أكثر الكفار يأكلون في سبعة أمعاء ولا يلزم أن كل واحد من السبعة مثل معي المؤمن والله أعلم.
شرح مسلم (١٤/ ٢١، ٢٢) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ . . . ﴾ الآية. =

عن محارم الله تعالىٰ إلَّا وقد سبق إلىٰ قلبه مشاهدة العظمة والجلال.

سئل أمير المؤمنين علي ﷺ وكرم الله وجهه[١]: بماذا يستعان علىٰ غض البصر؟

فقال ﷺ: بالخمود تحت السلطان المطلع علىٰ سرك.

والعين جاسوس القلوب وبريد العقل[٢] فغض بصرك عما لا يليق بدينك ويكرهه قلبك وينكره عقلك.

قال النبي ﷺ: «**غضوا أبصاركم ترون العجايب**»[٣].

= قال ابن كثير: هذا أمر من الله تعالىٰ لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلَّا إلىٰ ما أباح لهم النظر إليه وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم فإن اتفق أن وقع البصر علىٰ محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً كما رواه مسلم في صحيحه من حديث يونس بن عبيد عن عمرو ابن سعيد عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري، وكذا رواه الإمام أحمد عن هشيم عن يونس بن عبيد به، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديثه، أيضًا وقال الترمذي حسن صحيح.

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٠)

(١) روي أبو داود في سننه (٢١٤٩) والترمذي في سننه (٢٧٧٧) من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**يا علي لا تتبع النظرة النظره فإن لك الأولى وليس لك الآخرة**» واللفظ لأبي داود.
وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلَّا من حديث شريك.

(٢) إن العقل أول مخلوق خلقه الله تعالىٰ كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: أول ما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال له: اقعد فقعد ثم قال له: انطق فنطق ثم قال له: اصمت فصمت فقال له: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي وجبروتي وسلطاني ما خلقت خلقًا أحب إلىٰ منك ولا أكرم علي منك بك أعرف وبك أعبد وبك أطاع وبك آخذ وبك أعطي وإياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب وما أكرمتك بشيء أفضل من البصر . . " كما سبق في هذا الحديث.
وفي رواية الديلمي في الفردوس عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: ما خلقت شيئا أعز علي منك بك أخذ وبك أعطي . . .**» إلىٰ آخر الحديث.

كتاب الوجود من تحقيقنا (٢٢٠، ٢٢١) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) روى البخاري في صحيحه (٣/ ١٧٣)، (٨/ ٦٣) ومسلم في صحيحه [٣ ـ (٢١٢١)] كتاب السلام ٢ ـ باب من حق الجلوس علىٰ الطريق رد السلام عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس بالطرقات**» قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ: «**إذا أبيتم إلَّا المجلس فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حقه: قال: «**غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» . قال النووي: قد أشار النبي ﷺ إلىٰ علة النهي من التعرض=

قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[١].

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين: "إياكم والنظر إلىٰ المحذورات فإنها بذر الشهوات وبنات الفسق".

قال يحيى عليه السلام[٢]: "الموت أحب إليَّ من نظرة بغير واجب".

وقال عبد الله بن مسعود لرجل نظر إلىٰ امرأة قد عادها في مرضها: لو ذهب عيناك لكان خيرًا لك من عيادة مريضك.

ولا تتوفر عين يصيبها من نظر إلىٰ محذور إلَّا وقد انعقد عقده علىٰ قلبه من المنية ولا تنحل بإحدى الحالين:

= للفتن والإثم بمرور النساء وغيرهن وقد يمتد نظر إليهن أو فكر فيهن أو ظن سوء فيهن أو في غيرهن من المارين ومن أذى الناس باحتقار من يمر أو غيبة أو غيرهما أو إهمال رد السلام بعض الأوقات أو إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك.

شرح مسلم للنووي (١٤/ ١٢٠) طبعة دار الكتب العلمية

(١) سورة النور (٣٠).

وقال ابن كثير في لفظ "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن . . . الآية: هذا أمر من الله تعالىٰ للنساء المؤمنات وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات وكان سبب نزول الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في محل لها في بني حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدوا ما في أرجلهن من الخلاخل وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء ما أقبح هذا فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] الآية فقوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] أي عما حرم الله عليهن من النظر إلىٰ غير أزواجهن.

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩١)

(٢) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: اذكروا في قتل يحيى عليه السلام أسبابًا من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لا يحل له تزويجها فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقي في نفسها منه فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى فوهبه لها فبعثته إليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طست إلىٰ عندها فيقال أنها هلكت من فورها وساعتها وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته فأبى عليها فلما يئست منه تحيلت في أن استوهبته من الملك فتمنع عليها الملك ثم أجابها إلىٰ ذلك فبعث من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طست وقد ورد معناه في حديث رواه إسحاق بن بشر في كتابه "المبتدأ" حيث قال: أنبأنا يعقوب الكوفي عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به رأى زكريا في السماء فسلم عليه وقال له: يا أبا يحيى خبرني عن قتلك كيف كان ولم قتلك بنو إسرائيل قال: يا محمد أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه وكان أجملهم وأصبحهم وجها وكان كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾.

قصص الأنبياء (ص٥٤٧)

إما ببكاء الحسرة والندامة بتوبة صادقة[١]، وإما بأخذ نصيبه مما تمنى ونظر إليه فأخذ الحظ من غير توبة فيصيره إلىٰ النار وأما التائب البالي بالحسرة والندامة عن ذلك فمأواه الجنة ومنقلبه الرضوان.

الباب الثالث والأربعون

في المشي

قال الصادق رضي الله عنه: إن كنت عاقلاً[٢] فقدم العزيمة الصحيحة والنية الصادقة في حين قصدك إلىٰ أي مكان أردت.

فإن النفس من التخطي إلىٰ محذور.

وكن متفكرًا في مشيك، ومعبرًا بعجائب صنع الله تعالىٰ أينما بلغت.

ولا تكن مستهزئًا ولا متبخترًا في مشيك قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾[٣] إلىٰ آخرها.

---

(١) التوبة لا بد لها من شروط ذكرها العلماء مأخوذة من الآيات والأحاديث منها الأول: الإقلاع عن الذنب فورا، الثاني: الندم علىٰ ما فات الثالث: العزم علىٰ عدم العودة . الرابع: إرجاع حقوق من ظلمهم أو طلب البراءة منهم وذكر بعض أهل العلم تفصيلات أخرى لشروط التوبة النصوح نسوقها مع بعض الأمثلة: الأول: أن يكون ترك الذنب لله لا لشيء آخر كعدم القدرة عليه أو علىٰ معاودته أو خوف كلام الناس مثلا فلا يسمى تائباً من ترك الذنوب لأنها تؤثر علىٰ جاهه وسمعته بين الناس أو ربما طرد من وظيفته . ولا يسمى تائبًا من ترك الذنوب لحفظ صحته وقوته كمن ترك الزنا أو الفاحشة خشية الأمراض الفتاكة المعدية أو أنها تضعف جسمه وذاكرته ولا يسمى تائباً من ترك السرقة لأنه لم يجد منفذاً للبيت أو لم يستطع فتح الخزينة أو خشي الحارس والشرطي . ولا يسمى تائبًا من ترك أخذ الرشوة لأنه خشي أن يكون معطيها من هيئة مكافحة الرشوة مثلا ولا يسمى تائبًا من ترك شرب الخمر وتعاطي المخدرات لإفلاسه وكذلك لا يسمى تائباً من عجز عن فعل معصية لأمر خارج عن إرادته كالكاذب إذا أصيب بشلل أفقده النطق أو الزاني إذا فقد القدرة علىٰ الوقاع أو السارق إذا أصيب بحادث أفقده أطرافه بل لابد لمثل هذا من الندم والإقلاع، ثمن المعصية أو التأسف علىٰ فواتها ولمثل هذا يقول ﷺ: «**الندم توبة**».

(٢) العقل قوة في الإنسان تدرك طوائف من المعارف اللا مادية فيدرك العقل ما هيأت الماديات أي كنهها لا ظاهرها.

العقل معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها المصالح والأغراض وهو هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وكلامه واختياره.

ابن سينا في رسالة في الحدود (ص٥٥)

(٣) سورة لقمان (١٨).

هذه وصايا نافعة حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم يمتثلها الناس ويقتدوا بها فقوله تعالىٰ: =

وغض بصرك عما لا يليق بالدين، واذكر الله كثيرًا.

فإنه قد جاء في الخبر إن المواضع التي يذكر الله فيها وعليها تشهد بذلك عند الله يوم القيامة[١]، وتستغفر لهم إلىٰ أن يدخلهم الله الجنة ولا تكثرن الكلام مع الناس في الطريق فإن فيه سوء الأدب، وأكثر الطرق مراصد الشيطان ومتجرته، فلا تأمن كيده.

واجعل ذهابك ومجيئك في طاعة الله والسعي في رضاه.

فإن حركاتك كلها مكتوبة في صحيفتك.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٢] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣][٣].

= ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] أي خيلاء متكبراً جباراً عنيداً لا تفعل ذلك يبغضك الله ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي مختال معجب في نفسه فخور أي علىٰ غيره، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧] وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك في موضعه وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال: ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فشدد فيه فقال: «**إن الله لا يحب كل مختال فخور**» فقال رجل من القوم والله يا رسول الله إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي فقال: «**ليس ذلك الكبر إنما الكبر أن تسفه الدق وتغمط الناس**» ورواه من طريق أخرى بمثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعد موته وقوله: «**واقصد في مشيك**» أي امش مشيًا مقتصدًا ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلًا وسطًا.

تفسير ابن كثير (٣/ ص٤٦٢)

(١) قال ابن جرير بسنده أتى ابن عباس رضي الله عنهما رجل فقال يا أبا العباس أرأيت قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ فهل تبكي السماء والأرض علىٰ أحد قال رضي الله عنه: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلَّا وله باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ففقده بكى عليه وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكت عليه وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة ولم يكن يصعد إلىٰ الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والأرض وروي العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحو هذا وقال سفيان الثوري عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان يقال تبكي الأرض علىٰ المؤمن أربعين صباحًا وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد وقال مجاهد أيضًا ما مات مؤمن إلَّا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا.

تفسير ابن كثير (٤/ ص١٤٢)

(٢) سورة النور (٢٤).

(٣) سورة الإسراء (١٣). =

الباب الرابع والأربعون

في النوم

قال الصادق رضي الله عنه: نم نوم المعتبرين ولا تنم نوم الغافلين.

فإن المعتبرين من الأكياس ينامون استراحة ولا ينامون استبطارًا [استبصارًا][(١)].

قال النبي ﷺ: «**تنام عيناي ولا ينام قلبي**»[(٢)].

وانو بنومك[(٣)] تخفيف مؤنتك علىٰ الملائكة واعتزال النفس عن شهواتها واختبر بها نفسك.

= يقول تعالىٰ بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني آدم: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣].

وطائره هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويلزمه به ويجازى عليه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ وقال تعالىٰ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ وقال ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦] وقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ويكتب عليه ليلاً ونهارًا صباحًا ومساءً.

تفسير ابن كثير (٣/ ص٢٨)

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٣٥٦٩)، وأبو داود في سننه (٢٠٢)، وابن حبان في صحيحه (٢١٢٤ ـ الموارد)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٨٦٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٤٨)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٧٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٠٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٧٢)، (٦٩٦).

وابن كثير في تفسيره (١/ ١٨٦، ٢/ ٦٢).

(٣) روى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلىٰ فراشه نام علىٰ شقه الأيمن ثم قال: «**أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلَّا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت**» رواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه بهذا اللفظ وفيه آداب اتخاذ فراش يأوي إليه والاضطجاع دون القعود ونحوه وأن يكون علىٰ الجنب وأن يكون الأيمن والذكر المأثور وروينا عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع علىٰ شقك الأيمن وقل . . .**» وذكر نحوه وفيه: «**واجعله من آخر ما تقول**» أخرجاه وفيه النوم علىٰ طهارة وترك الكلام بعد الذكر وروينا من حديث عائشة قالت: «**كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشر ركعة فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع علىٰ شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه**» أخرجاه وفيه أن الاضطجاع الفاصل منه الاضطجاع بعد ركعتي الفجر.

حدائق الأولياء من تحقيقنا (٢/ ٣٦، ٣٧) طبعة دار الكتب العلمية

وكن ذا معرفه بأنك عاجز ضعيف لا تقدر علىٰ شيء من حركاتك وسكونك إلَّا بحكم الله وتقديره.

وأن النوم أخو الموت.

واستدل بها على الموت الذي لا تجد السبيل إلىٰ الانتباه فيه والرجوع إلىٰ صلاح ما فات عنك.

ومن نام عن فريضة أو سُنّة أو نافلة فإنه بسببها شيء، فذلك نوم الغافلين وسيرة الخاسرين.

وصاحبه مغبون.

ومن نام بعد فراغه من أداء الفرائض و السنن[١] والواجبات من الحقوق، فذلك نوم محمود ولا أعلم لأهل زماننا هذا شيئًا إذا أتوا بهذه الخصال أسلم من النوم.

لأن الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة أحوالهم وأخذوا شمال الطريق.

والعبد إن اجتهد أن لا يتكلم كيف يمكنه أن لا يستمع إلَّا ما هو مانع له من ذلك، وإن النوم من إحدى تلك الآلات قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٢].

---

(١) قال النووي في حديث البراء بن عازب المتقدم وأول الباب: في هذا الحديث ثلاث سنن مهمة مستحبة ليست بواجبة:

إحداها: الوضوء عند إرادة النوم فإن كان متوضئاً كفاه ذلك الوضوء لأن المقصود النوم علىٰ طهارة مخافة أن يموت في ليلته وليكون أصدق لرؤياه وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه وترويعه إياه.

الثانية: النوم علىٰ الشق الأيمن لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن ولأنه أسرع إلىٰ الانتباه .

الثالثة: ذكر الله تعالىٰ ليكون خاتمة عمله.

قوله ﷺ: «**اللهم إني أسلمت وجهي إليك**» وفي الرواية الأخرى: أسلمت نفسي إليك أي استسلمت وجعلت نفسي منقادة لك طائعة لحكمك . قال العلماء الوجه والنفس هنا بمعنى الذات كلها يقال سلم وأسلم واستسلم بمعنى ومعنى ألجأت ظهري إليك أي توكلت عليك واعتمدتك في أمري كله كما يعتمد الإنسان بظهره إلىٰ ما يسنده.

شرح مسلم للنووي (١٧/ ٢٧) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة الإسراء (٣٦).

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يقول لا تقل، وقال العوفي: عنه لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم وقال محمد بن الحنفية: يعني شهادة الزور وقال قتادة: لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالىٰ سائلك عن ذلك كله ومضمون ما ذكروه أن الله تعالىٰ نهى عن القول بلا علم=

وإن في كثرته آفات، وإن كان علىٰ سبيل ذكرنا.

وكثرة النوم يتولد من كثرة الشرب، وكثرة الشرب يتولد من كثرة الشبع[١].

وهما يثقلان النفس عن الطاعة ويقسيان القلب عن التفكر والخشوع.

واجعل كل نومك آخر عهدك من الدنيا.

واذكر الله تعالىٰ بقلبك ولسانك وحف طاعتك علىٰ شرّك مستعينًا به في الصيام إلىٰ الصلاة إذا انتبهت.

فإن الشيطان يقول لك: نم فإن لك بعد ليلاً طويلاً[٢].

يريد تفويت وقت مناجاتك وعرض حالك علىٰ ربك.

= بل بالظن الذي هو التوهم والخيال كما قال تعالىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرَات: ١٢] وفي الحديث «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**» وفي سنن أبي داود «**بئس مطية الرجل زعموا**» وفي الحديث الآخر «**إن أفري الفرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا**».

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠)

(١) روى أبو داود في سننه (٣٧٦٤) كتاب الأطعمة باب في الاجتماع علىٰ الطعام، من حديث وحشي بن حرب أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع . قال: «**فلعلكم تفترقون**» قالوا: نعم . قال: «**فاجتمعوا علىٰ طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه**» وروينا من حديث ابن عباس مرفوعا: «**البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافيته ولا تأكلوا من وسطه**» رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح . وروينا من حديث عبد الله بن بُسر رضي الله عنهما قال: "كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغرَّاء يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتى بتلك القصعة يعني وقد ثرد فيها فالتفوا عليها فلما كثروا جثى رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة قال النبي ﷺ: «**إن الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جباراً عنيداً**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**كلوا من حواليها ودعوا ذروتها يبارك فيها**» رواه أبو داود بإسناد جيد ذروتها: أعلاها بكسر الذال وضمها.

حدائق الأولياء من تحقيقنا (٢/ ١٧، ١٨) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٠٧ ـ (٧٧٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ: «**يعقد الشيطان علىٰ قافيه رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليلاً طويلاً فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**».

اختلف العلماء في هذه العقد فقيل: هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفَلَق: ٤] فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر وقيل: يحتمل أن يكون فعلا يفعله كفعل النفاثات في العقد.

شرح مسلم للنووي (٦/ ٥٨) طبعة دار الكتب العلمية

ولا تغفل عن الاستغفار بالأسحار فإن للقانتين فيه أشواقًا.

الباب الخامس والأربعون
في حسن المعاشرة

قال الصادق ﷺ: حسن المعاشرة مع خلق الله تعالىٰ في غير معصية من مزيد فضل الله تعالىٰ عند عبده.

ومن كان مخلصاً خاضعًا لله في السرّ كان حسن المعاشرة في العلانية، فعاشر الخلق لله[1] تعالىٰ ولا تعاشرهم لنصيبك لأمر الدنيا، ولطلب الجاه والرياء والسمعة، ولا تسقطن بسببها عن حدود الشريعة من باب المماثلة والشهرة فإنهم لا يغنون عنك شيئًا، وتفوتك الآخرة بلا فائدة.

الباب السادس والأربعون
في الكلام

قال الصادق ﷺ: إظهار ما في قلب المرء من الصفاء والكدر والعلم والجهل. قال أمير المؤمنين: المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك واعرضه علىٰ العقل.

فإن كان لله وفي الله فتكلم وإن كان غير ذلك فالسكوت، فليس علىٰ الجوارح عبادة.

وأخف مؤنة وأفضل منزلة وأعظم قدراً من كلام فبه رضا الله ولوجهه، ونشر آلاء الله ونعمائه في عباده.

ألا ترى أن الله تعالىٰ لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى ينكشف ما استر إليهم من

---

(١) أمر عمر بن الخطاب ﷺ بكتابة عهد لرجل قد ولاه ناحية، فبينما الكاتب يكتب إذ جاء صبي فجلس في حجر عمر ﷺ فلاطفه بالكلام فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن لي عشرة أولاد ما دنا أحد منهم مني فقال عمر للكاتب: مزق الكتاب فإنه إذا لم يرحم أولاده كيف يرحم الرعية وولى عمر رجلا علىٰ بلاد فلما توجه الرجل إليها رأى الرجل في منامه كأن القمر والشمس يقتتلان فرجع إليه وقص عليه القصة بما رأى فقال له: هل كنت مع الشمس أو مع القمر فقال: مع القمر فعزله عمر فقيل له في ذلك فقال: لأن القمر ملك ظالم والشمس ملك عادل فحيث كان مع الظالم أخاف أن يكون ظالما للرعية. قال: رأى النبي ﷺ رجلا يحد شفرته وقد أضجع شاة ليذبحها فقال له: «**أتريد أن تميتها موتتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها**» رواه الطبراني رحمه الله.

بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/٢١٦) طبعة دار الكتب العلمية

مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام، وكذا بين الرسل وبين الأمم ثبت بهذا أنه أفضل الرسائل وألطف العبادة.

وكذلك لا معصية أشغل على العبد وأسرع عقوبة عند الله ﷻ، وأشدها ملامة وأعجلها سآمة عند الخلق منه.

اللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب وبه ينكشف ما في سرّ الباطن، وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة. الكلام خمر يسكر العقل ما كان منه لغير الله شيء حق بطول السجن من اللسان.

قال بعض الحكماء: احفظ لسانك عن خبيث الكلام وفي غيره لا تسكت إن استطعت، فإن السكينة والصمت هما هيئتان رفيعتان من الله ﷻ وهم أمناء أسراره.

الباب السابع والأربعون
في المدح والذم

لا يصير العبد عبداً خاصاً لله ﷻ حتى يصير المدح والذم عنده سواء لأن الممدوح عند الله لا يصير مذموماً بذمهم، وكذلك لا تفرح بمدح أحد فإنه لا يزيد في منزلتك عند الله تعالى، ولا يغنيك عن المحكوم لك والمقدور عليك.

ولا تحزن أيضًا بذم أحد فإنه لا ينقص عنك به ذرة ولا يحط عن درجة خيرك شيئاً واكتف بشهادة الله لك وعليك.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

ومن لا يقدر على صرف الدهر عن نفسه ولا يستطيع جلب نفعه له كيف يرجى مدحه أو يخشى ذمه.

واجعل وجه مدحك وذمك واحداً، وقف في مقام تغتنم مدح الله ﷻ لك ورضاه، فإن الخلق خلقوا من العجز من ماء مهين، فليس لهم إلَّا ما سعوا، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾.

الباب الثامن والأربعون
في المراء

المراء داء دويّ وليس للإنسان خلصة شرّ منه وهو خلق ونسبته يماري في أي حال كان من كان جاهلاً بنفسه وبغيره محرومًا من حقائق الدين.

روي أن رجلاً قال للحسن بن علي ﷺ اجلس حتى نتناظر في الدين، فقال له: يا هذا إن بصيرتي بديني مكشوف علىٰ هدى، فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب فاطلبه، ما لي وللممارات فإن الشيطان ليوسوس الرجل ويناجيه ويقول ناظر الناس في الدين كيلا يظنوا بك العجز والجهل.

من المراء إما أن تتمارى أنت وصاحبك فيما تعلمان تركتما بذلك النصيحة وأضعتما بذلك العلم أو تجهلا به فأظهرتما جهلاً أو تعلمه أنت وظلمته صاحبك يطلبك الممارات وغيرته.

أو يعلمه صاحبك وبطلبك فتركت حرمته ولم تنزله منزلته، وهذا كله محال فمن أنصف وقبل الحق وترك الممارات فقد أوثق إيمانه وأحسن صاحبته دينه وصان حبته عقله.

الباب التاسع والأربعون
في الغيبة[1]

قال الصادق ﷺ: الغيبة حرام علىٰ كل مسلم مأثوم صاحبها في كل حال.

وصفة الغيبة أن تذكر أحدًا بما ليس هو عند الله عيب، أو تذم ما تحمده أهل العلم فيه.

---

(١) الغيبة أوضحها رسول الله ﷺ في حديث مسلم [٧٠ ـ (٢٥٨٩)] كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، عن أبي هريرة قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**».
قلنا: الله ورسوله أعلم.
قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**».
قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟
قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**».
والحديث أخرجه: أبو داود في سننه (٤٨٧٤) كتاب الأدب، باب في الغيبة.
والترمذي في سننه (١٩٣٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الغيبة، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٨٤).

وأما الخوض في ذكر الغائب[١] بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة، وإن كره صاحبه إذا سمع به.

وكنت أنت معافًا عنه وخاليًا منه ويكون في ذلك مبينًا للحق من الباطل ببيان الله تعالىٰ ورسوله ﷺ.

ولكن علىٰ شرط أن لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله ﷻ[٢].

وأما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده، وإن كان صوابًا.

وإن اغتبت مبلغ المغتاب فاستحل منه فإن لم تبلغه ولم تلحقه فاستغفر الله له والغيبة

---

(١) قال النووي: تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك لستة أسباب:
أحدها: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة علىٰ إنصافه من ظالمه فيقول ظلمني فلان أو فعل بي كذا . الثاني: الاستغاثة علىٰ تغيير المنكر ورد العاصي إلىٰ الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك . الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة والأجود أن يقول في رجل أو زوج أو والد وولد كان من أمره كذا ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث هند وقولها: إن أبا سفيان رجل شحيح . الرابع: تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالإجماع بل واجب صونًا للشريعة ومنها الإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته ومنها إذا رأيت من يشتري شيئا معيبًا أو عبدًا سارقًا أو زانيًا أو شاربًا أو نحو ذلك تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد.
شرح مسلم للنووي (١٦/١١٧) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال الإمام أبو الليث السمرقندي رحمه الله الغيبة أربعه أوجه: في وجه هو كفر، وفي وجه هو نفاق، وفي وجه هي معصية، وفي وجه هو مباح وهو مأجور عليه.
فأما الوجه الذي هو كفر: فهو إذا اغتاب المسلم وقيل له: "لا تغتبه" فيقول: ليس هذا غيبة وأنا صادق في ذلك فقد استحل ما حرم الله تعالىٰ وصار بذلك كافراً وأما الوجه الذي هو نفاق: فهو أن يغتاب إنساناً ليسميه عند من يعرف أنه يريد به فلانًا فهو يغتابه ويرى في نفسه أنه متورع فهذا هو النفاق، وأما الذي هو فيه عاص: فهو أن يغتاب إنسانًا ويسميه ويعلم أنها معصية فهو عاص وعليه التوبة، وأما الرابع الذي هو مباح: فهو أن يغتاب فاسقاً معلناً بفسقه أو صاحب بدعة فهو مأجور عليه لأنهم يحذرون منه إذا عرفوا حاله هكذا ذكر أبو الليث السمرقندي رحمه الله وهذا إذا أراد تحذير الناس معه وذكره بما فيه من غير استنقاص واحتقار له فإن قصد ذلك فهو غيبة محرمة.
بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/٢٤٦، ٢٤٧) طبعة دار الكتب العلمية

تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[١].

أوحى الله ﷻ إلىٰ موسى بن عمران عليه السلام: المغتاب هو آخر من يدخل الجنة إن تاب، وإن لم يتب فهو أول من يدخل النار.

قال تعالىٰ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجرات: ١٢][٢].

ووجوه الغيبة تقع بذكر عيب في الخلق والعقل، والفعل، والمعاملة، والمذهب، والجهل، وأشباهه.

وأصل الغيبة متنوع بعشرة أنواع:

١ ـ شفاء غيض.

٢ ـ ومساعدة قوم[٣].

٣ ـ وتهمة.

٤ ـ وتصديق خبر بلا كشفه.

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ ... الآية.
فنزلت هذه الآية الكريمة في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلىٰ رجلين ميسورين يخدمهما ويخف في حاجتهما ويتقدم لهما إلىٰ المنزل فيهيء لهما أسبابهما وما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان رضي الله عنه إلىٰ المنزل فغلبته عيناه فلم يهيء لهما شيئا فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئًا قال: لا قالا: ولم؟ قال: غلبتني عيناي فقالا له: انطلق إلىٰ رسول الله ﷺ اطلب لنا منه طعاماً وأدماً فجاء سلمان رضي الله عنه إلىٰ رسول الله ﷺ وطلب منه طعاماً فقال رسول الله ﷺ: «**اذهب إلىٰ أسامة بن زيد وقل: إن كان عنده فضل من طعام فليعطك**» وكان أسامه رضي الله عنه خازن رسول الله ﷺ علىٰ رجله فأتاه فقال: ما عندي شيء فرجع سلمان رضي الله عنه إليهما وأخبرهما بذلك فقالا: كان عند أسامة طعام ولكن بخل إلىٰ أخر القصة.
بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ٢٤٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة الحجرات (١٢).

(٣) من الأوجه المباحة في الغيبة تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواه والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك ويجب علىٰ المشاور ألا يخفي من حاله شيئا بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة. ومنها: إذا رأى متفقهًا يتردد إلىٰ مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتصور المتفقه بذلك فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة.
بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ٢٥٠) طبعة دار الكتب العلمية

٥ ـ وسوء ظن.

٦ ـ وحسد.

٧ ـ وسخرية[١].

٨ ـ وتعجب.

٩ ـ وتبرم.

١٠ ـ وتزين.

فإن أردت الإسلام فاذكر الخالق لا المخلوق فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان الإثم ثوابًا.

الباب الخمسون
في الرياء[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: لا تراني بعملك من لا يحيي ويميت، ويغني عنك شيئًا والرياء

---

(١) روى الثعلبي بإسناد عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: جاء ماعز للنبي ﷺ فقال: إني زنيت، فأعرض عنه حتى أقر أربع مرات فأمر برجمه فمر النبي ﷺ علىٰ رجلين يذكران ماعزًا فقال أحدهما: هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم كرجم الكلب فسكت عنهما حتى مر علىٰ جيفة حمار (شائه رجله) فقال النبي ﷺ لهما **«انزلا فأصيبا منه»** فقالا: يا رسول الله غفر الله لك أو يؤكل من هذه الجيفة فقال ﷺ: **«فما أصبتما من لحم أخيكما آنفا. إنها أعظم عليكما أما إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها»** وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما عرج بي إلىٰ السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»** رواه الترمذي وأبو داود. وروى أبو عبد الله بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأتى على قبرين يعذبان فقال: **«إنهما يعذبان في غير كبير كان أحدهما لا يتنزه من بوله وكان الآخر يغتاب المسلمين»**.

بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ٢٤٧، ٢٤٨) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٥٢ ـ (١٩٠٥)] كتاب الإمارة ٤٣ ـ باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمة فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل . . .»** الحديث» في تعلم العلم وقراءة القرآن وفي الزكاة كل ذلك فعله رياءً. =

شجرة لا تثمر إلَّا الشرك الخفي وأصلها النفاق.

يقال للمرائي عند الميزان: خذ ثوابًا (تعد)[١] ثواب عملك ممن أشركته معي.

فانظر من تعبد وتدعو، ومن ترجو، ومن تخاف.

واعلم أنك لا تقدر علىٰ إخفاء شيء من باطنك عليه تعالىٰ.

وتصير مخدوعًا بنفسك، قال الله تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [البَقَرَة: ٩][٢].

وأكثر ما يقع الرياء في البصر والكلام والأكل والشرب، والمجيء والمجالسة واللباس والضحك والصلاة[٣] والحج والجهاد وقراءة القرآن وسائر العبادات الظاهرة.

= وقال النووي: قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم علىٰ فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل علىٰ تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلىٰ الحث علىٰ وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالىٰ بذلك مخلصًا وكذلك الثناء علىٰ العلماء وعلىٰ المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول علىٰ من فعل ذلك لله تعالىٰ مخلصًا.

شرح مسلم للنووي (١٣/ ٤٥) طبعة دار الكتب العلمية

(١) كذا بالأصل.

(٢) سورة البقرة (٩).

أي: بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك وأن ذلك نافعهم عنده وأنه يروج عليه كما قد يروج علىٰ بعض المؤمنين كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨﴾ ولهذا قابلهم علىٰ اعتقادهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ يقول وما يغرون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلَّا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النِّساء: ١٤٢] من القراء من قرأ (وما يخادعون إلا أنفسهم) [البَقَرَة: ٩] وكلا القراءتين ترجع إلىٰ معنى واحد.

تفسير ابن كثير (١/ ٤٨)

(٣) اختلف العلماء في أصل الصلاة فقيل هي الدعاء لاشتمالها عليه.

وهذا قول جماهير أهل العربية والفقهاء وغيرهم وقيل: لأنها ثانية لشهادة التوحيد كالمصلي في السابق في خيل الحلبة وقيل: هي من الصلوين وهما عرقان مع الردف. وقيل: هما عظمان ينحنيان في الركوع والسجود قالوا: ولهذا كتبت الصلوة بالواو في المصحف وقيل: هي من الرحمة وقيل: أصلها الإقبال علىٰ الشيء وقيل غير ذلك والله تعالىٰ أعلم.

أما ترك الصلاة فإن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام إلَّا أن يكون=

فمن أخلص باطنه لله تعالىٰ وخشع له بقلبه ورأى نفسه مقصرًا بذل كل مجهود وجد الشكر عليه حاصلاً ويكون من يرجو له الخلاص من الرياء والنفاق إذا استقام علىٰ ذلك في كل حال.

الباب الواحد والخمسون
في الحسد[١]

قال الصادق رضي الله عنه: الحاسد يضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة.

ولآدم عليه السلام الاجتباء والهدى والرفع إلىٰ محل حقايق العهد والاصطفاء فكن محسودًا ولا تكن حاسدًا.

فإن ميزان الحاسد أبدًا خفيف بثقل ميزان المحسود[٢].

= قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه وإن كان تركه تكاسلًا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلىٰ أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن ولكنه يقتل بالسيف . وذهب جماعة من السلف إلىٰ أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق ابن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رحمه الله وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي أنه لايكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي.

شرح مسلم للنووي (٤/ ٦٤، ٢/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٦٦ ـ (٨١٥)] كتاب صلاة المسافرين، ٤٧ ـ باب فضل من يوم بالقرآن ويعلمه عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**لا حسد إلَّا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**».

(٢) قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ إلىٰ قوله ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

قال ابن كثير: قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك يعني السواحر، قال مجاهد إذا رقين ونفثن في العقد.

وقال ابن جرير بسنده عن طاوس قال ما من شيء أقرب إلىٰ الشرك من رقية الحية والمجانين" وفي الحديث الآخر أن جبريل جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: اشتكيت يا محمد؟ فقال: «**نعم**» فقال: «**بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك**» ولعل هذا كان من شكواه ﷺ حين سحر ثم عافاه الله تعالىٰ وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم وجعل تدميرهم في=

والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد، وماذا يضر المحسود الحسد.

والحسد أصله من عمي القلب والجحود بفضل الله تعالىٰ.

وهما جناحان للكفر.

وبالحسد وقع ابن آدم في[1] حسرة الأبد وهلك مهلكًا لا ينجو منه أبدًا.

ولا توبة للحاسد لأنه مستمر عليه معتقد به مطبوع فيه.

يبدو بلا معارض مضرّ له ولا سبب والطبع ولا يتغير من الأصل وإن عولج.

= تدبيرهم وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوماً من الدهر بل كفى الله وشفى وعافى. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ: رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال فجاءه جبريل فقال إن رجلًا من اليهود سحرك وعقد لك عقداً في بئر كذا وكذا فأرسل إليها من يجيء بها فبعث رسول الله ﷺ فاستخرجها فجاءه بها فحللها قال فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير.

تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٣، ٥٧٤)

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ . . . إلىٰ قوله ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾.

قال ابن كثير: يقول تعالىٰ مبيناً وخيم عاقبه البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه في قول الجمهور وهما قابيل وهابيل كيف عدى أحدهما علىٰ الآخر فقتله بغياً عليه وحسداً له فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله ﷻ ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلىٰ الجنة وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧] أي اقصص علىٰ هؤلاء البغاة الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابني آدم وهما هابيل وقابيل فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف وقوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي علىٰ الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب ولا وهم ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢] وقوله تعالىٰ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣] وقال: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ [مريم: ٣٤] وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف أن الله تعالىٰ شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال ولكن قالوا كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر هذا البطن الآخر وكانت أخت هابيل دميمة وأخت قابيل وضيئة فأراد أن يستأثر بها علىٰ أخيه فأبى آدم ذلك إلَّا أن يقربا قرباناً فمن تقبل منه فهي له فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه.

تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢، ٤٣)

الباب الثاني والخمسون
في الطمع

قال الصادق رضي الله عنه: بلغني أنه سئل كعب الأحبار ما الأصلح في الدين وما الأفسد؟ فقال: الأصلح الورع، والأفسد الطمع، فقال له السائل: صدقت يا كعب[١].

والطمع خمر الشيطان يسقي بيده لخواصه فمن سكر منه لا يصحى إلَّا في أليم عذاب الله تعالىٰ بمجاورة ساقيه.

ولو لم يكن في الطمع سخطة إلَّا مثارات الدين بالدنيا لكان سخطًا عظيمًا.

قال الله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٥][٢].

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: تفضل علىٰ من شئت، فأنت أميره فاستعن عمن شئت فأنت نظيره، فافتقر إلىٰ من شئت فأنت أسيره.

والطامع منزوع عنه الإيمان وهو لا يشعر لأن الإيمان يحجز العبد والطمع في الخلق.

---

(١) كعب الأحبار أبو إسحاق بن ماتع الحميدي اليماني الكتابي أسلم في خلافة أبي بكر أول خلافة عمر وروى عن عمر وصهيب وعن كتب أهل الكتاب وكان في الغالب يعرف حقها من باطلها لسعة علمه وكثرة إطلاعه روى عنه ابن امرأته تبيع الحميري وأسلم مولى عمر وأبو سلام الأسود وآخرون ومن الصحابة أبو هريرة وابن عباس ومعاوية وسكن الشام وغزا بها وتوفي بحمص طالب غزاة قال خالد بن معدان عن كعب الأحبار: لأن أبكي من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بوزني ذهبا.
تاريخ الإسلام (٢/١٥٦)

(٢) سورة البقرة (١٧٥).
أي اعتاضوا عن الهدى وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به من كتب الأنبياء واتباعه وتصديقه استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه الضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكتمان صفاته في كتبهم ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٥] أي اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من أسبابه المذكورة: وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٥] يخبر تعالىٰ أنهم في عذاب شديد عظيم هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم علىٰ ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياذًا بالله من ذلك وقيل معنى قوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٥] أي فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم إلىٰ النار وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البَقَرَة: ١٧٦] أي إنما استحقوا هذا العذاب الشديد لأن الله تعالىٰ أنزل علىٰ رسوله محمد ﷺ وعلىٰ الأنبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وإبطال الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوًا فكتابهم يأمرهم بإظهار العلم ونشره فخالفوه وكذبوه وهذا الرسول الخاتم يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.
تفسير ابن كثير (١/٢٠٦، ٢٠٧)

فيقول: يا صاحبي خزائن الله تعالىٰ مملوءة من الكرامات وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وما في أيدي الناس مشوب بالعلل.

ويرده إلىٰ التوكل والقناعة[١] وقصر الأمل ولزوم الطاعة واليأس من الخلق.

فإن فعل ذلك لزمه، فقد صلح.

وان لم يفعل ذلك تركه مع شؤم الطبع وفارقه.

الباب الثالث والخمسون

في السخاء[٢]

قال الصادق ﷺ: السخاء من أخلاق الأنبياء، وهو عماد الإيمان، ولا يكون مؤمنًا إلَّا سخيًا.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٣١٤٣) كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه . ومسلم في صحيحه [٩٦ ـ (١٠٣٥)] كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى.

عن حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال: يا حكيم إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى" قال حكيم: فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر يدعو حكيمًا ليعطه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال: يا معشر المسلمين أشهدكم علىٰ حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي" أخرجاه. ويرزأ براء ثم زاي ثم همزة: أي لم يأخذ من أحد شيئًا وأصل الرزء النقصان أي لم ينقص أحدًا شيئا بالأخذ منه وإشراف النفس تطلعها وطمعها بالشيء وسخاوة النفس هي عدم الإشراف إلىٰ الشيء والطمع فيه والمبالاة فيه والشدة.

حدائق الأولياء من تحقيقنا (١/ ٥٤٤) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٢] وروى البخاري في صحيحه (٦/ ٩٢، ٩/ ١٥٠)، ومسلم في صحيحه [٣٦] كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ النفقة وتبشير المنفق بالخلف عن أبي هريرة رفعه: قال الله تبارك وتعالىٰ: «**يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك**»، وقال: «**يمين الله ملأى سحاء لا يغيضها شيء الليل والنهار**».

قال النووي: ضبطوا سحاء بوجهين: أحدهما: سحاء بالتنوين علىٰ المصدر وهذا هو الأصح والأشهر والثاني: حكاه القاضي سحاء بالمد علىٰ الوصف ووزنه فعلاء صفة لليد والسح الصب الدائم والليل=

ولا يكون سخيًا إلَّا ذو يقين وهمة عالية.

لأن السخاء شعاع نور اليقين.

من عرف ما قصد هان عليه ما بذل.

قال النبي ﷺ: «**ما جبل ولي الله إلَّا علىٰ السخاء**»[١].

والسخاء ما يقع على كل محبوب أقله الدنيا ومن علامة السخاء[٢] أن لا يبالي من أكل الدنيا ومن ملكها مؤمن أو كافر.

ومطيع أو عاص وشريف أو وضيع.

يعظم غيره ويجوع ويكسو غيره ويعرى ويعطي غيره ويمتنع من قبول عطاء غيره.

ويمن بذلك ولا يمن، ولو ملك بأجمعها لم ير نفسه فيها إلَّا أجنبيًا.

= والنهار في هذه الرواية منصوبان علىٰ الظرف ومعنى لا يغيضها شيء أي لا ينقصها يقال: غاض الماء وغاضه الله لازم ومتعد قال القاضي قال الإمام المازري: هذا مما يتأول لأن اليمين إذا كانت بمعنى المناسبة للشمال لا يوصف بها الباري سبحانه وتعالىٰ لأنها تتضمن إثبات الشمال وهذا يتضمن التحديد ويتقدس الله سبحانه عن التجسيم والحد إنما خاطبهم رسول الله ﷺ بما يفهمونه وأراد الإخبار بأن الله تعالىٰ لا ينقصه الإنفاق ولا يمسك خشية الإملاق جل الله عن ذلك.

شرح مسلم للنووي (٧/ ٧٠) طبعة دار الكتب العلمية

(١) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٨٣) وذكر ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٧٩) والألباني في السلسلة الضعيفة (٦٢٢).

(٢) روى مسلم في صحيحه [٥٣ - (١٠٠٦)] كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، عن أبي ذر من حديث فيه «**وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة**».

قال النووي: قال القاضي يحتمل تسميتها صدقة أن لها أجراً كما للصدقة أجر، وأن هذه الطاعات تماثل الصدقات في الأجور وسماها صدقة علىٰ طريق المقابلة وتجنيس الكلام وقيل: معناه أنها صدقة عن نفسه. قوله ﷺ: «**وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة**» فيه إشارة إلىٰ ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا نكره والثواب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية وقد يتعين ولا يتصور وقوعه نفلا والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل ومعلوم أن أجر الفرض أكثر من أجر النفل لقوله عز وجل: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه**» . رواه البخاري من رواية أبي هريرة وقد قال إمام الحرمين من أصحابنا عن بعض العلماء أن ثواب الفرض يزيد علىٰ ثواب النافلة بسبعين درجة.

شرح مسلم للنووي (٧/ ٨٠) طبعة دار الكتب العلمية

ولو بذلها في ذات الله ﷻ في ساعة واحدة ما ملأ.

قال رسول الله ﷺ: «**السخي قريب من الله وقريب من الناس وقريب من الجنة، بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة وقريب النار**»(١).

ولا يسمى سخيًا إلَّا الباذل في طاعة الله ولوجهه، ولو كان برغيف أو شربة ماء(٢).

قال النبي ﷺ: «**السخي بما ملك وأراد به وجه الله تعالىٰ**»(٣).

وأما المتسخي معصية الله تعالىٰ فمحال سخط الله وغضبه.

وهو أبخل الناس لنفسه، فكيف لغيره(٤).

حيث اتبع هواه وخالف أمر ﷻ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العَنكبوت: ١٣](٥).

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (١٩٦١) والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٧)، والزبيدي في الاتحاف (٩/ ٣٢٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٨١)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٨٠، ١٨١)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ١٤٥)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٤٨٣)، وذكرها الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٥٤).

(٢) روي أنه أصاب الناس مجاعة فاشترى حبيب العجمي طعاماً وفرقه علىٰ الفقراء ثم أحاط أكياساً وجعلها تحت رأسه ثم دعا الله فجاءه أصحاب الطعام يطلبون منه ثمنه فأخرج حبيب تلك الأكياس فإذا هي مملوءة دراهم فوزنها فإذا هي قدر حقوقهم سواء فدفعها إليهم وروي أنه أتاه سائل مرة وقد عجنت امرأته عجينا وذهبت تجيء بنار لتخبزه فقال للسائل: خذ العجين فأخذه فجاءت وقالت: أين هو . قال: ذهبوا به يخبزونه فلما أكثرت عليه أخبرها بالقصة فقالت: سبحان الله إنه لا يدلنا من شيء نأكله فإذا برجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزًا ولحمًا فقالت له: ما أسرع ما ردوه عليك قد خبزوه وجعلوه معه لحمًا.

حدائق الأولياء من تحقيقنا (١/ ٥٠٨) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) لم أقف عليه.

(٤) روى مسلم في صحيحه [٥٧ - (١٠١٠)] كتاب الزكاة، ١٧ ـ باب في المنفق والممسك، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**».

قال النووي: قال العلماء: هذا في الانفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلىٰ العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى سرفًا، والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا.

النووي في شرح مسلم (٧/ ٨٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٥) سورة العنكبوت (١٣).

وقال النبي ﷺ: «**يقول ابن آدم ملكي ملكي ومالي مالي، يا مسكين أين كنت حيث كان الملك ولم تكن، وهل إلَّا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت إما مرحوم به أو معاقب عليه**»[١].

فاعقل أن لا يكون مال غيرك أحب إليك من مالك[٢].

فقد قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: ما قدمت فهو للمالكين، وما أخرت فهو للوارثين، وما معك ليس لك عليه سبيل سوى الغرور به.

كم تسعى في طلب الدنيا وكم تدعي؟

أفتريد أن تفقر نفسك وتغني غيرك؟

الباب الرابع والخمسون
في الأخذ والعطاء

قال الصادق رضي الله عنه: من كان الأخذ أحب إليه من الإعطاء[٣] فهو مغبون لأنه يرى

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [٣ ـ (٢٩٥٨)] كتاب الزهد والرقائق في فاتحته.

والترمذي في سننه (٢٣٤٢) كتاب الزهد، باب منه رقم (٣١)، والنسائي في الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية.

وأحمد في مسنده (٤/ ٢٤، ٢٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣٤، ٣٢٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٢)، والتبريزي في المشكاة (٥١٦٩)، والزبيدي في الاتحاف (٨/ ٨٣، ١٤٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢١١).

(٢) عن مالك بن أنس قال: كتبت إلى الليث بن سعد . أسأله في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فأرسل إلينا ما صبغنا من ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضلة بألف دينار . وعن شقيق قال: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذ مر رجل فقال: إبراهيم أليس هذا فلان. قيل له: نعم فقال الرجل عنده أدركه وقل له: لم لا تسلم . فقال له: قال إن امرأته وضعت وليس عنده شيء فخرج شبه المجنون قال: فأخبرت إبراهيم فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر.

حدائق الأولياء من تحقيقنا (١/ ٥٠٩) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) روى مسلم في صحيحه [٩٤ ـ (١٠٣٣)] كتاب الزكاة، ٣٢ ـ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ـ، عن ابن عمر رفعه: «**اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة**».

وقال النووي في حديث «**فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع**»: قال العلماء: إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه، =

العاجل بغفلته أفضل من الأجل وينبغي للمؤمن إذا أخذ أن يأخذ بحق، وإذا أعطى ففي حق وبحق ومن حق فكم من آخذ معطى دينه وهو لا يشعر، وكم من معطى مورث بنفسه سخط الله، وليس الشأن في الأخذ والإعطاء، ولكن الناجي من اتق الله في الأخذ والإعطاء واعتصم بحبل الورع.

والناس في هاتين الخصلتين خاص وعام.

فالخاص ينظر في دقيق الورع فلا يتناول حتى يتيقن أنه حلال، وإذا أشكل عليه تناول عند الضرورة.

والعام ينظر في الظاهر فما لم يجده ولا يعلمه غصب ولا سرقة تناول وقال: لا بأس هو لي حلال.

والأمر في ذلك بين يأخذ بحكم الله ﷻ وينفق في رضا الله ﷻ.

الباب الخامس والخمسون
في المؤاخاة

قال الصادق رضي الله عنه: ثلاثة أشياء في كل زمان عزيزة وهي الإخاء في الله تعالىٰ[1]

= وأما طيب النفس فذكر القاضي فيه احتمالين:

أظهرهما: أنه عائد علىٰ الآخذ ومعناه من أخذه بغير سؤال ولا إشراف وتطلع بورك له فيه . والثاني: أنه عائد إلىٰ الدافع ومعناه من أخذه ممن يدفع منشرحًا بدفعه إليه طيب النفس لا بسؤال اضطره إليه أو نحوه مما لا تطيب معه نفس الدافع وأما قوله ﷺ: **«كالذي يأكل ولا يشبع»** فقيل: هو الذي به داء لا يشبع بسببه وقيل: يحتمل أن المراد التشبيه بالبهيمة الراعية وفي هذا الحديث وما قبله وما بعده الحث علىٰ التعفف والقناعة والرضا بما تيسر في عفاف وإن كان قليلاً والإجمال في الكسب وأنه لا يغتر الإنسان بكثرة ما يحصل له بإشراف ونحوه فإنه لا يبارك له فيه وهو قريب من قول الله تعالىٰ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾.

شرح مسلم للنووي (٧/ ١١٣) طبعة دار الكتب العلمية

(١) في حديث **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله . . .»** الحديث.

وفيه **«ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»**.

قال النووي: معناه اجتمعا علىٰ حب الله وافترقا علىٰ حب الله أي وافترقا علىٰ حب الله أي كان سبب اجتماعهما حب الله واستمرا علىٰ ذلك حتى تفرقا من مجلسهما هم صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالىٰ حال اجتماعهما وافتراقهما. وفي هذا الحديث الحث علىٰ التحاب في الله وبيان عظم فضله وهو من المهمات فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان وهو بحمد الله كثير يوفق له أكثر الناس أو من وفق له.

شرح مسلم للنووي (٧/ ١٠٨، ١٠٩) طبعة دار الكتب العلمية

والزوجة الصالحة الأليفة تعينه في دين الله ﷻ والولد الرشيد[١].

ومن وجد الثلاثة فقد أصاب خير الدارين والحظ الأوفر من الدنيا والآخرة، واحذر أن تواخي من أرادك الطمع أو خوف، أو ميل أو مال، أو أكل أو شرب.

واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض وإن أفنيت عمرك في طلبهم فإن الله ﷻ لم يخل على وجه الأرض أفضل منهم بعد النبيين.

وما أنعم الله تعالىٰ على العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق بصحبتهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٢].

وأظن أن من طلب صديقًا في زماننا هذا بلا عيب بقي بلا صديق ألا ترى أن أول كرامة أكرم الله بها أنبياءه عند إظهار دعوتهم صديق أمين، أو ولي.

فكذلك من أجلِّ ما أكرم الله به أصدقاءه وأولياءه، وأصفياءه وأمناءه وصحبته أنبياءه.

وذلك دليل على أن ما في الدارين بعد معرفه الله تعالىٰ نعمة أجل وأطيب، وأزكى من الصحبة في الله ﷻ والمؤاخاة لوجه الله تعالىٰ.

---

(١) روى مسلم في صحيحه (١٤ ـ (١٦٣١) كتاب الوصية، ٣ ـ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلَّا من ثلاثة: إلَّا من صدقه جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

قال النووي: قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلَّا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح.

وقد سبق بيان اختلاف أحوال الناس فيه وأوضحنا ذلك في كتاب النكاح وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع وفيه أن الدعاء ثوابه إلىٰ الميت وكذلك الصدقة وهما مجمع عليهما.

شرح مسلم للنووي (١١/ ٧٢) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة الزخرف (٦٧).

الباب السادس والخمسون
في المشاورة

قال الصادق رضي الله عنه: شاور في أمورك مما يقتضي الدين من فيه خمس خصال عقل[١] وعلم وتجربة ونصح وتقوى وإن تجد فاستعمل الخمسة واعزم وتوكل علىٰ الله تعالىٰ فإن ذلك يؤديك إلىٰ الصواب.

وما كان من أمور الدنيا التي هي غير عائدة إلىٰ الدين فاقضها ولا تتفكر فيها فإنك إذا فعلت ذلك أصبت بركة العيش وحلاوة الطاعة.

وفي المشاورة اكتساب العلم والعاقل من يستفيد منها علمًا جديدًا ويستدل به علىٰ المحصول من المراد.

ومثل المشورة[٢] مع أهلها مثل التفكر في خلق السماوات وفنائهما، وهما غيبان لأنه

---

(١) اختلف العلماء في محل العقل وصفته فقال الشافعي رحمه الله: هو نور في القلب يزيد وينقص، وقال أبو حنيفة رحمه الله: وأكثر الأطباء إنه في الدماغ ووافقه الإمام أحمد رحمه الله. وفي كتاب الإحياء: قالت الملائكة: يا رب هل خلقت خلقًا أعظم من العرش قال: نعم العقل قالوا: وما بلغ من قدره قال: هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا: لا قال: فإني خلقت العقل أصنافاً شيء كعدد الرمل فمن الناس من أعطيته حبة وحبتين والثلاث والأربع ومنهم من أعطيته وسقاً وأكثر من ذلك قال في الإحياء: العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري فيه مجرى الثمرة من الثمر والنور من الشمس والوسق: ستون صاعاً والصاع: أربعة أمداد. قال النووي رحمه الله في الفتاوى: والصاع بالدمشقي: رطل وأوقية وخمسة أسباع أوقية. روى ابن الملقن في العمدة: والرطل الدمشقي: ستمائة درهم.
بستان الفقراء (٢/ ٢٣٣) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾.
قال ابن كثير: ولذا كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطييباً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلىٰ العير فقالوا: يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ولو سرت بنا إلىٰ برك الغماد لسرنا معك ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون وشاورهم أيضاً أين يكون المنزل حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلىٰ العدو فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج إليهم وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى ذلك عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فترك ذلك.
تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٠)

كلما قوى تفكره فيهما غاص في بحار نور المعرفة وازداد بهما اعتبارًا ويقينًا ولا تشاور من لا يصدقه عقلك وإن كان مشهورًا بالعقل والورع.

وإذا شاورت من يصدقه قلبك فلا تخالفه فيما يشير به عليك، وإن كان بخلاف مرادك فإن النفس تجمع عن قبول الحق، وخلافها عند قبول الحقائق أبين.

قال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩][1] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨][2] أي: متشاورون فيه.

الباب السابع والخمسون
في الحلم[3]

قال الصادق رضي الله عنه: الحلم سراج الله يستضيء به صاحبه إلىٰ جواده، ولا يكون حليمًا إلَّا المؤيد بأنوار المعرفة والتوحيد والحلم يدور علىٰ خمسة أوجه يكون عزيزًا فيذل.

أو يكون صادقًا فيتهم، أو يدعو إلىٰ الحق فيستخف به أو أن يؤذي بلا جرم أو أن يطلب بالحق يخالفوه فيه.

فإذا أتيت كلا منها حقه فقد أصبت.

وقابل السفيه بالإعراض عنه وترك الجواب تكن الناس أنصارك.

لأن من حارب السفيه فكأنه وضع الحطب علىٰ النار.

---

(١) سورة آل عمران (١٥٩).

(٢) سورة الشورى (٣٨).

(٣) قال في بستان الفقراء: لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] سأل النبي جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال: حتى أسأل العالم، ثم ذهب فأتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك. وقال عز وجل: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحِجر: ٨٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: ٤] وصفه بالخلق العظيم لأنه جاء بالكونين عوضاً عن الحق وعن أبي سعيد رضي الله عنه في هذه الآية: لم يكن همه غير الله تعالىٰ وقال الجنيد رحمه الله: الخلق العظيم لا يكون له اختيار ويكون بحب العلم مع فناء النفس وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**».

بستان الفقراء (٢/٢٠٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

قال النبي ﷺ: «**مثل المؤمن كمثل الأرض منافعهم منها إذا هم عليها**»[١] . ومن لا يصبر علىٰ جفاء الخلق لا يصل إلىٰ رضى الله تعالىٰ[٢]، لأن رضى الله تعالىٰ مشوب بجفاء الخلق.

وحكي أن رجلا قال لأحنف بن قيس: إياك أعني، قال: وعنك احلم.

قال رسول الله ﷺ: «**بعثت للحلم مركزًا وللعلم معدنًا وللصبر مسكنًا**»[٣] صدق رسول الله ﷺ.

وحقيقة الحلم أن تعفو عمن أساء إليك[٤] وخالفك وأنت القادر علىٰ الانتقام منه كما ورد في الدعاء: الهي أنت أوسع فضلاً وأوسع حلمًا من أن تؤاخذني بعملي وتستذلني بخطيئتي.

الباب الثامن والخمسون
في التواضع[٥]

قال الصادق رضي الله عنه: التواضع كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) قال الإمام الغزالي: خرج زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه وعن أبيه وجده إلىٰ المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه فنهاهم عنه زين العابدين وقال: كفوا أيديكم . ثم التفت إلىٰ ذلك الرجل وقال: يا هذا ما لا تعرفه مني أكثر مما عرفته فإن كان لك حاجة إلي اذكرها أنجزتها لك . قال: فخجل ذلك الرجل واستحى فخلع عليه زين العابدين رضي الله عنه قميصه وأمر له بألف درهم فمضى الرجل وهو يقول: أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله ﷺ . وحكى الإمام الغزالي رحمه الله: روي أن زين العابدين رضي الله عنه استدعى غلامه وناداه مرتين فلم يجبه قال زين العابدين رضي الله عنه: أما سمعت ندائي قال: بلى . قال: فلم لا تجيبني . قال: أمنت منك وعلمت طهارة أخلاقك . فقال زين العابدين رضي الله عنه: الحمد لله الذي أمن مني عبدي.

بستان الفقراء (٢/ ٢١٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) لم أقف عليه.

(٤) حكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله خرج إلىٰ بعض البراري فاستقبله جندي فقال له: أين العمران؟ فأشار إلىٰ المقبرة فضربه علىٰ رأسه فأوضحه فلما جاوزه وقيل له: هذا الذي ضربته إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر إليه فقال: إنك لما ضربتني سألت الله لك الجنة فقال: ولم؟ قال: علمت أني أوجر عليه فلم أرد أن يصيبني منك الخير ويصيبك مني الشر.

بستان الفقراء (٢/ ٢١٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] هذا خطاب لسيد الأولين والآخرين فما بالك=

ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله.

وما سواه مكر.

ومن تواضع لله شرفه علىٰ كثير من عباده ولأهل التواضع سيمًا.

سئل بعضهم عن التواضع؟ قال: هو أن يخضع للحق، وينقاد له، ولو سمعه من صبي.

وكثير من أنواع الكبر يمنع من استفاده العلم وقبوله والانقياد له.

وفيه وردت الآيات التي ذم المتكبرين ولأهل التواضع سيمًا[١] يعرفها أهل السماوات من الملائكة، وأهل الأرضين من العارفين قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعرَاف: ٤٦][٢].

= بآحاد المخلوقين، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهذا شرح خفض الجناح فوصف المحبوبين لله المحبين له بذلك. ولنتمن الذلة معنى التحصن عداد (بعلي) فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣] فإذا كان الأمر كذلك فلم لا يتواضع والناس في ذلك سواء فلا وجه للترفع إذن وإن تفرعوا للشعوب والقبائل فهو للتعارف للتفاخر. وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فلا يتوهم فاعله ترفعه ومكانه فإنه تزكية منهي عنها بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ﴾ [النَجم: ٣٢] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ﴾ الآية، ولنذكر أحاديث في ذكر ما يرغب في التواضع ويجذب إليه وما يحذر من عواقب الرفعة الدنيوية والمراتب العلية.

حدائق الأولياء (٢/ ١٩٦، ١٩٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) روى البخاري في صحيحه (٢٢٦٢) كتاب الإجارة باب رعي الغنم علىٰ قراريط، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ما بعث الله نبيا إلَّا رعى الغنم**» قال أصحابه وأنت؟ قال: نعم كنت أرعاها علىٰ قراريط لأهل مكة» وروينا فيه أيضًا عنه مرفوعاً: لو دعيت إلىٰ كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت" وروينا فيه أيضاً عن أنس قال: كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق ولا تكاد تسبق فجاء أعرابي علىٰ قعود له فسبقها. فشق ذلك علىٰ المسلمين حتى عرف. فقال: «**حق علىٰ الله أن لا يرفع شيء من الدنيا إلَّا وضعه**» وروينا عن حماد بن زيد قال: قال لي أيوب السختياني: إن قوماً يريدون أن يرفعوا فيأبى الله إلَّا أن يضعهم وآخرين يريدون أن يتواضعوا ويأبى الله إلَّا أن يرفعهم. وقال خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع الحديث فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال: لا أجلس إلَّا بين يديك فقد أمرنا بالتواضع لمن نتعلم منه. وقال علي بن أبي طالب فيما رواه الشعبي عنه: يا أيها الناس عدوا عني هذه الكلمات فلو ركبتم المطايا حتى تضنوها ما أصبتم منها: لا يرجون عبداً إلَّا ربه، ولا يخافن إلَّا ذنبه، ولا يستحي إذا لم يتعلم أن يتعلم ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم.

حدائق الأولياء (٢/ ١٩٩) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة الأعراف (٤٦).

وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢][٣].

وأصل التواضع من جلال الله وهيبته وعظمته وليس لله ﷻ عبادة يرضاها ويقبلها إلَّا ويأبه التواضع.

ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلَّا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته قال ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣][٤].

---

(١) سورة المائدة (٥٤).

(٢) سورة الحجرات (١٣).

(٣) سورة النجم (٣٢).

روي البخاري في صحيحه (٦٧٦) وسئلت عائشة ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله ـ يعني في خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلىٰ الصلاة وفي مسلم (٦٠) كتاب الجمعة باب حديث التعليم في الخطبة، من حديث أبي رفاعة تميم بن أسد قال انتهيت إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه؟ فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتى بكرسي فقعد عليه وجعل يعلمني ما علمه الله . ثم أتى خطبته فأتم آخرها . وروينا فيه من حديث أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاث قال: وقال: «**إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان**» وأمر بسلت القصعة قال: فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة.

حدائق الأولياء (٢/ ١٩٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٤) سورة الفرقان (٦٣).

هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] الآية فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أشر ولا بطر وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعًا ورياء فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما يخط من صبب وكأنما الأرض تطوى له، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع حتى روى عن عمر أنه رأى شاباً يمشي رويداً فقال: ما بالك أأنت مريض؟ قال: لا يا أمير المؤمنين فعلاه بالدرة وأمره أن يمشي بقوة وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار . وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلَّا خيراً كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما وكما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] الآية. =

وقد أمر الله تعالىٰ أعز خلقه وسيد بريته محمدًا بالتواضع.

فقال ﷻ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾[١].

والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء.

وإنهن لا يتبين إلَّا منها وفيها.

ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلَّا للمتواضع في ذات الله تعالىٰ.

الباب التاسع والخمسون

في الاقتداء

قال الصادق رضي الله عنه: ليس الاقتداء إلَّا بصحة قسمه الأرواح في الأول وامتزاج نور الوقت بنور الأزلي وليس الاقتداء بالتوسم بحركات الظاهرة والنسب إلىٰ أولياء[٢] الدين الحكماء والأئمة.

قال الله ﷻ: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾[٣] أي من كان اقتدى بمحق فهو زكي، وقال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١][٤].

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها**

= وروى الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي خالد الوالبي عن النعمان ابن مقرن المزني قال قال رسول الله ﷺ وسب رجل رجلا عنده فجعل الرجل المسبوب يقول: عليك السلام فقال رسول الله ﷺ: «**أما إن ملكا بينكما يذب عنك كلما شتمك هذا قال له بل أنت وأنت أحق به، وإذا قال له وعليك السلام قال لا بل عليك وأنت أحق به**» إسناده حسن ولم يخرجوه.

تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٥)

(١) سورة الشعراء (٢١٥).

(٢) قال الشوكاني: أهل الولاية إذا لم تكن أعمالهم موزونة بميزان الكتاب والسنة فلا اعتداد بها، ومعلوم أن أولياء الله لم يجعلوا كلامه وكلام رسوله قدوتهم ويمشون علىٰ صراطهما السوي لم يصح لهم هذا الانتساب إلىٰ الله ﷻ وكيف يكون ولياً لله سبحانه من يعرض عما شرعه لعباده ودعاهم إليه ويشتغل بزخارف الأحوال وخواطر السوء ويؤثرها علىٰ كلام من هو ولي له فإن هذا هو بالعد وأشبه منه بالولي.

قطر الولي (٢٨٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) سورة الإسراء (٧١).

(٤) سورة المؤمنون (١٠١). =

اختلف»[١].

وقيل لمحمد ابن الحنفية: من أدبك؟

فقال: أدبني ربى في نفسي فما استحسنت من أولي الألباب والبصيرة تبعتهم به واستعملته وما استقبحت من الجهال اجتنبته وتركته مستقرا فأوصلني ذلك إلىٰ طريق العلم ولا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصح قال الله ﷻ لأعز خلقه محمد ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠][٢].

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [النحل: ١٢٣][٣].

فلو كان لدين الله تعالىٰ ﷻ مسلك أقوم من الاقتداء لندب أنبيائه وأوليائه إليه.

= يخبر تعالىٰ أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور وقام الناس من القبور: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] أي لا تقع الأنساب يومئذ ولا يرثي والد لولده ولا يلوي عليه قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠﴾ أي لا يسأل القريب عن قريبه وهو يبصره ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره وهو كان أعز الناس عليه في الدنيا ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة قال الله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ الآية وقال ابن مسعود: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه قال: فيفرح المرء أن يكون له الحق علىٰ والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً.

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٤)

(١) هذا حديث أخرجه: البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة رقم الحديث (١٥٩، ١٦٠)، وأبو داود في سننه (٤٨٣٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٣٢٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٠٣، ٥٠٠٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٩٨، ٤/ ٦٧).

(٢) سورة الأنعام (٩٠).

يقول تعالىٰ مخاطبا نبيه محمد ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الأنعام: ٩٠] يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ [الأنعام: ٩٠] أي هم أهل الهدى لا غيرهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] أي اقتدوا تبع وإن كان أمراً للرسول ﷺ فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جريح أخبرهم قال: أخبرني سليمان الأحول أن مجاهدًا أخبره أنه سأل ابن عباس أفي (ص) سجدة؟ فقال: نعم ثم تلا ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ﴾ ـ إلىٰ قوله ـ ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ ثم قال هو منهم.

تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٩)

(٣) سورة النحل (١٢٣).

قال النبي ﷺ: «**في القلوب نور لا يضيء إلَّا من اتباع الحق وقصد السبيل، وهو من نور الأنبياء مودع في قلوب المؤمنين**».

الباب الستون
في العفو[١]

قال الصادق رضي الله عنه: العفو عند القدرة من سنن المرسلين وأسرار المتقين وتفسير العفو ألَّا تلزم صاحبك فيما أجرم ظاهرًا وتنسى من الأصل ما أصيب منه باطنًا وتزيد علىٰ الاختيارات إحسانًا.

ولن تجد إلىٰ ذلك سبيلا من قد عفى الله عنه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عنه وزينه بكرامته، وألبسه من نور بهائه لأن العفو والغفران صفتان من صفات الله تعالىٰ[٢] أودعهما في أسرار أصفيائه ليتخلقوا مع الخلق بأخلاق خالقهم وجاعلهم، لذلك قال الله ﷻ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].
قال ابن كثير: قال الضحاك قال ابن عباس ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أنفق الفضل، وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في قوله ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ثم أمرهم بالغلظة عليهم واختار هذا القول ابن جرير وقال غير واحد عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وقال هشام بن عروة عن أبيه أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو ومن أخلاق الناس وفي رواية قال: خذ ما عفى لك من أخلاقهم.
تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٣)

(٢) في اسمه تعالىٰ العفو قال زروق: العفو هو الذي يترك المؤاخذة للذنب حتى لا يبقى له أثر فيعفو حتى لا يبقى له أثر ـ أي يندرس ويذهب من قولهم: عفى الأثر إذا ذهب من عرف أنه العفو تعلق بعفوه فرجع إليه ومن عرف أنه العفو لاذ بعفوه عن ذنوبه فطلب عفوه في كل أحواله وإن عظم ذنبه . وتعلقًا: أن تطلب العفو من مولاك إذ لا يسأل شيئا أحب إليه من العفو والعافية . وتخلقًا: أن تكون عفوًا عن ذلك للعباد في كل حال وإن كان منهم ما كان وخاصيته: من أكثر منه فتح له باب الرضا وقد تقدم في اسمه العدل وفي الأربعين الإدريسية: يا كريم العفو إلىٰ آخره فانظره هناك.
شرح أسماء الله الحسنى من تحقيقنا (ص١٥٢، ١٥٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) سورة النور (٢٢).
نزلت في حق الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبداً بعد ما قال في عائشة ما قال في حادث الإفك . فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله علىٰ من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد علىٰ من أقيم عليه شرع تبارك وتعالىٰ وله الفضل والمنة يعطف الصديق علىٰ قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكينًا لا مال له إلَّا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه وكان من المهاجرين في سبيل الله وهو زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد=

ومن لا يعفو عن بشر مثله كيف يرجو عفو ملك جبار.

قال النبي ﷺ حاكيًا عن ربه يأمره بهذه الخصال قال: «**صل من قطعك واعف عمن ظلمك واعط من حرمك وأحسن إلىٰ من أساء إليك**»(١).

وقد أمرنا بمتابعته لقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٢) فالعفو سرّ الله في القلوب(٣)، قلوب خواصه فمن يسر سَرَّه.

وقال رسول الله ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم**»، قيل يا رسول الله وما أبو ضمضم؟

قال ﷺ: «**رجل ممن قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني قد تصدقت بعرضي علىٰ الناس عامة**»(٤).

= عليها وكان الصديق رضي الله عنه معروفًا بالمعروف له الفضل والأيادي علىٰ الأقارب والأجانب فلما نزلت هذه الآية إلىٰ قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] الآية فإن الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك وكما تصفح يصفح عنك فعند ذلك قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا.

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٤)

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) سورة الحشر (٧).

(٣) روى مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٢٥٨٨)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٩ ـ باب استحباب العفو والتواضع، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلَّا عزاً، وما تواضع أحد لله إلَّا رفعه**».

قال النووي: قوله ﷺ «**ما نقصت صدقة من مال، ذكروا فيه وجهين: أحدهما معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة . والثاني: أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلىٰ أضعاف كثيرة . وقوله ﷺ: «وما زاد الله عبدًا بعفو إلَّا عزا»** فيه أيضاً وجهان: أحدهما أنه علىٰ ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه . والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك.

شرح مسلم للنووي (١٦/ ١١٦) طبعة دار الكتب العلمية

(٤) أخرجه: الألباني في إرواء الغليل (٨/ ٣٢)، والبغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٢٧).

الباب الحادي والستون
في حسن الخلق

الخلق حسن جمال في الدنيا ونزهة في الآخرة، وبه كما الدين وقربة إلىٰ الله تعالىٰ ولا يكون حسن الخلق إلاّ في كل ولي وصفي.

لأن الله تعالىٰ أبى أن يترك اللطافة وحسن الخلق إلا مطايا نورده إلا علىٰ وجماله إلا زكى، لأنها خصال يختص بها أعزاءه.

ولا يعلم في حقيقة حسن الخلق إلَّا الله ﷻ قال رسول الله ﷺ: (حاتم رشا)[١] أي رضيا حسن الخلق، والخلق الحسن ألطف شيء في الدين وأثقل شيء في الميزان، وسوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل وإن ارتقى في الدرجات فمصيره إلىٰ الهوان، قال رسول الله ﷺ: «**حسن الخلق شجرة في الجنة وصاحبها متعلق بغصنها تجذبه إليها**».

الباب الثاني والستون
في العلم[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: العلم أصل كل حال سَنّي ومنتهى كل منزلة رفيعة ولذلك قال النبي ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»[٣] أي: علم التقوى واليقين.

وقال علي رضي الله عنه: "اطلبوا العلم ولو بالصين"[٤].

فهو علم معرفة النفس، ومعرفة الرب ﷻ.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) قال في عيون المجالس: العلم ثلاثة أحرف عين، ولام، وميم، العين من العلوم واللام من اللطافة، والميم من الملك، فالعين تجر صاحبها إلىٰ عليين، واللام تصيره لطيفا، والميم تصيره ملكًا علىٰ العباد، ويعطي الله العالم ببركة العين العز وببركة اللام اللطافة وببركة الميم المحبة والمهابة.

(٣) أخرجه: ابن ماجة في سننه (٢٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٩)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٤٠)، وفي الصغير (١/ ١٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢١٨)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٠٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٩٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٥٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٥٤، ٥٥).

(٤) هو حديث ضعيف ذكره الذهبي في الميزان رقم (٤٢١)، وابن حجر في اللسان (١/ ٢٦١١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٩)، والسيوطي في اللآلىء (١/ ١٠٠)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٣٨٢)، والزبيدي في الاتحاف (١/ ٩٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢١٥).

قال النبي ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[١].

ثم عليك من العلم بما لا يصح العمل إلَّا به، وهو الإخلاص[٢].

قال النبي ﷺ: «**نعوذ بالله من علم لا ينفع**»[٣].

وهو العلم الذي يضاد العمل بالإخلاص واعلم أن قليل العلم يحتاج إلىٰ كثير العمل لأن علم الساعة يلزم صاحبه استعمال طول دهره[٤].

قال عيسى ابن مريم عليه السلام: "رأيت حجرًا عليه مكتوب اقلبني، فقلبته فإذا علىٰ باطنه مكتوب من لا يعمل بما يعلم مشؤم عليه طلب ما لا يعلم، ومردود عليه ما علم".

أوحى تعالىٰ إلىٰ داود عليه السلام: إن أهون ما أنا صانع بعالم عامل بعلمه أشد من سبعين

---

(١) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٦٢)، والسيوطي في الدرر المنتثرة (١٥٢)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٣٥١).

(٢) ذكر أن أهل البصرة اختلفوا فقال بعضهم العلم أفضل من المال، وقال بعضهم المال أفضل من العلم فبعثوا رسولا إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن ذلك فقال ابن عباس رضي الله عنهما العلم أفضل من المال.
فقال الرسول إن سألوني عن الحجة ماذا أقول لهم قال قل لهم إن العلم ميراث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمال ميراث الفراعنة ولأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال ولأن العلم لا يعطيه الله سبحانه وتعالىٰ إلَّا لمن يحبه ولأن العلم لا ينقص بالبذل والإنفاق والمال ينقص بالبذل والإنفاق ولأن صاحب المال ينقص بالبذل والانفاق ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره والعالم إذا مات فذكره باق ولأن صاحب المال يسأل عن كل درهم من أين اكتسبه وفي أي شيء أنفقه وصاحب العلم له بكل حديث درجة في الحجة.
بستان الفقراء (١/ص٤٠، ٤١) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (١/ ٦٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣، ٣١).

(٤) روى أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء فإنك إن لم تعمل بعملهم أخذت من أخلاقهم وإن لم تأخذ من أخلاقهم نزلت الرحمة وأنت فيهم وحكي أن أبا العباس بن شريح رحمه الله تعالىٰ رأى في مرضه الذي مات فيه في منامه كأن القيامة قد قامت والجبار سبحانه وتعالىٰ يقول: «**أين العلماء؟**» فجاؤوا ثم قال: ماذا عملتم؟ فقالوا: يا رب قصرنا وأسأنا فقال أبو العباس رحمه الله فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات أبو العباس رحمه الله بعد هذا المنام بثلاثة أيام.
وقال وهب بن منبه رحمه الله: التزم داود عليه السلام العبادة وفارق الناس فأوحى الله إليه يا داود أخر إلىٰ الناس وعلمهم العلم فإن ذلك أفضل من الدنيا وما فيها وإن الله قد أعطى محمد ﷺ كل شيء.
بستان الفقراء (١/ ص٤٢، ٤٣) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

عقوبة باطنة إن أخرج قلبه حلاوة ذكرى.

وليس إلىٰ الله سبحانه طريق يسلك إلا بعلم[١] والعلم زين المرء في الدنيا والآخرة.

وسائقه إلى الجنة، وبه يصل إلىٰ رضوان الله تعالىٰ.

والعالم حقًا هو الذي ينطق فيه أعماله الصالحة وأوراده الزاكية وصدقه وتقواه.

لا لسانه ومناظرته ومعادلته وتصاوله ودعواه.

ولقد كان يطلب هذا العلم في غير هذا.

الزمان من كان فيه عقل ونسك وحكمة وحياء وخشية.

وإنا نرى طالبه اليوم ليس فيه من ذلك شيء[٢].

والعالم يحتاج إلىٰ عقل ورفق وشفقة ونصح وحلم وصبر وقناعة وبذل.

والمتعلم يحتاج إلىٰ رغبة وإرادة وفراغ ونسك وخشية وحفظ وحزم[٣].

---

(١) روى أبو داود في سننه (٣٦٤١) كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم، والترمذي في سننه (٢٦٨٢) كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة عن أبي الدرداء مرفوعًا: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلىٰ الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب وإن العلماء ورثه الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**». رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان.
والجليل وملائكته يعظم طالب العلم فكيف العالم ونور العلم يزيد علىٰ نور العبادة كما مثله بالقمر بالنسبة إلىٰ باقي الكواكب وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «**نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع**». رواه الترمذي وقال حسن صحيح.
فنضرة النعيم فضل عميم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾.
حدائق الأولياء (١/ ص٧٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى أبو القاسم الأصبهاني بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لقمان لابنه: "يا بني جالس العلماء فإنك إن لم تعمل بعلمهم أخذت من أخلاقهم وإن لم تأخذ من أخلاقهم نزلت الرحمة وأنت فيهم".
وحكي أن أبا العباس بن شريح رحمه الله تعالىٰ رأى في مرضه الذي مات فيه في منامه كأن القيامة قد قامت والجبار سبحانه وتعالىٰ يقول: "أين العلماء؟" فجاؤوا ثم قال: ماذا عملتم؟ فقالوا: يا رب قصرنا وأسأنا.
بستان الفقراء (١/ ص٤٢، ٤٣) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) قال في بستان الفقراء: يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً**» =

الباب الثالث والستون

في الفتيا

قال الصادق رضي الله عنه: لا يحل الفتيا لمن لا يصطفى من الله تعالىٰ بصفاء سره وإخلاص علمه، وعلانيته وبرهان من ربه في كل حال.

لأن من أفتى فقد حكم، والحكم لا يصح إلَّا بإذن من الله ﷻ وبرهانه.

ومن حكم بالخير بلا معاينة فهو جاهل مأخوذ بجهله ومأثوم بحكمه.

كما دل الخبر: "العلم نور[1] يقذفه الله في قلب من يشاء[2]".

قال النبي ﷺ: «**أجرأكم علىٰ الفتيا أجرأكم علىٰ** ﷻ»[3].

= وعن النبي ﷺ أنه قال: «**من ازداد علمًا ولم يزداد زهدًا لم يزدد من الله إلَّا بعدًا**». وعن النبي ﷺ أنه قال: «**هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء**». وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت سرًا فظهر حملها فانفضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالىٰ يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد" وفي الخبر: «**مما أخاف علىٰ أمتي: زلة عالم وجدال منافق في القرآن**» وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه قال: ماذا يغني عن الأعمى حمل السراج ويستغني به غيره وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج علىٰ ظهره وما يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة ولا تعملوا بها. وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قال: ما أكثر الأشجار وليس كلها مثمرة تطلب. وما أكثر العلوم وليس لها بنافع. وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أيضًا أنه قال: من علم وعمل فذاك الذي يدعي في ملكوت السماوات: عظيمًا.

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٦، ٤٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) قال العتابي رحمه الله: يا صاحب العلم اجعل العلم سراجًا لظلمة قلبك ولا يصعد فوق رأسك تضيء به للناس وتحرق به نفسك ولا تطفئ نور العلم بظلمة الذنوب فتجلس في الظلمات يوم نور الصالحين بين أيديهم وبأيمانهم وقال أبو عثمان النهدي رحمه الله: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ منبر رسول الله ﷺ يقول: إن أخوف ما أخاف علىٰ هذه الأمة المنافق العليم، قالوا: وكيف يكون منافق عليم، قال: عليم اللسان، جاهل القلب والعمل. وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: مثل عالم السوء كمثل صخرة وقعت علىٰ فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الزرع، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى. وقال الأوزاعي رحمه الله: شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله ﷻ إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنت فيه.

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٧، ٤٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) لم أقف عليه.

(٣) بلفظ: «**أجرأكم علىٰ الفتيا أجرأكم علىٰ النار**»، أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٥٧)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥١).

أولا يعلم المفتي أنه هو الذي يدخل بين الله تعالىٰ وبين عباده، وهو الحائر بين الجنة والنار[١].

قال سفيان بن عيينة: كيف ينتفع بعلمي غيرى وأنا قد حرمت نفسي نفعها[٢].

ولا يحل الفتيا في الحلال والحرام بين الخلق إلَّا لمن اتبع الحق من أهل زمانه وناحيته وبلده بالنبي ﷺ، وعرف ما يصلح من فتياه.

قال النبي ﷺ وذلك قوله لربما، ولعل ولعسى، لأن الفتيا عظيمة.

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه وكرم الله وجهه لقاض: هل تعرف الناسخ من المنسوخ[٣]؟

---

(١) قال أبو عثمان النهدي: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ منبر رسول الله ﷺ يقول إن أخوف ما أخاف علىٰ هذه الأمة المنافق العليم، قالوا: وكيف يكون منافق عليم، قال: عليم اللسان، جاهل القلب والعمل . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: مثل عالم السوء كمثل صخرة وقعت علىٰ فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الزرع ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى وقال الأوزاعي رحمه الله: شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله عز وجل إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنت فيه . وقال الإمام الفضيل رحمه الله: بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم قبل عبدة الأوثان . وقال مالك بن دينار رحمه الله: قرأت في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين . قلت: لأن السمن يكون من راحة البدن والقلب والعالم العامل بعلمه ليس له راحة، لما جاء في الخبر: "لا راحة للمؤمن من دون لقاء ربه".

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٧، ٤٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى أبو داود في سننه بإسناد صحيح كتاب العلم باب رقم (١٢) عن أبي هريرة رفعه «**من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلَّا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» ـ يعني ريحها".

(٣) شرع الله النسخ مراعاة لمصالح الناس التي تعتبر المقصود الأول في تشريع الأحكام فقد يشرع الله الحكم مراعيا في ذلك مصلحة الناس ثم لا تلبث أن تزول تلك المصلحة فيكون المناسب والحالة هذه تنسخ هذا الحكم لزوال المصلحة التي شرع من أجلها فقد روي أن وفودًا من المسلمين قدمت إلىٰ المدينة في أيام عيد الأضحى فقصد الرسول ﷺ التوسعة عليهم والمبالغة في إكرامهم فنهى المسلمين عن ادخار لحوم الأضاحي فلما رجعت هذه الوفود إلىٰ بلادهم أباح الرسول ﷺ للمسلمين الادخار بعد أن كان ممنوعًا لزوال المصلحة التي كان المنع من أجلها قال ﷺ: «**كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي من أجل الدافة التي دفت فكلوا وادخروا**».

والنسخ أربعة أنواع:

١ ـ نسخ كلي وهو ما أبطل الله به الشارع حكمًا شرعه من قبل إبطالاً كليًا بالنسبة إلىٰ كل فرد من أفراد المكلفين كإبطال اعتداد المتوفى عنها زوجها بحول باعتدادها بأربعة أشهر وعشرة أيام. =

قال: لا.

قال: فهل أشرفت علىٰ مراد الله ﷻ في أمثال القرآن؟

قال: لا.

قال رضي الله عنه: إذًا هلكت وأهلكت.

والمفتي يحتاج إلىٰ معرفة معاني القرآن وحقايق السنن، وبواطن الإشارات والآداب، والإجماع والاختلاف[1]، والاطلاع علىٰ أصول ما اجتمعوا عليه وما اختلفوا فيه ثم إلىٰ حسن الاختيار.

ثم إلىٰ العمل الصالح.

ثم الحكمة، ثم التقوى.

ثم حينئذ إن قدر.

= ٢ ـ نسخ جزئي وهو ما أبطل به الشارع حكمًا شاملًا كل فرد من أفراد المكلفين بالنسبة إلىٰ بعض الأفراد.

٣ ـ نسخ صريح وهو الذي نص الشارع فيه صراحة علىٰ رفع ما شرعه أولا مثل قوله ﷺ: «**كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي من أجل الداقة التي دقت فكلوا وادخروا**».

٤ ـ نسخ ضمني وهو أن يشرع الله حكما بخطاب شرعي ثم يشرع حكمًا معارضًا له بخطاب شرعي متراخ عن الخطاب الأول ولا يمكن التوفيق بين الحكمين إلَّا بإلغاء أحدهما فيعتبروا اللاحق ناسخًا للسابق ضمنًا.

أصول الفقه (ص٤٣٦، ٤٣٧)

(١) قال الإمام أبو حنيفة: إني أنظر في المسائل أولا إلىٰ كتاب الله ثم إلىٰ سنة رسول الله ثم إلىٰ أقوال الصحابة فإن وجدت حكم المسألة في كتاب الله لا أعدوه إلىٰ السنة وإن وجدت في السنة لا أنظر إلىٰ أقوال الصحابة، ثم أختار من أقوال الصحابة ما أحب وبعد ذلك أجتهد برأيي وكذلك الإمام مالك ينظر أولا إلىٰ كتاب الله ويأخذ منه الحكم ثم ينظر إلىٰ الأحاديث ويرجح ما رواه الحجازيون ويهتم بتعامل أهل المدينة وربما يترك الحديث ويرجح التعامل . والإمام الشافعي يأخذ المسألة من ظواهر كتاب الله ما لم يصرف عن ظواهر الآيات صارف ثم ينظر إلىٰ السنة المرفوعة إلىٰ رسول الله ﷺ سواء كان في روايتها شيء من الضعف أو هي من الآحاد.

والإمام أحمد بن حنبل ينظر ابتداء إلىٰ كتاب الله ثم إلىٰ الأحاديث التي رواها ثقات ويقدم قول الصحابي علىٰ القياس . وقد بذل هؤلاء الأئمة الأربعة أقصى ما في وسعهم في تعريف الناس بهذا الدين وهدايتهم به، وكانوا ينهون عن تقليدهم ويقولون: لا يجوز لأحد أن يقول قولنا من غير أن يعرف دليلنا وصرحوا أن مذهبهم هو الحديث الصحيح.

اختلاف الأئمة العلماء (١/٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

الباب الرابع والستون
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الصادق رضي الله عنه: من لم ينسلخ عن هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها، ولم يهزم الشيطان، ولم يدخل في كنف الله تعالىٰ وأمان عصمته.

لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

لأنه لم يكن بهذه الصفة فكلما أظهر أمرًا يكون حجة عليه ولا ينتفع الناس به.

قال تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٤٤][٢].

ويقال له: يا خائنًا تطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخيت عنه عنانك.

---

(١) قال عيسى ابن مريم عليه السلام: صاحب المعروف لا يقع فإن وقع وجد منه.
وقال ابن السماك رحمه الله: عجبت ممن يشتري مماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. وقال أبو القاسم الحريري رحمة الله عليه:

السمسمة تحمد آثارها فاشكر عن أعطي ولو سمسمة
والمكرم مهما كان لا تأته لقتني السوء والمكرمة

وسئل جعفر بن محمد رحمه الله: لم حرم الله الزنا؟ قال: لئلا يتمانع الناس المعروف. وقال الفضيل رحمه الله: ما كانوا يعدون القرض معروفا وقيل: لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف التعجيل. وقال الشعبي رحمه الله: لو أن رجلا رحم مسكينا وأعان ملهوفًا وبر يتيمًا وأعان مسافرًا كان أحب إلي من الاعتكاف حول الكعبة أربعين سنة، خير الناس أنفعهم للناس.
وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: من أعان مكروبًا أعتقه الله تبارك وتعالىٰ يوم الفزع الأكبر.
بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٧٣، ٧٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة البقر (٤٤).
قال ابن كثير: يقول الله تعالىٰ كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه علىٰ من قصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم وتتبصروا من عمايتكم وهذا كما قال عن الرزاق عن معمر عن قيادة في قوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٤٤] قال كان بنو إسارئيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون فعيرهم الله عز وجل وكذلك قال السدي وقال ابن جريج: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ [البَقَرَة: ٤٤] أهل المكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة.

تفسير ابن كثير (١/ ٨٥)

روي أن أبا ثعلبة الأسدي[١] سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥][٢].

فقال رسول الله ﷺ: «**وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر علىٰ ما أصابك حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العامة**»[٣].

وصاحب الأمر بالمعروف يحتاج أن يكون عالمًا بالحلال والحرام[٤] فارغًا من خاصة نفسه مما يأمرهم وينهاهم عنه.

ناصحًا للخلق رحيمًا لهم، رفيقًا بهم، داعيًا لهم باللطف وحسن البيان.

---

(١) أبو ثعلبة الخشبي له صحبة ورواية وروى أيضًا عن أبي عبيدة ومعاذ وروى عنه سعيد بن المسيب وجبير ابن نفير وأبو إدريس الخولاني وأبو رجاء العطاردي وأبو الزاهرية وعمير بن هانئ وسكن الشام وكان يكون بداريا . وقيل: إنه سكن قرية المبلاط وله ذرية بها . وقال الدارقطني وغيره: بايع بيعة الرضوان وضرب له رسول الله ﷺ بسهم يوم خيبر وأرسله إلىٰ قومه فأسلموا . وقال أحمد في مسنده: ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي ثعلبة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله اكتب لي بأرض كذا وكذا بالشام لم يظهر عليها النبي ﷺ حينئذ فقال النبي ﷺ: «**ألا تسمعون ما يقول هذا؟**» فقال أبو ثعلبة: والذي نفسي بيده لتظهرن عليها قال: فكتب له بها.

تاريخ الإسلام (٢/ ٦٣١)

(٢) سورة المائدة (١٠٥).

(٣) أخرجه: الترمذي في سننه (٣٠٨٥) وأبو داود في سننه (٤٣٤١)، وابن ماجة في سننه (٤٠١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٦٥)، والزبيدي في الاتحاف (٧/ ٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٣٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٤٤).

(٤) قال النووي: قوله ﷺ: «**الحلال بين والحرام بين** . . .» الحديث فمعناه أن الأشياء ثلاثة أقسام حلال بين واضح لا يخفى حله كالخبز والفواكه والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وبيضه وغير ذلك من المطعومات وكذلك الكلام والنظر والمشي وغير ذلك من التصرفات فيها حلال بين واضح لا شك في حله وأما الحرام البين فكالخمر والخنزير والميتة والبول والدم المسفوح وكذلك الزنا والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلىٰ الأجنبية وأشباه ذلك وأما المشتبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي فإذا ألحقه به صار حلالا وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال البين فيكون الورع تركه ويكون داخلًا في قوله ﷺ: «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**».

النووي في شرح مسلم (١١/ ٢٣) طبعة دار الكتب العلمية

عارفًا بتفاوت أخلاقهم لينزل كُلاً بمنزلته، بصيرًا بمكر النفس ومكائد الشيطان[١]، صابرًا علىٰ ما يلحقه، لا يكافيهم بها، ولا يشكو منهم.

ولا يستعمل الحميّة ولا يغتاظ لنفسه.

مجردًا نيته لله مستعينًا به تعالىٰ ومبتغيًا لوجهه.

فإن خالفوه وجفوه صبر، وإن وافقوه وقبلوا منه شكر.

مفوضًا أمره إلىٰ الله، ناظرًا إلىٰ عيبه.

الباب الخامس والستون
في آفة العلماء

قال الصادق رضي الله عنه: الخشية ميراث العلم وميزانه، والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان.

ومن حُرم الخشية لا يكون عالمًا، وأن يشق الشعر بمتشابهات العلم[٢].

---

(١) قيل أن صدر ابن آدم مسكن للشيطان، ويجري من آدم مجرى الدم وإني خشيت أن تقدف في قلوبكم شرًا أو قال: شيئا وأنت لا تقاومه إلَّا بعون الله، وقال ذو النون المصري إن كان هو يراك من حيث لا تراه فإن الله تعالىٰ يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وقال عروة بن رقيم اللخمي: إن عيسى عليه السلام دعا ربه عز وجل فقال: يا رب أرني موضع الشيطان من ابن آدم فجلى له ذلك فإذا له رأس كرأس الحية واضعا رأسه علىٰ ثمرة القلب فإذا ذكر الله تعالىٰ خنس وإن ترك الذكر مناه فذلك قوله تعالىٰ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [النَّاس: ٤] وقال شقيق رحمه الله: ليس للشيطان سلاح علىٰ العبد أشد من خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ من الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومتى ما أخذه ملك الموت أخذه بسخط الله . وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من بات سكرانًا بات للشيطان عروسًا وكذلك . الخنث والنائحة . وقال مجاهد رحمه الله: إن من ذرية إبليس "زنيورا" وهو صاحب الأسواق يضع فيها رايته و"بترا" صاحب المزامير . و"لقويس" صاحب التجريش و"المسوط" صاحب الأخبار يلقيها في افواه الناس ولا يجدون لها أصلا.

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤١٣، ٤١٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى أبو داود في سننه (٣٦٦٤) كتاب العلم، باب من طلب العلم بغير الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علما لا يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلَّا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ـ يعني ريحها**».

واخرج ابن ماجة في سنة (٢٥٨) في المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب العلم لغير الله فليتبوأ مقعده من النار**». =

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨][(١)].

وآفة العلماء ثمانية: الطمع، والبخل، والرياء، والعصبية، وحب المدح، والخوض فيما لم يصلوا إلىٰ حقيقته، والتكلف في تزيين الكلام بزوائد الألفاظ.

وقلة الحياء من الله، والافتخار، وترك العمل بما علموا.

قال عيسى عليه السلام: أشقى الناس من هو معروف بعلمه مجهول بعمله[(٢)].

وقال النبي ﷺ: **«لا تجلسوا عند كل داع مدع يدعوكم من اليقين إلىٰ الشك، ومن الإخلاص إلىٰ الرياء، ومن التواضع إلىٰ الكبر، ومن النصيحة إلىٰ العداوة، ومن الزهد إلىٰ الرغبة وتقربوا إلىٰ عالم يدعوكم إلىٰ التواضع من الكبر، ومن الرياء إلىٰ الإخلاص، ومن الشك إلىٰ اليقين، ومن الرغبة إلىٰ الزهد، ومن العداوة إلىٰ النصيحة»**.

= وروى ابن أبي عاصم رحمه الله بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعلم العلم ليباهي به العلماء وليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار»** وبإسناده عن أبي امامة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في جهنم فيدور بقصبه»** قال: قلت: وما القصبة؟ قال: **«أمعاؤه، كما يدور الحمار بالرحى فيقال له: ويلك بما لقيت هذا وإنما اهتدينا بك، قال: كنت أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه»** وبإسناده عن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه»**.

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٤، ٤٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) سورة فاطر (٢٨).

(٢) وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قال: مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت سرًا فظهر حملها فانفضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالىٰ يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد» وفي الخبر **«مما أخاف علىٰ أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن»** وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه قال: ماذا يغني عن الأعمى حمل السراج ويستغنى به غيره وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج علىٰ ظهره وما يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة ولا تعملوا بها . وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قال: ما أثر الأشجار وليس كلها مثمرة تطلب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع . وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أيضًا أنه قال: من علم وعمل فذاك الذي يدعى في ملكوت السماوات: عظيما . وعن الأوزاعي رحمه الله أنه قال: من علم وعمل بما يعلم وفق لما يلا يعلم . وقال الفضيل رحمه الله: من عمل بما يعلم كفي ما لا يعلم . وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: إذا لم يعمل العالم بعلمه يستأنف الجاهل أن يتعلم منه . وقال الإمام أبو الليث رحمه الله: بلغنا أن رجلا من بني إسرائيل جمع ثمانين تابوتاً من العلم فأوحى الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ نبي من الأنبياء: قل لهذا الحكيم: لو جمعت مثله معه لم ينتفع به إلَّا أن تعمل بهذه الأشياء الثلاثة: أولها: أن لا تحب الدنيا فإنها ليست بدار المؤمنين.

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٦، ٤٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

ولا يصلح لموعظة الخلق إلَّا من جاوز هذه الآفات بصدقه، وأشرف علىٰ عيوب الكلام[١].

وعرف الصحيح من السقيم، وعلل الخواطر وفتن النفس والهوى.

قال علي رضي الله عنه: كن كالطبيب الرفيق الشفيق الذي يضع الدواء بحيث ينفع في الخبر سألوا عيسى ابن مريم عليه السلام يا روح الله مع من نجالس؟

قال عليه السلام: من يذكركم رؤيته ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله.

الباب السادس والستون
في آفة القراء[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: المتقرّئ بلا علم كالمعجب بلا مال ولا ملك يبغض الناس لفقره، ويبغضونه لعجبه.

---

(١) قيل لإبراهيم بن عيينة رحمه الله: أي الناس أطول ندامة؟ فقال: أما عند الموت فالعالم المفرط وأما في عاجل الحياة، فصانع المعروف إلىٰ من لا يشكره. وقيل: اجتمع العالم العلامة الفضيل رحمه الله ومحمد ابن سماك فقال الفضيل: العلم طبيب الدين والمال داء الدين فإذا جر الطبيب الداء إلىٰ نفسه فكيف يداوي غيره. وحكي أن الحسن رحمه الله تعالىٰ أفتى في مسألة فقال إنسان: إن الفقهاء خالفوك. فقال: ويحك هل رأيت فقيهًا قط إنما الفقيه من زهد في الدنيا. وقال الحسن رحمه الله: الناس في هذه الدنيا علىٰ خمسة أصناف: العلماء هم ورثة الأنبياء والزهاد هم الأدلاء والغزاة هم أسياف الله، والتجار هم أمناء الله والملوك هم رعاة الحق فإذا أصبح العالم طامعا وللمال جامعًا فبمن يقتدي وإذا أصبح الزاهد راغبًا فبمن يستدل ويهتدي وإذا أصبح الغازي مرائيا والمرائي لا عمل له فمن يظفر بالعدو وإذا كان التاجر ذئبًا فمن يحفظ الغنم ويرجي.

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٨، ٤٩) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال تعالىٰ: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف: ٢، ٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من تعلم علمًا لا يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلَّا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» يعني ريحها. رواه أبو داود بإسناد صحيح. قال الثعلبي رحمه الله: العرض بفتح الراء: متاع الحياة الدنيا، والعرض بجزم الراء: ما كان من المال سوى الدراهم والدنانير. وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من طلب العلم لغير الله فليتبوأ مقعده من النار**» وروى ابن أبي عاصم رحمه الله بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء وليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار**».

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

فهو أبدًا مخاصم للخلق في غير واجب، ومن خاصم الخلق غير ما يؤمر به فقد نازع الخالقية والربوبية.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الحج: ٨][(١)].

وليس أحد أشد عقابًا ممن لبس قميص الدعوى بلا حقيقة ولا معنى.

قال زيد ثابت لابنه: يا بني لا يرى الله اسمك في ديوان القراء[(٢)].

قال النبي ﷺ: **«وسيأتي علىٰ أمتي زمان تسمع باسم الرجل خير من أن تلقى، وإن تلقى خير من أن تجرب»**.

---

(١) سورة الحج (٨).

لما ذكر الله تعالىٰ حال الضلال الجهال المقلدين في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ ذكر في هذه حال الدعاة إلىٰ الضلال من رؤوس الكفر والبدع فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الحج: ٨] أي بلا عقل صحيح ولا نقل صريح بل بمجرد الرأي والهوى.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [الحج: ٣] يقول تعالىٰ ذاما لمن كذب بالبعث وأنكر قدرة الله علىٰ إحياء الموتى معرضا عما أنزل الله علىٰ أنبيائه متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد من الإنس والجن وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يضلون ما أنزل الله علىٰ رسوله من الحق المبين ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلىٰ البدع بالأهواء والآراء.

تفسير ابن كثير (٣/ ٢١١)

(٢) روى البخاري في صحيحه (٤٩٣٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم في صحيحه [٢٤٤ ـ (٧٩٨)] كتاب صلاة المسافرين، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»**.

وقال النووي: وفي الرواية الأخرى: **«وهو يشتد عليه له أجران»**، السفرة جمع سافر ككتاب وكتبة والسافر الرسول والسفرة الرسول لأنهم يسفرون إلىٰ الناس برسالات الله وقيل: السفرة الكتبة والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه واتقانه. قال القاضي: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالىٰ قال ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته.

النووي في شرح مسلم (٦/ ٧٤) طبعة دار الكتب العلمية

وقال النبي ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قراءها**»(١).

وكن حيث ندبت إليه وأُمرت به، واخف سرّك في الخلق ما استطعت.

واجعل طاعتك لله تعالىٰ بمنزلة روحك من جسدك.

ولتكن معبرًا عن حالك ما تحققه بينك وبين بارئك.

واستعن بالله في جميع أمورك متضرعًا إلىٰ الله في آناء ليلك وأطراف نهارك.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾(٢).

والاعتداء من صفه قراء زماننا هذا وعلامتهم فكن لله في جميع أمورك على وجل لئلاّ تقع في ميدان التمني فتهلك.

---

(١) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ١٧٥، ٤/ ١٥١، ١٥٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٢٩، ٢٣٠)، والزبيدي في الاتحاف (٢/ ٢٧٠، ٤/ ٤٦٩)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٧٩)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٧٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٢٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٥٧)، وابن المبارك في الزهد (١/ ١٢٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٥٠).

(٢) سورة الأعراف (٥٥).

أرشد تبارك وتعالىٰ عباده إلىٰ دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم فقال: «**ادعوا ربكم تضرعاً وخفية**» قيل معناه تذللاً واستكانة كقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] الآية وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس أربعوا علىٰ أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إن الذي تدعون سميع قريب**» الحديث، وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله: «**تضرعا وخفية**» قال السرّ وقال ابن جرير تضرعًا: تذللاً واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارًا مراءاة وقال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد أدركنا أقوامًا ما كان علىٰ الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السرّ فيكون علانية أبدًا لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلَّا همساً بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالىٰ يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧)

الباب السابع والستون
في بيان الحق والباطل

قال الصادق رضي الله عنه: اتق الله وكن حيث شئت، ومن أي قوم شئت، فإنه لا خلاف لأحد في التقوى.

والتقوى محبوب عند كل فريق وفيه اجتماع كل خير ورشد.

وهو ميزان كل علم وحكمة، وأساس كل طاعة مقبولة.

والتقوى[١] ماء ينفجر من عين المعرفة بالله تعالىٰ يحتاج إليه كل فن من العلم.

وهو لا يحتاج إلىٰ تصحيح المعرفة بالخمود تحت هيبة الله تعالىٰ وسلطانه ومزيد التقوى من أصل اطلاع الله ﷻ علىٰ سرّ العبد بلطفه.

فهذا أصل كل حق.

وأما الباطل فهو ما يقطعك عن الله تعالىٰ متفق عليه أيضًا كل فريق فاجتنب عنه وافرد سرك لله تعالىٰ بلا علاقة.

قال رسول الله ﷺ[٢]: **«أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد حيث قال:**

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٣٣٨٣)، ومسلم في صحيحه [١٦٨ ـ (٢٣٧٨)] كتاب الفضائل، عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: **«أتقاهم»** . . . الحديث.

قال النووي: قال العلماء: وأصل الكرم كثرة الخير، وقد جميع يوسف عليه السلام مكارم الأخلاق مع شرف النبوة مع شرف النسب وكونه نبيًا ابن ثلاثة أنبياء متناسلين ثم قال: قال العلماء: لما سئل ﷺ . أي الناس أكرم؟ أخبر بأكمل الكرم وأعمه فقال: **«أتقاهم لله»** وقد ذكرنا أن أصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متقياً كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العليا في الآخرة فلما قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: **«يوسف»** الذي جمع خيرات الآخرة والدنيا وشرفهما، فلما قالوا: ليس عن هذا نسأل، فهم عنهم أن مرادهم قبائل العرب، قال: **«خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»**.

النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١٠) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٤٨٩)، ومسلم في صحيحه [٣] في الشعر في المقدمة . وابن ماجة في سننه (٣٧٥٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٧)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٦٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٥٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٠١)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٤٩).

ألا كل شيء ما سوى الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل»[١]

فالزم ما اجتمع عليه أهل الصفاء والتقى.

والتقوى من أصول الدين وحقائق اليقين والرضا والتسليم.

ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك.

وقد اجتمعت الأمة المختارة بأن الله واحد ليس كمثله شيء.

وأنه عدل في حكمه، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ولا يقال في شيء من صنعه لم، ولا كان، ولا يكون شيء إلَّا بمشيئته وإرادته[٢].

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ: «**أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل**».

وفي رواية أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وفي رواية أصدق بيت قاله الشاعر وفي رواية أصدق بيت قالته الشعراء، المراد بالكلمة هنا القطعة من الكلام والمراد بالباطل الفاني في المضمحل وفي الحديث منقبة للبيد وهو صحابي وهو لبيد بن ربيعة رضي الله عنه.

قوله ﷺ: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلئ شعراً**» وفي رواية بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله ﷺ: «**خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً**». قال أهل اللغة والغريب: يريه بفتح الياء وكسر الراء من الورى وهو داء يفسد الجوف ومعناه قيحاً يأكل جوفه ويفسده قال أبو عبيد قال بعضهم: المراد بهذا الشعر شعر هجى به النبي ﷺ قال أبو عبيد والعلماء كافة: هذا تفسير فاسد لأنه يقتضي أن المذموم من الهجاء أن يمتلئ منه دون قليلة.

النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١، ١٢) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) يخبر تعالىٰ أنه المنفرد بالخلق والاختيار وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] أي ما يشاء فما يشاء كان وما لم يشأ لم يكن فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه.

تفسير ابن كثير (٣/ ٤١١)

وليس لأفعاله تعليل وفي ذلك يقول السنوسي في شرح العقيدة الوسطى: ومن أدلة إبطال تعليل أفعال الله تعالىٰ وإرادته بالأغراض إما أن يكون قديماً، فيلزم قدم الفعل، وإلا كان الباري جل وعلا ناقصا لفوات غرضه، أو حادثاً فيحتاج هذا الغرض في إحداثه إلىٰ غرض آخر حادث إذ هو من جملة الأفعال الحادثة ويلزم منه التسلسل وحوادث لا أول بها باطل وقد سبق برهانه، وكما عرفت وجوب نفي الغرض في أفعاله تعالى، كذلك يجب نفي الغرض في أحكامه ودليله ما قام البرهان القاطع عليه من وجوب إسناد جميع الكائنات إليه تعالىٰ بدءاً بغير واسطة المآثر لما سواه في أثر ما عموماً وهذا يوجب استواء الأفعال بالنسبة إليه جل وعز فتعيين بعضها للإيجاب وبعضها للتحريم أو غيره واقع بمحض الاختيار لا سبب يبعثه عليه.

العقيدة الوسطى وشرحها (١٦٣) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

وإنه قادر علىٰ ما يشاء.

وصادق في وعده ووعيده.

وأن القرآن كلامه وأنه كان قبل الكون والمكان والزمان.

وأن إحداث الكون وفنائه عنده.

سواء، ما ازداد بإحداثه علمًا، ولا ينقص بفنائه ملكه[١].

عز سلطانه وجل سبحانه.

فمن أورد عليك ما ينقص هذا الأصل، تقبله.

وجرد باطنك لذلك ترى بركاته عن قريب، وتفوز مع الفائزين.

الباب الثامن والستون
في معرفة الأنبياء[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: إن الله عز وجل مكّن أنبيائه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته وعلمهم من مخزون علمه.

---

(١) قال السنوسي: لو انتفت إرادة الباري تعالىٰ للفعل أي القصد إليه لا تصف الباري تعالىٰ بالكراهة لوجود الفعل ويلزم أن تكون تلك الكراهة قديمة لاستحالة اتصافه تعالىٰ بالحوادث فلا تنعدم أبداً فلا يوجد ضدها الذي هو القصد أبداً وذلك يستلزم أن لا يوجد حادث أبد الأبد لعدم إمكان وجود قصد من الفاعل إلىٰ نقله عن العدم الذي كان عليه إلىٰ الوجود والقدرة لا تصلح أن تكون مخصصة للفعل به بالوجود في زمان مخصوص وعلىٰ مقدار مخصوص وصفة مخصوصة بدلا عن ما يقابل ذلك لأن نسبة القدرة إلىٰ جميع الممكنات في كل زمان وعلىٰ كل حال نسبته واحدة وأيضاً فشأن القدرة التأثير والإيجاد والموجد من حيث هو موجد غير المرجح من حيث هو مرجح لتوقف الإيجاد علىٰ الترجيح وكذا العلم لا يصلح للتخصيص لأن التخصيص للممكن بعض ما جاز عليه تأثير فيه.

العقيدة الوسطى وشرحها (١٥٢)

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ . . .﴾ الآيات إلىٰ قوله: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥].

قال ابن كثير: قوله تعالىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥] أي يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٥] أي أنه تعالىٰ أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالىٰ: =

وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه فلا يشبه أحوالهم وأخلاقهم أحدًا من الخلائق أجمعين.

إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه.

وجعل حبهم وإطاعتهم سبب رضائه[١].

وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه وأمر كل قوم وفئة باتباع رسولهم ثم أبى أن يقبل طاعة إلاّ بطاعتهم وتمجيدهم ومعرفة حبهم وتبجيلهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله تعالىٰ.

فعظم جميع أنبياء الله ولا تنزلهم منزلة أحد من دونهم[٢].

ولا تتصرف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلَّا ببيان محكم من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل يتحقق بها فضائلهم ومراتبهم.

وأنى بالوصول إلىٰ حقيقة ما لهم عند الله تعالىٰ.

= ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [القَصَص: ٤٧] الآية وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: **«لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله ﷻ من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين»** وفي لفظ آخر **«من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه»**.

تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٨)

(١) قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي عن أمر رسول الله وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود علىٰ قائله وفاعله كائنا من كان أي فليخش وليحذر من خالف شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا أن تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم" في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك.

تفسير ابن كثير الآية (٦٣)

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ عطف علىٰ الرسول ثم أخبر عن الجميع فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء علىٰ عباد الله المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلىٰ سبيل الخير وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة علىٰ شريعته ولا تزال طائفة من أمته علىٰ الحق ظاهرين.

تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٢)

فإن قابلت أقوالهم وأفعالهم[١] بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأت صحبتهم وأنكرت معرفتهم وجهلت خصوصيتهم بالله وسقطت عن درجة حقائق الإيمان والمعرفة.

فإياك ثم إياك.

الباب التاسع والستون
في معرفة الأئمة

قال الصادق رضي الله عنه: روي بإسناد صحيح عن سلمان الفارسي[٢] رضي الله عنه قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ فلما نظر إليَّ فقال ﷺ: يا سلمان إن الله ﷻ لن يبعث نبيًّا ولا رسولاً إلَّا وله اثنا عشر نقيبًا. قال: قلت يا رسول الله عرفت هذا من أهل الكتابين قال: يا سلمان هل عرفت نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله تعالى للإمامة بعدي.

---

(١) السُنّة إما قولية أو فعلية والفقهاء قاموا بوضع فقههم علىٰ أصول ثابتة وهي الكتاب والسنة وفي ذلك يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله: إني أنظر في المسائل أولا إلىٰ كتاب الله ثم إلىٰ سنة رسول الله ثم إلىٰ أقوال الصحابة فإن وجدت حكم المسألة في كتاب الله لا أجنح إلىٰ السنة وإن وجدت في السنة لا أنظر إلىٰ أقوال الصحابة ثم أختار من أقوال الصحابة ما أحب وبعد ذلك أجتهد برأيي وكذلك الإمام مالك ينظر أولا إلىٰ كتاب الله ويأخذ منه الحكم ثم ينظر إلىٰ الأحاديث ويرجح ما رواه الحجازيون ويهتم بتعامل أهل المدينة وربما يترك الحديث ويرجح التعامل والإمام الشافعي يأخذ المسألة من ظواهر كتاب الله ما لم يصرف عن ظواهر البيات صارف ثم ينظر إلىٰ السنة المرفوعة إلىٰ رسول الله ﷺ سواء كان في روايتها شيء من الضعف أو هي من الآحاد والإمام أحمد بن حنبل ينظر ابتداء إلىٰ كتاب الله ثم إلىٰ الأحاديث التي رواها ثقات ويقدم قول الصحابي علىٰ القياس.

اختلاف الأئمة من تحقيقنا (١/ ٦) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سلمان الفارسي من أصبهان سافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه من اليهود ثم إنه كُوتب فأعانه النبي ﷺ، أسلم عند مقدم النبي ﷺ المدينة، ومنعه الرق من شهود ما بعدها وولاه عمر المدائن ومنعه الرق من شهود بدر وشهد الخندق وما بعدها.

قال رسول الله ﷺ: أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسلمان سابق فارس. وخط رسول الله ﷺ الخندق وجعل لكل عشرة أربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان وكان رجلاً قوياً فقال المهاجرون: سلمان منا وقالت الأنصار: لا بل سلمان منا فقال رسول الله ﷺ: **«سلمان منا أهل البيت»**. عن العتبي قال: بعث إلىٰ عمر بحلل فقسمها فأصاب كل رجل ثوب ثم صعد المنبر وعليه حلة والحلة ثوبان فقال: أيها الناس ألا تسمعون فقال سلمان: لا نسمع فقال عمر: لم يا أبا عبد الله قال: إنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة فقال: لا تعجل يا أبا عبد الله ثم نادى: يا عبد الله فلم يجبه أخذ فقال: يا عبد الله بن عمر فقال: لبيك يا أمير المؤمنين فقال: نشدتك الله الثوب الذي ائتزرت به أهو ثوبك؟ قال: اللهم نعم قال سلمان: فقل الآن نسمع.

صفة الصفوة (١/ ٢٨٢)

قال: فقلت الله ورسوله أعلم.

فقال: يا سلمان خلقني الله تعالىٰ من صفوة نوره ودعاني فأطعته.

فخلق من نوري عليًّا ودعاه فأطاعه، فخلق من نوري ونور علي فاطمة ودعاها فأطاعته.

فخلق مني ومن وفاطمة الحسن والحسين[١] فدعاهما فأطاعاه فسمانا تعالىٰ بخمسة أسماء من أسمائه.

فالله تعالىٰ المحمود وأنا محمد.

والله العلي وهذا علي، والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن والله المحسن وهذا الحسين.

وخلق من نور الحسين[٢] تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه من قبل أن يخلق الله تعالىٰ سماء

---

(١) ولد الحسن بن علي بن أبي طالب في ثلاث من الهجرة وأذن رسول الله ﷺ في أذنه وقال البراء: رأيت رسول الله ﷺ واضعا الحسن بن علي علىٰ عاتقه وهو يقول: «**اللهم إني أحبه فأحبه**» وعن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال وعلي يمشي إلىٰ جنبه فمر بالحسن بن علي يلعب مع غلمان فاحتمله علىٰ رقبته وهو يقول:

وابأبي شبه النبي ليس شبيها بعلي

قال: وعلي يضحك وعن أبي بكرة قال: رأيت النبي ﷺ علىٰ المنبر والحسن بن علي إلىٰ جنبه وهو يقبل علىٰ الناس مرة وعليه أخرى ويقول: "إن النبي هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" وقال أبو جحيفة: رأيت النبي ﷺ وكان الحسن رضي الله عنه يشبهه وعن أنس بن مالك قال: كان الحسن بن علي أشبههم وجها برسول الله ﷺ ولما نزل بالحسن بن علي الموت قال: أخرجوا فراشي إلىٰ صحن الدار فأخرج فقال: اللهم إني احتسبت نفسي عندك وكانت بنت الأشعث بن قيس تحت الحسن بن علي فزعموا أنها هي التي سمته وقد مرض الحسن بن علي رضي الله عنه أربعين يوما وتوفي في السادس من ربيع الأول سنة خمسين ودفن بالبقيع.

صفة الصفوة (١/ ٢٣٦، ٢٣٧)

(٢) هذا الحديث لم أقف عليه والذي وضعه طائفة الاثنا عشرية التي حصرت الأئمة في اثني عشر إماماً هم ما جاؤوا في هذا الحديث فذكروا الإمام علي رضي الله عنه والحسن والحسين رضي الله عنهما ثم ما جاء في ذكر هؤلاء التسعة من نسل الحسين ولا أدري لماذا مع أن الحسن هو الأكبر وأنجب خمسة عشر ذكراً وثمان بنات فلما لم يذكروا للحسن أي إمام سوى هو نفسه فقط، قال في موسوعة الفرق: الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية إما جليًا وإما خفيًا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين الذي لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله=

مبنية وأرضًا مدحية أو هواء أو مَلَكًا أو بشرًا وكنا أنوارًا نسبحه ونسمع له ونطيع.

قال: فقلت يا رسول الله بأبي وأمي ما لمن عرف هؤلاء حق معرفتهم؟

فقال: يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم فوالاهم وتبرأ من عدوهم كان والله منا يرد حيث نرد ويكن حيث نكن.

فقلت يا رسول الله: فهل إيمان بغير معرفتهم بأسمائهم وأنسابهم.

فقال: لا يا سلمان.

قلت: يا رسول الله ﷺ فأنى لي بهم.

فقال ﷺ: قد عرفت الحسين[1].

قلت: نعم.

قال رسول الله ﷺ: ثم سيد العابدين علي بن الحسين[2]، ثم ابنه محمد بن علي باقر

= ولا تفويضه إلىٰ العامة ويجعلهم الشهرستاني خمس فرق: هي الكيسانية والزيدية والإمامية والغلاة والإسماعيلية وهم ثلاث أصناف عند الأشعري: الشيعة الغالية وهم خمس عشرة فرقة والشيعة الإمامية وهم الرافضة وهم أربع وعشرون فرقة والشيعة الزيدية وهم ست فرق.

موسوعة الفرق والجماعات (ص٢٦٥)

(١) يبدو أن التشيع ظهر في حياة النبي ﷺ وكنتيجة لأحاديث منسوبة إليه ﷺ منها: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار**» وقوله: «**هذا أخي ووصيتي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا**» . وقوله: «**أنت مني بمنزلة هارون وموسى إلَّا أنه لا نبي بعدي**» . وكانت لعلي جماعته وهي أول فرقة من الشيعة أطلقوا عليها الشيعة العلوية منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وهؤلاء كانوا منقطعين إليه ويقولون بإمامته ويفرق المؤرخون بين هذا التشيع الذي ظهر مبكرًا واشتد أثناء فتنة عثمان وخروج علي لقتال طلحة والزبير وعائشة وبعد مقتل علي واستفحل بعد مقتل الحسين والتشيع الاصطلاحي الذي تطور وصار مذهبًا له أصوله وقواعده كالقول بوجوب الإمامة وعصمة الإمام والتقية.

موسوعة الفرق والجماعات (ص٢٦٦)

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين أمه أم ولد اسمها غزالة وتوفي بالمدينة سنة (٩٤) هـ ودفن بالبقيع وهو ابن (٥٨) سنة، وكان إذا أتاه سائل رحب به وقال مرحبًا بمن يحمل زادي إلىٰ الآخرة كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا أما كانوا يؤثرون به بالليل. كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز علىٰ ظهره بالليل فيتصدق به=

علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم جعفر بن محمد لسان الله الصادق، ثم موسى جعفر الكاظم غيظه صبرًا في الله تعالى، ثم ابن موسى علي الرضا الراضي بسرّ الله تعالى، ثم ابن علي المختار من خلق الله، ثم علي بن الهادي إلىٰ الله، ثم الحسن بن علي الصامت الأمين سرّ الله، ثم م ح م د سماه بابن الحسن الناطق القائم بحق تعالىٰ.

قال سلمان فبكيت ثم قلت يا رسول الله ﷺ: إني مؤجل إلىٰ عهدهم، قال: يا سلمان اقرأ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾[1].

قال رضي الله عنه: فاشتد بكائي وشوقي قلت يا رسول الله ﷺ: أبعهد منك.

فقال: إي والذي بعثني وأرسلني لبعهد مني وبعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمة من ولد الحسين وبك ومن هو منا ومظلوم فينا.

= ويقول: إن صدقة السرّ تطفئ غضب الرب ﷻ. ولما مات علي بن الحسين فغسلوه وجعلوا ينظرون إلىٰ آثار سواد في ظهره فقالوا: ما هذا فقالوا: كان يحمل جرب الدقيق ليلًا علىٰ ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. أتى علي بن الحسين نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلما فرغوا فقال: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] قالوا: لا قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ قالوا: لا قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠] اخرجوا فعل الله بكم.

صفة الصفوة (٢/ ٢٢٠، ٢٢١)

(١) سورة الإسراء (٥، ٦).

يخبر تعالىٰ أنه قضى إلىٰ بني إسرائيل في الكتاب أي تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علوًا كبيرًا أي يتجبرون ويطغون ويفجرون علىٰ الناس كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أي تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ [الإسراء: ٥] أي أولى الإفسادتين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي سلطنا عليكم جندًا من خلقنا أولي بأس شديد أي قوة وعدة وعدد وسلطة شديدة فجاسوا خلال الديار أي تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أي بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحداً وكان وعداً مفعولا وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من هم . فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم أولا ثم أديلوا عليه بعد ذلك وقتل داود جالوت ولهذا قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٦] .

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥)

وكل من محض الإيمان محضًا.

أي والله يا سلمان.

ثم ليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض الكفر محضًا حتى يؤخذ بالقصاص والأوتاد والتراث، ولا يظلم ربك أحدًا[١].

ونحن تأويل هذه الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾[٢].

قال سلمان: فقمت من بين يدي رسول الله ﷺ وما يبالي سلمان كيف لقي الموت أو لقاه.

الباب السبعون
في حرمة المؤمنين[٣]

قال الصادق رضي الله عنه: لا يعظم حرمة المؤمنين إلَّا من قد عظم الله حرمته علىٰ المؤمنين.

ومن كان أبلغ حرمة لله ورسوله كان أشد تعظيمًا لحرمة المؤمنين.

---

(١) والعجب من إنكار طائفة من الشيعة خلافة أبي بكر وعمر، وانظروا إلىٰ قول علي بن أبي طالب نفسه في ذلك فعنه رضي الله عنه قال: والله ما مات رسول الله فجاءة ولا قتل قتلاً ولكن مرض أيامًا وليالي كل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيقول له: ائت أبا بكر فمره فليصل بالناس ولقد تركني وهو يرى مكاني ولو كان عهد من رسول الله إلىٰ ما تركت أحداً من بني تيم ولا ابن الخطاب يقومان يخطبان علىٰ منبر رسول الله ولجاهدت بسيفي فلما قبض رسول الله نظرنا في أمورنا فإذا الصلاة عمود الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا ما رضيه رسول الله لديننا فولينا أبا بكر أمورنا نغزو إذا غزا ونأخذ إذ أعطانا ونقيم الحدود بين يديه ولا يختلف منا اثنان والكلمة جامعة.

ذكر الذهبي في تاريخه (٢/ ٢٥٠): لما قدم علي البصرة قام إليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له: ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى علىٰ الأمة تضرب بعضهم ببعض أعهد من رسول الله ﷺ عهده إليك.

مختصر كتاب الموافقة (ص٢٧، ٢٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة القصص (٥، ٦).

(٣) قال ﷺ في خطبة الوداع: «**كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» وروى مسلم في صحيحه [٢٣ ـ (٢٥٥٩)] كتاب البر والصلة، ٧ ـ باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**». =

ومن استهان لحرمة فقد هتك ستر إيمانه.

قال النبي ﷺ: «**إن من إجلال الله إعظام ذوي القربى في الإيمان**»(١).

قال رسول الله ﷺ: «**من لم يرحم صغيرًا ولا يوقر كبيرًا فليس منا**»(٢).

ولا تكفر مسلمًا(٣) تكفره التوبة إلَّا من ذكر الله في كتابه.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٤).

واشتغل بشأنك الذي أنت به مطالب.

= قال النووي: التدابر المعاداة وقيل المقاطعة لأن كل واحد يولي صاحبه دبره والحسد تمني زوال النعمة وهو حرام ومعنى كونوا عباد الله إخوانا أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال قال بعض العلماء: وفي النهي عن التباغض إشارة إلىٰ النهي عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض. شرح مسلم (١٥/ ٩٤) طبعة دار الكتب العلمية

(١) بلفظ: إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، أخرجه: أبو داود في سننه (٤٨٤٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٧٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٣).

(٢) أخرجه: أبو داود في كتاب الأدب باب رقم (٦٥)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٢٢) والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٨)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٨٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٨١).

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ١١٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٦٤)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٤٨)، ومالك في الموطأ (٩٨٤)، عنه ﷺ: «**من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**».

(٤) سورة النساء (١٤٥).

أي يوم القيامة جزاء علىٰ كفرهم الغليظ، قال الوالي عن ابن عباس «**في الدرك الأسفل من النار**» أي في أسفل النار، وقال غيره النار دركات كما أن الجنة درجات وقال سفيان الثوري عن عاصم عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] قال في توابيت ترتج عليهم كذا رواه ابن جرير عن ابن وكيع عن يحيى بن يمان عن سفيان الثوري به ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر ابن شاذان عن أبي هريرة ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] قال: الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم أي مغلقة مقفلة ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن ابن مسعود ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] قال: في توابيت من حديد مبهمة عليهم ومعنى قوله مبهمة أي: مغلقة مقفلة لا يهتدي لمكان فتحها.

تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٠)

الباب الواحد والسبعون
في بر الوالدين[١]

قال الصادق رضي الله عنه: بِرّ الوالدين من حسن معرفة العبد بالله إذ لا عبادة أسرع بلوغًا لصاحبها إلىٰ رضاء الله من بر الوالدين قوله المؤمنين لوجه الله لأن حق الوالدين مشتق من حق الله تعالىٰ إذا كانا منهاج الدين والسُنّة، ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة إلىٰ طاعتهما ومن اليقين إلىٰ الشك، ومن الزهد إلى الدنيا، ولا يدعوانه إلىٰ خلاف ذلك[٢].

فإذا كان كذلك فمعصيتهما طاعة وطاعتهما معصية.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾[٣].

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].
فقضى الله تعالىٰ بالوالدين إحسانا في سلك توحيده مفصلاً ما ينبغي معاملتهما به وأن يبلغا أو أحدهما عند ولدهما الكبر من الوظائف العشر التي هي كف الأذى بنحو قوله لهما أف واحتماله ولا ينهرهما فليس إلَّا قولاً كريماً وخفض الجناح لهما تواضعاً وتذللاً ورحمة ورقة وحناناً أو الدعاء لهما يدًا بالعجز عن مكافأتهما والاعتراف بمكافأتهما بنحو ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وإضمار حبهما وتعظيمهما والنصح لهما.

حدائق الأولياء (١/ ٥١٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [العنكبوت: ٨].
يقول تعالىٰ آمر عباده بالإحسان إلىٰ الوالدين بعد الحث علىٰ التمسك بتوحيده فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ولهما عليه غاية الإحسان فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق ولهذا قال تعالىٰ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما في مقابلة إحسانهما المتقدم قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ [العنكبوت: ٨] أي وإن حرضا عليك أن تتابعهما علىٰ دينهما إذا كانا مشركين فإياك وإياهما فلا تطعهما في ذلك فإن مرجعكم إلىٰ يوم القيامة فأجيزك بإحسانك إليهما وصبرك علىٰ دينك وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب أي: حبًا دينيًا ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾ [العنكبوت: ٩].

تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٩)

(٣) سورة لقمان (١٥).
=

وأما في باب المصاحبة فقاربهما وارفق بهما واحتمل أذاهما بحق ما احتملا عنك في حال صغرك، ولا تضيق عنهما في ما قد وسع الله تعالىٰ عليك من المأكول والملبوس ولا تحول وجهك عنهما وترفع صوتك فوق صوتهما، فإن تعظيمهما من أمر الله وقل لهما بأحسن القول[١].

والطف بهما، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

الباب الثاني والسبعون
في الموعظة

قال الصادق رضي الله عنه: أحسن الموعظة ما لا تجاوز القول حد الصدق والفعل حد الإخلاص.

فإن مثل الواعظ والمتعظ كاليقظان والراقد فمن استيقظ عن رقدة غفلته ومخالفاته ومعاصيه صلح أن يوقظ غيره من ذلك الرقاد.

وأما السائر في مفاوز الاعتداء[٢] والخائض في مراتع الغي وترك الحياء باستحباب

= أي: إن حرصنا عليك كل الحرص علىٰ أن تتابعهما علىٰ دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً أي محسناً إليهما ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] يعني المؤمنين ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال الطبراني في كتاب العشرة حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن أيوب بن أشد حدثنا مسلمة بن علقمة بن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك قال أنزلت في هذه الآية ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥] الآية قال كنت رجلاً براً بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتغير بي فيقال: يا قاتل أمه فقلت لا تفعلي يا أمه فإني لا أدع ديني هذا لشيء فمكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا لشيء فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي، فأكلت.

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦١)

(١) روى البخاري في صحيحه (٥٩٧١)، ومسلم في صحيحه في باب بر الوالدين عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ قال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال ثم من؟ قال: «**أبوك**».

وفي حديث مسلم أيضًا رقم [٢ أ (٢٥٤٨)] عنه: «**قال أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك**».

(٢) روى مسلم في صحيحه [٥٨ أ (٢٥٨٠)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٥ ـ باب تحريم الظلم=

السمعة والرياء والشهرة والتضيع إلىٰ الخلق المتزي بزي الصالحين المظهر عمارة باطنه وهو في الحقيقة خال عنها قد غمرتها وحشته حب المحمدة وغشيتها ظلمة الطمع، فما أفتنه بهواه وأضل الناس بمقاله قال الله ﷻ: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ وأما من عصمه الله بنور التوحيد والتأييد وحسن التوفيق فطهر قلبه من الدنس فلا يفارق المعرفة والتقى فيستمع الكلام الأفضل وترك قائله كيفما كان قالت الحكماء: خذ الحكمة ولو من أفواه المجانين.

قال عيسى عليه السلام: جالسوا من يذكركم الله ورؤيته[1] ولقائه فضلا عن الكلام ولا تجالسوا

= عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** . . .» الحديث.

ورقم (٥٩) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟**» وقوله ﷺ: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتَم هذا وقذف هذا**» . . إلىٰ آخره.

قال النووي: معناه أن هذا حقيقة المفلس وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلساً وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه.

قال المازري: وزعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وهذا الاعتراض غلط منه وجهالة بينة لأنه إنما عوقب بفعله ووزره وظلمه فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت إليهم من حسناته فلما فرغت وبقيت بقية قوبلت علىٰ حسب ما اقتضته حكمة الله تعالىٰ في خلقه وعدله في عباده.

شرح مسلم للنووي (١٦/ ١١١، ١١٢) طبعة دار الكتب العلمية

(١) روى مسلم في صحيحه [١٥٧] كتاب البر والصلة والآداب، ٤٨ ـ باب إذا أحب الله عبداً حببه إلىٰ عباده، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلانًا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه قال: فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض**».

قال النووي: قال العلماء: محبة الله تعالىٰ لعبده هي إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته وبغضه إرادة عقابه أو شقاوته ونحوه وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين: أحدهما: استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم.

والثاني: أن محبتهم علىٰ ظاهرها المعروف من المخلوقين وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلىٰ لقائه وسبب حبهم إياه كونه مطيعًا لله تعالىٰ محبوبًا له ومعنى يوضع له القبول في الأرض أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه وقد جاء في رواية فتوضع له المحبة.

شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٥١) طبعة دار الكتب العلمية

من توافقه ظواهركم وتخالفه بواطنكم، فإن ذلك المدعي بما ليس له إن كنتم صادقين فاستقادتكم فإذا لقيت من ثلاث خصال فاغتنم رؤياه ولقاه ومجالسته ولو كان ساعة. فإن ذلك يؤثر في دينك وقلبك وعبادتك بركاته فمن كان كلامه لا يجاوز فعله وفعله لا يجاوز صدقه، وصدقه لا ينازع ربه. فجالسه بالحرمة وانتظر الرحمة والبركة واحذر لزوم الحجة عليك وراع وقته كيلا تلومه فتخسر وانظر إليه بعين فضل الله عليه وتخصيصه له وكرامته إياه.

الباب الثالث والسبعون
في الوصية[١]

قال الصادق رضي الله عنه: أفضل الوصايا وألزمها أن لا تنسى ربك وأن تذكره دائمًا ولا تعصيه وتعبد قاعدًا وقائمًا ولا تغتر بنعمته واشكره أبدًا ولا تخرج من تحت أستار رحمته وعظمته وجلاله فتضل وتقع في ميدان الهلاك وإن مسك البلاء والضراء وأحرقتك نيران المحن واعلم أن بلاياه محشوة بكراماته الأبدية، ومحنه مورثة رضاه وقربه، ولو بعد حين فيا لها من من أنعم لمن علم ووفق لذلك روى أن رجلا استوصى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**لا تغضب قط**[٢] **فإن فيه منازعة ربك**».

---

(١) قال الأزهري: الوصية مشتقة من وصيت الشيء أوصيه إذا وصلته وسميت وصية لأنه وصل ما كان في حياته بما بعده ويقال: وصى وأوصى إيصاء والاسم الوصية والوصاة.
شرح مسلم للنووي (١١/ ٦٣)
وروى مسلم في صحيحه [١ أ (١٦٢٧)] كتاب الوصية، في مقدمته، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلَّا ووصيته مكتوبة عنده**».
قال النووي: قال الشافعي رحمه الله: معنى الحديث ما الحزم والاحتياط للمسلم إلَّا أن تكون وصيته مكتوبة عنده ويستحب تعجيلها وأن يكتبها في صحته ويشهد عليه فيها ويكتب فيها ما يحتاج إليه فإن تجدد له أمر يحتاج إلىٰ الوصية به ألحقه بها قالوا ولا يكلف أن يكتب كل يوم محقرات المعاملات وجزئيات الأمور المتكررة وأما قوله ﷺ: «**ووصيته مكتوبة عنده**» فمعناه مكتوبة وقد أشهد عليه بها لا أنه يقتصر علىٰ الكتاب بل لا يعمل بها ولا تنفع إلَّا إذا كان أشهد عليه بها هذا مذهبنا ومذهب الجمهور.
شرح مسلم للنووي (١١/ ٦٤) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى البخاري في صحيحه (٦١١٦) كتاب الأدب، ٧٦ ـ باب الحذر من الغضب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: «**لا تغضب**» فردد مراراً قال: **لا تغضب**.
وفي حديث رقم (٦١١٤) عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**».

فقال: زدني، فقال ﷺ: «**إياك وما تعتذر منه فإن فيه الشرك الخفي**».

فقال: زدني، فقال: ﷺ: «**صل صلاة مودع فإن فيه الوصلة والقربى**» فقال: زدني، فقال ﷺ: «**استحي من الله تعالىٰ استحيائك من صالحي جيرانك فإن فيها زيادة اليقين**»(١).

وقد جمع الله ما يتواصى به المتواصون من الأولين والآخرين في خصلة واحدة وهي التقوى.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١](٢).

وفيه جماع كل عبادة صالحة وبه وصل من وصل إلىٰ الدرجات العلى والرتبة القصوى وبه عاش من عاش بالحياة الطيبة والإنس الدائم.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾(٣).

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٦) والزبيدي في الاتحاف (٨/ ٦٢٠، ١٦٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦١)، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٥٢) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٧).

(٢) سورة النساء (١٣١).

يخبر تعالىٰ أنه مالك السماوات والأرض وأنه الحاكم فيهما ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [النساء: ١٣١].

أي: وصيناكم بما وصيناهم به من تقوى الله ﷻ بعبادته وحده لا شريك له ثم قال: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية كما قال تعالىٰ إخبارا عن موسى أنه قال لقومه: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨] وقال: ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦] أي غني عن عباده ﴿حَمِيدٌ﴾ أي محمود في جميع ما يقدره ويشرعه.

تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٤)

(٣) سورة القمر (٥٤، ٥٥).

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر: ٥٤] أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار علىٰ وجوههم مع التوبيخ والتقريع والتهديد، وقوله تعالىٰ: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥] أي في دار كرامة الله ورضوانه، وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] أي عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرا وهو مقتدر علىٰ ما يشاء مما يطلبون ويريدون. وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو ويبلغ به النبي ﷺ قال: «**المقسطون عند الله علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**» انفرد بإخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان عن عيينه بإسناده مثله.

تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٩)

الباب الرابع والسبعون
في الصدق[١]

قال الصادق رضي الله عنه: الصدق نور متشعشع في عالمه كالشمس يستضيء كل شيء بمعناها من غير نقصان يقع علىٰ معناها.

والصادق حقًا هو الذي يصدق كل كاذب بحقيقة صدق ما لديه.

وهو المعنى لا يسع معه سواه أو ضده.

مثل آدم علىٰ نبينا وآله وصحبه وعليه الصلاة والسلام صدق إبليس في كذبه حين أقسم له كاذبًا[٢] لعدم به من الكذب في آدم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[٣].

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٦٠٩٤) كتاب الأدب ٦٩ ـ باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩] وما ينهي عن الكذب.
ومسلم في صحيحه [١٠٣ أ (٢٦٠٧)] كتاب البر والصلة، ٢٩ ـ باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، عن ابن مسعود مرفوعًا: **«إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقًا، وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذابًا»**.
قال النووي: وفي رواية ليتحرى الصدق وليتحرى الكذب وفي رواية عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلىٰ البر وإياكم والكذب قال العلماء هذا فيه حث علىٰ تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به وعلىٰ التحذير من الكذب والتساهل فيه فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وكتبه الله لمبالغته صديقا إن اعتاده أو كذابا إن اعتاده ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم أو صفة الكذابين وعقابهم والمراد إظهار ذلك للمخلوقين إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلى وإما بأن يلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم كما يوضع له القبول والبغضاء وإلا فقدر الله تعالىٰ وكتابه السابق قد سبق بكل ذلك والله أعلم.
شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٣١، ١٣٢) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١].
قال ابن كثير: "وقاسمهما" أي حلف لهما بالله ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] فإني من قبلكما ههنا وأعلم بهذا المكان وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد الطرفين كما قال خالد بن زهير ابن عم أبي ذؤيب:

وقاسمها بالله جهداً لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما يشورها

أي حلف لهما بالله علىٰ ذلك حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله.
تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٠)

(٣) سورة طه (١١٥).

لأن إبليس أبدع شيئًا كان أول من أبدعه وغير معهود ظاهرًا وباطنًا.

فحشر هو بكذبه علىٰ معنى لم ينتفع به من صدق آدم عليه السلام علىٰ بقاء الأبد.

وأفاد آدم عليه السلام بتصديقه كذبه بشهادة الله عز وجل ينفي عزمه[١] عما يضاد عهده في الحقيقة علىٰ معنى لم ينتقص من اصطفائه بكذبه شيئًا.

فالصدق صفة الصادق حقيقة الصدق يقتضى تزكية الله تعالىٰ لعبده كما ذكر عن صدق عيسى عليه السلام في القيامة[٢] بسبب ما أشار إليه من صدقه.

وهو براءة الصادقين من رجال أمة محمد ﷺ.

فقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩][٣].

---

(١) قال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي وكذا رواه علي بن أبي طلحة عنه وقال مجاهد والحسن ترك وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤] يذكر تعالىٰ تشريف آدم وتكريمه وما فضله به علىٰ كثير من خلق تفضيلا وقد تقدم الكلام علىٰ هذه القصة في سورة البقرة وفي الأعراف وفي الحجر والكهف وسيأتي في آخر سورة ص يذكر تعالىٰ فيها خلق آدم وأمره الملائكة بالسجود له تشريفًا وتكريمًا ويبين عداوة إبليس لبني آدم ولأبيهم قديما ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤] أي امتنع واستكبر.

تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٢)

(٢) في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ . . .﴾ الآية.

قال ابن كثير: يقول تعالىٰ مجيبًا لعبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام فيما أنهاه إليه من التبري من النصارى الملحدين الكاذبين علىٰ الله وعلىٰ رسوله ومن رد المشيئة فيهم إلىٰ ربه عز وجل فعند ذلك يقول تعالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المَائدة: ١١٩] قال الضحاك عن ابن عباس يقول يوم ينفع الموحدين توحيدهم ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [المَائدة: ١١٩] أي: ماكثين فيها لا يحولون ولا يزولون رضي الله عنهم ورضوا عنه كما قال تعالىٰ: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٤)

(٣) سورة المائدة (١١٩).

خاطب الله عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المَائدة: ١١٦] وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع علىٰ رؤوس الأشهاد هكذا قاله قتادة وغيره واستدل قتادة علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المَائدة: ١١٩] وقال السدي هذا الخطاب والجواب في الدنيا قال ابن جرير هذا هو الصواب وكان ذلك حين رفعه إلىٰ السماء الدنيا: واحتج ابن جرير علىٰ ذلك بمعنيين أحدهما: أن الكلام بلفظ المضي والثاني: قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وهذان الدليلان فيهما نظر لأن=

وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه وكرم الله وجهه: الصدق سيف الله في أرضه وسمائه أينما هوى به يقده.

فإذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في صدق معناك وعقد دعواك وعيرهما بقسطاس من الله تعالى، كأنك القيامة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨][1] فإذا اعتدل معناك يفوز دعواك، ثبت لك الصدق.

وأدنى حد الصدق أن لا يخالف اللسان القلب، ولا القلب اللسان.

ومثل الصادق الموصوف بما ذكرناه كمثل النازع لروحه لم ينزع فماذا يصنع.

الباب الخامس والسبعون
في التوكل[2]

قال الصادق رضي الله عنه: التوكل كأس مختوم بختام الله عز وجل فلا يشرب بها ولا ينفض ختامها إلَّا المتوكلون.

= كثيرًا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضي ليدل علىٰ الوقوع والثبوت ومعنى قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلىٰ الله وتعليق ذلك علىٰ الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر والله أعلم.
تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٢)

(١) سورة الأعراف (٨).
يقول ابن كثير: والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قبل الأعمال وإن كانت أعراضا إلَّا أن الله تعالىٰ يقلبها يوم القيامة أجساما قال البغوي يروي نحو هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وإنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون فيقول من أنت فيقول أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك وفي حديث البراء في قصة سؤال القبر "فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح" وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق وقيل يوزن كتاب الأعمال كما جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إله إلَّا الله فيقول يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول الله تعالىٰ إنك لا تظلم فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان قال رسول الله ﷺ: «**فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**».
تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٦، ٢٠٧)

(٢) قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ وقال النبي ﷺ: «**من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل علىٰ الله**» وقال الحسن البصري رحمه الله: التوكل علىٰ الله هو الرضا بفعل الله . وقال=

كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢].

جعل الله التوكل مفتاح الإيمان[٣] والإيمان قفل التوكل وحقيقة التوكل الإيثار وأصل الإيثار تقديم الشيء بحقه ولا ينفك المتوكل في توكله من إثبات أحد الإيثارين فإن أثر المعلول وهو الكون حجب به وإن أثر المعلل علة التوكل.

وهو الباري سبحانه وتعالى بقي معه.

وإن أردت أن تكون متوكلاً لا متعللاً فكبر علىٰ روحك خمسة تكبيرات، وودع أمانيك كلها توديع الموت للحياة.

وليس أدنى حد التوكل إلَّا تسابق مقدومك بالهمة ولا تطالع مقسومك ولا تستشرف معدومك فتنتقض بأحدهما عقد إيمانك وأنت لا تشعر[٤].

= ابن عيينه: التوكل هو اعتماد القلب علىٰ الله وسيأتي الفرق بين «**التوكل**» و«**التسليم**» و«**التفويض**» آخر الباب. وفي تفسير القرطبي رحمه الله: عن النبي ﷺ: «**ما من زرع علىٰ الأرض ولا ثمار علىٰ أشجار ولا حبة في ظلمات الأرض إلَّا عليها بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن فلان**».

بستان الفقراء (٢/ ١٢٤)

(١) سورة إبراهيم (١٢).

(٢) سورة المائدة (٢٣).

(٣) قال الشلبي رحمه الله: من ركن إلىٰ الدنيا صار رماداً تذروه الرياح ومن ركن إلىٰ الآخره أحرق بنور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له وذكر في كتاب العقائق: أن ملكين نزلا من السماء أحدهما إلىٰ المشرق والآخر إلىٰ المغرب ثم رجعا آخر النهار فالتقيا في السماء فقال أحدهما لصاحبه: أين كنت؟ قال: في المشرق أرسلني ربي إلىٰ كنز رجل فخسفت به الأرض، فقال الآخر: وأنا أرسلني ربي بأمر عجيب أمرني أن آخذ الكنز من قرار الأرض فأجعله في دار فقير بالمغرب، ليس له درهم ولا دينار، فسمعهما رضوان بواب الجنة فقال: قصتي أعجب من ذلك، إن الله تعالىٰ أمرني أن أذهب إلىٰ دار الفقير وأعد الكنز كما هو درهم ودينار ففعلت. ثم أمرني أن أبني قصوراً في الجنة بعدد كل درهم ودينار لصاحب الكنز والفقير. فقال الملكان: ربنا أطلعنا علىٰ هذه الكرامة التي أكرمت بها صاحب هذا الكنز والفقير. فقال سبحانه وتعالىٰ: لما خسفت بالكنز قال صاحبه: الحمد لله الذي جعلني راضياً بقدره، وأما الفقير فلم يفرح بالكنز، بل قال: أنا في خزانة من لم يحوجني إلىٰ غيره.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١٢٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٤) الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه ما أدرك، والدنيا سجنه والقبر مضجعه، والخلوة مجلسه، والاعتبار فكرته، والقرآن حديثه، والرب أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والحزن=

وإن عزمت أن تقف علىٰ بعض شعار المتوكلين في توكله من إثبات أحد الإيثارين حقًا، فاعتصم بعروة هذه الحكاية:

وهي أنه روي أن بعض المتوكلين قدم علىٰ بعض الأئمة رضوان الله عليهم فقال له: اعطف علي بجواب مسألة في التوكل[١].

والإمام ﷺ كان يعرف الرجل بحسن التوكل ونفيس الورع، وأشرف علىٰ صدقه فيما سئل عنه من قبل إبدائه إياه فقال له: قف أوط مكانك وأنظرني ساعة.

فبنينا هو مطرق لجوابه إذا اجتاز بهما فقير، فأدخل الإمام ﷺ يده في جيبه وأخرج شيئًا فناوله الفقير.

ثم أقبل علىٰ السائل فقال له: هات وسل عما بدا لك.

فقال السائل: أيها الإمام كنت أعرفك قادرًا متمكنًا من جواب مسألتي قبل أن استنظرتني فما شأنك في إبطائك عني؟[٢].

= رداءه، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته، والجنة إن شاء الله تعالىٰ وطننا ووطنه . حكاه في «**الإحياء**» عن يحيى بن معاذ رحمه الله.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١٢٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) إن قيل كيف عوتب زكريا بالتجائه إلىٰ الشجرة والنبي ﷺ قد التجأ إلىٰ الغار وما عوتب. فالجواب: أنه التجأ إليه بأمر الله تعالىٰ . فإن قيل: كيف قال الخضر عليه السلام لما خرق السفينة ﴿فَأَرَدتُّ﴾ [الكهف: ٧٩] وفي قتل الغلام: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ [الكهف: ٨١] وفي إقامة الجدار ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] فالجواب: عوتب في الأول، فقيل له: أي إرادة لك؟! ولما قال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ [الكهف: ٨١] قيل كيف تشرك إرادتك مع إرادتنا، فرد الإرادة إلىٰ الله تعالىٰ وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] فإن قيل: ما الحكمة في أن الله تعالىٰ أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأل به أن يريه كيف يحيي الموتى أن يأخذ أربعة من الطير وهن: الطاووس والديك والغراب والنسر؟ فالجواب: لأن أعداء الآدمي أربعة: الدنيا والهوى والنفس والشيطان والإشارة في ذلك إلىٰ نفس الشهوات الأربعة . فالطاووس إشارة إلىٰ زينة الدنيا لأنه أكثر الطيور زينة وأكله حلال عن مالك والإمام أحمد . والغراب: إشارة إلىٰ الحرص لأنه أكثر الطيور حرصاً والديك: إشارة إلىٰ الشهوات لأنه أكثر الطيور شهوة والنسر: إشارة إلىٰ العجب لأنه أكثر الطيور عجباً لأنه ربما عاش ألف سنة ويلحق السحاب . فكأنه يقول: خذ هذه الأربعة واجعل كلاً منها علىٰ جبل . فالحرص علىٰ جبل الترك والزينة علىٰ جبل الذهب والعجب علىٰ جبل التواضع . والشهوة علىٰ جبل الإخلاص.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١٢٨، ١٢٩)

(٢) تعوذ النبي ﷺ من جهد البلاء، قال عمر ﷺ: هو قلة المال وكثرة العيال.

وقال غيره: هو الجار السوء، والرسول البطيء، والمرأه المخاصمة، والحطب الرطب، =

فقال: الإيمان لتعتبر المعنى قبل كلامي إذا لم أكن أراني ساهيًا بسريّ، وربي مطلع عليه أن أتكلم بعلم التوكل وفي جيبي دانق ثم لم يحل لي ذلك إلَّا بعد إيثاره فافهم.

فشهق السائل شهقة وحلف إلَّا يأوي عمرانًا ولا يأنس ببشر ما عاش.

الباب السادس والسبعون

في الإخلاص[١]

قال الصادق رضي الله عنه: الإخلاص بجميع فواضل الأعمال وهو معنى افتتاحه القبول وتوقيعه الرضا.

= والسراج المظلم، والبيت الذي يدلف ـ أي يقطر منه ـ ماء المطر، مائدة حضرت والنظارة غائب وحق ضيف، وهرة تعوي. قال العلامي في قوله تعالىٰ حكاية عن مريم ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩] أي: أشارت في الظاهر إلىٰ الولد وفي الباطن إلىٰ الحد فأنطق الله الولد ببراءتها. قال ابن عباس: رضي الله عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة: وقيل: كعادة النساء. ولدته ببيت لحم. وقيل: بالناصرة قرية من قرى اللحون عند صفورية. هذا كلام العلامي رحمه الله. فاتهمت اليهود زكريا عليه السلام بالفاحشة مع مريم لأنه كان يدخل عليها فطلبوه، فهرب إلىٰ شجرة فانفتحت له فدلهم الشيطان عليها فوضعوا المنشار فأوحى الله إليه: لئن قلت: "آه" لأمحون اسمك من ديوان النبوة، هل التجأت إلينا، وقد وكلناك إلىٰ الشجرة؟! فشقوه نصفين كما فعلوا بشعيب النبي عليه السلام وأمر الله تعالىٰ الملائكة فغسلوه وصلوا عليه ودفنوه بسبططية من أرض نابلس.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١٢٧، ١٢٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) معنى الإخلاص: التصفية مما سوى الرب جل جلاله وشغل القلب به.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥] وفي حديث **«إنما الأعمال بالنيات»** وهو قاعدة الدين وأساس السالكين وشرعت لتمييز العبادات عن العادات ورتب العبادات وفرق بين النية والأمنية.

حدائق الأولياء (١/ ٤٨)

وفي ذكر حكاية عن الإخلاص لله ما ذكره ابن الملقن في حدائق الأولياء: عن محمد بن الصباح قال خرجنا نستسقي بالبصرة فلما أصحرنا إذا نحن بسعدون المجنون قاعدًا علىٰ الطريق فلما رآني قام وقال لي: إلىٰ أين قلت: نستسقي قال: بقلوب سماوية أم بقلوب خاوية قلت: سماوية قال: اجلسوا هاهنا فجلسنا حتى ارتفع النهار وما تزداد السماء إلَّا صحوًا ولا الشمس إلَّا حرًا فنظر إلينا وقال: يا بطالون لو كانت قلوبكم سماوية لسقيتم، ثم توضأ وصلى ركعتين ولحظ السماء بطرفه، وتكلم بكلام لم أفهمه فوالله ما استتم كلامه حتى رعدت وبرقت ومطرت مطرًا جيدًا.

حدائق الأولياء من تحقيقنا (١/ ٤٨) طبعة دار الكتب العلمية

فمن تقبل الله منه ويرضى عنه فهو المخلص وإن قل عمله.

ومن لم يتقبل منه فليس بمخلص وكثر عمله اعتبارًا بآدم عليه السلام، وإبليس عليه اللعنة.

وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل محاب مع إصابه علم كل حركة وسكون والمخلص ذائب روحه باذل مهجته تقويم ما به، العلم والأعمال[١].

والعامل والمعمول بالعمل، لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل، وإذا فاته فاته الكل.

وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الأول هلك العاملون إلَّا العابدون، وهلك العابدون إلَّا العالمون، وهلك العالمون إلَّا الصادقون، وهلك الصادقون إلَّا المخلصون، وهلك المخلصون إلَّا المتقون.

وهلك المتقون إلَّا الموقنون.

وإن الموقنين لعلىٰ خلق عظيم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحِجر: ٩٩][٢].

---

(١) وذكر ابن الملقن حكاية أخرى عن إبراهيم الخواص أيضًا قال: دخلت البادية مرة فرأيت نصرانيًا علىٰ وسطه زنار فسألني الصحبة فمشينا سبعة أيام ثم قال لي: يا راهب الحنفية هات ما عندك فقد جعنا فقلنا: إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر فرأيت طبقا عليه خبز وشواء ورطب وماء فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت: يا راهب النصرانية هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك قال: فأعلىٰ عصاه ودعا وإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان علىٰ طبقي فتحيرت وتغيرت وأبيت أن آكل فألح علي فلم أجب . فقال: كل فإني أبشرك ببشارتين أحدها إسلامي وحل الذمة والأخرى قلت: اللهم إن كان لهذا العبد خاطر عندك فافتح علي فأكلنا ومشينا وحج وأقمنا سنة ومات فدفن بالبطحاء وفي حكاية أخرى أن ثلاثة نفر خرجوا يستسقون في زمن داود عليه السلام فقال: أحدهم: اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وقال الثاني: اللهم إنك قد أمرتنا أن نعتق عبيدنا إذا شابوا في خدمتنا وقد شبنا في خدمتك فتفضل علينا بعتقنا وقال الثالث: اللهم إنك أمرتنا أن لا نرد المساكين إذا وقفوا ببابنا وها نحن مساكين قد وقفنا ببابك فجد علينا بفضلك وإحسانك وعظيم امتنانك.

حدائق الأولياء (١/ ٤٧، ٤٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة الحجر (٩٩).

قال البخاري: قال سالم الموت وسالم هو ابن عبد الله ابن عمر وكما قال ابن جرير الطبري بسنده عن سالم ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] .

قال الموت، وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره والدليل على=

وأدنى حد الإخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرًا فيوجب به علىٰ ربه مكافأة لعلمه بعمله.

إنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام.

وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة.

الباب السابع والسبعون
في الجهل[1]

قال الصادق رضي الله عنه: الجهل صورة ركبت في الدنيا إقبالها ظلمة وإدبارها نور والعبد

= ذلك قوله تعالىٰ إخبارًا عن أهل النار أنهم قالوا ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ وفي الصحيح من حديث الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء امرأة من الأنصار أن رسول الله ﷺ لما دخل علىٰ عثمان بن مظعون وقد مات قالت أم العلاء رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله ﷺ: «**وما يدريك أن الله أكرمه**» فقلت بأبي وأمي يا رسول الله فمن؟ فقال: «**أما هو فقد جاءه اليقين وإني لأرجو له الخير**» ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: ٩٩] علىٰ أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة علىٰ الإنسان ما دام عقله ثابتا فيصلي.

تفسير ابن كثير (٢/ ٥٧٧)

(١) الجهل صفة ذميمة نهى عنها الإسلام وأمر بالعلم وكان أول ما نزل من الوحي علىٰ رسول الله ﷺ الدعوة إلىٰ العلم فقال تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ . . . الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وكفى به شرفا أن يكرم الجليل تعالىٰ أكرم خلقه وأحبهم إليه وأقربهم لربه أن يطلب الاستزادة منه قال الأئمة: لم يأمر الله نبيه أن يطلب المزيد في شيء إلَّا فيه. وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُمَر: ٩] وقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨] والآيات فيه كثيرة. وروينا في الصحيحين من حديث معاوية مرفوعاً: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» والفقه فهم ما يدق ويغمض ويخفيه الإنسان حتى يفقه عنه، وتفتح به الأذهان وقد قال تعالىٰ: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجَاثِية: ٥] وقال: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨] فالفقه في الدين فهم وحكم كل شيء منه مع لطائفه وأسراره وحكمته وغايته وشروطه وأركانه وسننه وآدابه ومكملاته وسوابقه ولواحقه وكل مفسد له محبط لأجله من موانع قبوله وغير ذلك من أسبابه وأهله ومحله كما يعرفه أهله، وافهم قوله: «**من يرد الله به خيراً يفقهه**» ضد عكسه وأنه لا يراد به خير وكفى به حسرة وشقاء.

حدائق الأولياء (١/ ٦٦، ٦٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

متقلب معها كتقلب الظل مع الشمس ألَّا ترى إلىٰ الإنسان تارة تجده جاهلًا بخصال نفسه، حامدًا لها عارفًا بعيبها في غيره ساخطًا لها.

وتارة تجده عالمًا بطباعه ساخطًا لها حامدًا لها في غيره.

وهو متقلب بين العصمة والخذلان.

فإن قابلته العصمة أصاب وإن قابله الخذلان أخطأ.

ومفتاح الجهل الرضا والاعتقاد به ومفتاح العلم[١] الاستبدال مع إصابة مرافقة التوفيق.

وأدنى صفة الجاهل دعواه بالعلم بلا استحقاق، وأوسطه جهله بالجهل وأقصاه جحوده بالعلم.

وليس شيء إثباته حقيقة نفيه إلَّا الجهل في الدنيا والحرص.

فالكل منهم كواحد، والواحد منهم كالكل.

❊ ❊ ❊

الباب الثامن والسبعون
في تبجيل الإخوان[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: مصافحة إخوان الدين أصلها من محبة الله لهم.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٧٩) كتاب العلم ٢١ ـ باب فضل من عَلِم وعلَّم، من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**» قلت: فالأول: العالم علم الدراية . والثاني: رواية كالأجداب . والثالث: من لا علم له . وروينا من حديث سهل بن ساعد الساعدي أن النبي ﷺ قال لعلي: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» أخرجاه .

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» أخرجه البخاري.

حدائق الأولياء (١/ ٦٧، ٦٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى أبو داود في سننه (٥٢٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٣١) حديث: «**من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً وجبت له النار**».

ورواية أحمد في مسنده (٤/ ٩١) بلفظ «**من أحب أن يتمثل له عباد الله قياماً**».

قال رسول الله ﷺ: **«ما تصافح إخوان في الله إلَّا تناثرت ذنوبهما حتى يعودان كيوم ولدتهما أمهما.**

ولا كثر حبهما وتبجيلهما كل واحد لصاحبه إلَّا كان له مزيد»[١].

والواجب علىٰ أعلمهما بدين الله[٢] أن يريد صاحبه في فنون الفرائد التي ألزمه الله بها ويرشده إلىٰ الاستقامة والرضا والقناعة ويبشر برحمة الله ويخوفه من عذابه وعلىٰ الإخوان يتبارك باهتدائه ويمسك ما يدعوه إليه ويعظه به ويستدل بما يدل إليه معتصمًا بالله ومستعينًا لتوفيقه علىٰ ذلك.

قيل لعيسى ابن مريم عليه السلام: كيف أصبحت؟

قال: لا أملك نفع ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحذره، مأمورًا بالطاعة ومنهيًا عن المعصية فلا أرى فقيرًا أفقر مني.

وقيل لأويس القرني[٣]: كيف أصبحت؟

---

(١) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٣٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٧).

(٢) خرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه للصلاة فوجد شيخاً يمشي أمامه فمشى خلفه ولم يتقدم عليه إكراماً واحتراماً له، فلما ركع النبي ﷺ وضع جبريل جناحه علىٰ ظهره فكلما أراد أن يرجع منعه جبريل حتى أدركه علي رضي الله عنه. لكنه حديث موضوع. وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « **إن الله تعالىٰ ينظر إلىٰ وجه الشيخ صباحاً ومساءً ويقول: كبر سنك ودق عظمك، ورق جلدك واقترب أجلك، فاستحي مني فإني أستحي منك**» وعن النبي ﷺ: «**أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه في عارضه فقال يا رب ما هذه الشوهة الذي شوهت بخليلك؟ فأوحى الله إليه: هذا سرّ بال الوقاية ونور الإسلام، وعزتي وجلالي ما ألبسته أحداً من خلقي يشهد أن لا إله إلَّا الله وحدي لا شريك لي إلَّا استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً وأنشر له ديواناً أو أعذبه بالنار. فقال: يا رب زدني وقاراً، فأصبح رأسه مثل الثغامة**» ـ بفتح الثاء المثلثة وتخفيف الغين المعجمة ـ وهو نبات له ثمر أبيض.
بستان الفقراء ونزهة القراء (٢، ٢٢٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) أويس بن عامر بن جرير بن مالك القرني سيد التابعين في نسبه أقوال مختلفة وكنيته أبو عمرو، قال الكلبي استشهد أويس يوم صفين مع علي. وقال يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: إن أويساً شهد صفين مع علي ثم روي عن رجل أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**أويس خير التابعين بإحسان**» وقال غيره: إن أويساً وفد على عمر من اليمن، وروى عنه، وعن علي. روى عنه يسير بن عمرو وعبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو عبد رب الدمشقي. وسكن الكوفة، وليس له حديث مسند بل له حكايات. قال أسير بن جابر عن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر، كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلَّا موضع الدرهم في سرته، لا يدع باليمن غير أم له، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم**».
تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٢٢٠)

قال: كيف يصبح رجل إذا أصبح لا يدري أيمسي، وإذا أمسى لا يدري أيصبح.

قال أبو ذر رضي الله عنه: أصبحت أشكر ربي وأشكر نفسي.

قال النبي ﷺ: «**من أصبح وهمته غير الله فقد أصبح من الخاسرين المعتدين**»[١].

الباب التاسع والسبعون
في التوبة[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة التوبة علىٰ كل حال وكل فرقة من العباد لهم توبة.

فتوبة الأنبياء من اضطراب السرّ، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات وتوبة الأصفياء من التنفيس.

وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله تعالىٰ.

وتوبة العام من الذنوب.

ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره[٣].

---

(١) بنحوه أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٨) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٩٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٠)، والزبيدي في الاتحاف (٨/ ٨٤).

(٢) أصل التوبة في اللغة الرجوع يقال تاب وثاب بالمثلثة وآب بمعنى رجع، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الذنب.
وللتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع والندم علىٰ فعل تلك المعصية والعزم علىٰ أن لا يعود إليها أبداً فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق وأصلها الندم وهو ركنها الأعظم واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة بالعقل ولا يجب علىٰ الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلاً عند أهل السنة لكنه سبحانه وتعالىٰ يقبلها كرماً وفضلاً وعرفنا قبولها بالشرع والإجماع خلافاً لهم وإذا تاب من ذنب ثم ذكره هل يجب تجديد الندم، فيه خلاف لأصحابنا وغيرهم من أهل السنة قال ابن الأنباري: يجب وقال إمام الحرمين: لا يجب وتصح التوبة من ذنب وإن كان مصرًا علىٰ ذنب آخر.
شرح مسلم (١٧/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) في تفسير النيسابوري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أراد الله تعالىٰ أن يتوب علىٰ آدم طاف بالبيت سبعاً فصلى ركعتين وقال: اللهم أنت تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر ذنوبي اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني=

وذلك يطول شرحه هاهنا.

فأما توبة العام فإن يغسل باطنه بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دائمًا.

واعتقاد الندم على ما مضى والخوف علىٰ ما بقى من عمره[١].

ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك إلىٰ الكسل وتديم البكاء والأسف علىٰ ما فاته من طاعة الله.

ويحبس نفسه عن الشهوات، ويستغيث إلىٰ الله تعالىٰ ليحفظه علىٰ وفاء توبته ويعصمه عن العود إلىٰ ما أسلف ويراوض نفسه في ميدان الجهل والعبادة.

ويقضي عن الفوائت من الفرائض[٢] ويرد المظالم ويعتزل قرناء السوء.

ويسهر ليله ويظمأ نهاره.

= إلَّا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي فأوحى الله تعالىٰ إليه: يا آدم غفرت لك ذنوبك وإن يأتيني أحد من ذريتك يدعني بمثل ما دعوتني غفرت له ذنبه وكشفت عنه غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها.

بستان الفقراء (٢/ ٢٥٩) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) وجدت المعصية من المؤمن لأن روحه وجدت بالمجاورة مع روح الكافر في صلب آدم والكافر بفعل الحسنة لأنه وجد روح المؤمن أيضاً . فإذا كان يوم القيامة بسط الله تعالىٰ بساط الحكمة ويضع عليه أعمال بني آدم فتهب ريح فيطير كل جنس إلىٰ جنسه فتطير معصية المؤمن إلىٰ معصية الكافر وتصير حسنة الكافر إلىٰ حسنة المؤمن ويرث كل من المؤمن والكافر منزل الآخر في الدار التي أعدها الله له وذلك لأن كلاً منهما له منزل في الجنة ومنزل في النار فيصير له منزلان ذكره النسفي رحمه الله تعالىٰ . وقال ابن العماد في الذريعة: مع الكافر ملكان: أحدهما للحسنات والآخر للسيئات ثم قال: فإن قيل: الكافر لا حسنة له فما الفائدة في ملك اليمين فالجواب: لعله يسلم فيعند بحسناته . وجواب آخر: وهو: أن تعرض عليه حسناته في الآخرة ثم لا يثاب عليه فتكون حسرة عليه . فإن قيل: الحفظة يعلمون ما يصنعه العبد في الاستقبال قال الله ﷻ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٢] فما الاحتياج لملازمتهم للعبد . فالجواب: إنهم شهود والشاهد لا بد له من المعاينة وقد يقال: ما في الآية دلالة لأن قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٢] أي في الحال والمستقبل غيب لا يعلمه إلَّا الله سبحانه وتعالىٰ.

بستان الفقراء (٢/ ٢٥٩، ٢٦٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) يجب أداء الصلاة المفروضة في أوقاتها فمن أخرها عن وقتها بغير عذر كان آثماً إثماً عظيماً . أما من أخرها لعذر فلا إثم عليه وتارة يكون العذر مسقطاً للصلاة رأساً وتارة يكون غير مسقط بحيث تجب علىٰ من فاتته الصلاة لعذر أن يقضيها عند زوال العذر فأما مسقط الصلاة رأساً فهو الحيض والنفاس والمجنون والمغمى عليه والمرتد إذا رجع إلىٰ الإسلام وقد خالف الشافعية في المرتد وقالوا: لا تسقط عنه، والحنابلة خالفوا في الإغماء.

الفقه (١/ ٤٣٣)

ويتفكر دائمًا في عاقبته ويستعين بالله سائلاً منه الاستقامة وسرائه وضرائه وثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين فإن في ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في علمه.

ورفعة في درجاته.

قال الله تعالىٰ شأنه العزيز: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[١].

الباب الثمانون
في الجهاد[٢] والرياضة

قال الصادق رضي الله عنه: طوبى لعبد جاهد لله نفسه وهواه[٣] ومن هزم حينئذ هواه ظفر برضى الله، ومن جاوز عقله نفسه الأمَّارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع علىٰ بساط خدمة الله تعالىٰ فقد فاز فوزًا عظيمًا، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالىٰ من النفس والهوى وليس لقتلهما وقطعهما سلاح وآلة مثل الافتقار إلىٰ الله سبحانه والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل.

فإن مات صاحبه مات شهيدًا وإن عاش واستقام أداه عاقبته إلىٰ الرضوان الأكبر قال الله عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[٤].

---

(١) سورة العنكبوت (٣).

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٩ ـ (١٧٤١)] كتاب الجهاد، باب كراهه تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا**».
قال النووي: إنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صور الإعجاب والاتكال علىٰ النفس والوثوق بالقوة وهو نوع بغي، وقد ضمن الله تعالىٰ لمن بُغي عليه أن ينصره ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو وأخطاره وهذا يخالف الاحتياط والحزم.
وقوله ﷺ «**وإذا لقيتموهم فاصبروا**» فهذا حث علىٰ الصبر في القتال وهو آكد أركانه وقد جمع الله سبحانه آداب القتال في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾.
النووي في شرح مسلم (١٢/ ٤١) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) حديث «**رجعتم من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر ألا وهو جهاد النفس**».
أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (٦/ ٣٧٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٧) والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٤٩٣).

(٤) سورة العنكبوت (٦٩).
يعني الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه إلىٰ يوم الدين ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي لنبصرنهم=

وإذا رأيت مجتهدًا أبلغ منك في الاجتهاد فوبخ نفسك ولها وعيرها تحثيثًا علىٰ الازدياد عليه، واجعل لها زمامًا من الأمر وعناناً من النهي، وسقها كالرايض الفادة التي لا يذهب عليه خطوة من خطواتها إلَّا وقد صحح أولها وآخرها.

وكان رسول الله ﷺ يصلي حتى يتورم قدماه[١]، وقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[٢].

أراد ﷺ أن يعتبر به أمته فلا يغفلوا عن الاجتهاد والتعب والرياضة بحال ألاَّ إنك لو وجدت حلاوة عبادة الله ورأيت بركاتها واستضئت بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة ولو قطعت إربًا إربًا فما أعرض من أعرض إلا عنها بحرمان فوائد السلف من العصمة والتوفيق قيل لربيع بن خيثم: ما لك لا تنام بالليل؟

قال: لأني أخاف البيات.

= سبلنا أي: طرقنا في الدنيا والآخرة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أحمد بن أبي الحواري أخبرنا عباس الهمداني أبو أحمد من أهل عكا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] قال الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون قال أحمد بن أبي الحواري فحدثت به أبا سليمان يعني الداراني فأعجبه وقال: ليس ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر فإذا سمعه في الأثر عمل به وحمد الله حتى وافق ما في قلبه.

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٦، ٤٣٧)

(١) وفي رواية مسلم: حتى انتفخت "قدماه"، قال النووي: وفي رواية حتى تفطرت رجلاه، معنى تفطرت تشققت قالوا: ومنه فطر الصائم وأفطره لأنه خرق صومه وشقه قال القاضي: الشكر معرفة إحسان المحسن والتحدث به وسميت المجازاة علىٰ فعل الجميع شكرًا لأنها تتضمن الثناء عليه وشكر العبد الله تعالىٰ اعترافه بنعمه وثناؤه عليه وتمام مواظبته علىٰ طاعته وأما شكر الله تعالىٰ أفعال عباده فمجازاته إياهم عليها وتضعيف ثوابها وثناؤه بما أنهم به عليهم فهو المعطي والمثني سبحانه والشكور من أسمائه سبحانه وتعالىٰ بهذا المعنى والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٣٤) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٤٨٣٧)، ومسلم في صحيحه [٧٩، ٨٠، ٨١] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٨ ـ باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

والترمذي في سننه (٤١٢، والنسائي (٣/ ٢١٩ أ المجتبي)، وابن ماجه (١٤١٩، ١٤٢٠)، وأحمد بن حنبل (٤/ ٢٥١، ٢٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٩٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٨٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٧١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٥٠).

الباب الواحد والثمانون
في الفساد

قال الصادق رضي الله عنه: فساد الظاهر من فساد الباطن، ومن أصلح سريرته أصلح علانيته[١].

ومن خاف الله في السرّ لم يهتك الله علانيته.

ومن خان الله في السرّ هتك الله ستره في العلانية.

وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالىٰ.

وهذا الفساد يتولد من طول الأمل والحرص والكبر.

كما أخبر الله تعالىٰ في قصه قارون في قوله: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٢].

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٩].
قال ابن كثير: يخبر تبارك وتعالىٰ عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر وأنه لا يخفى عليه منهم خافية بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان والأيام واللحظات وجميع الأوقات وجميع ما في الأرض والسماوات لا يغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤] أي وقدرته نافذة في جميع ذلك وهذا تنبيه منه لعباده علىٰ خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم فإنه عالم بجميع أمورهم وهو قادر علىٰ معاجلتهم بالعقوبة وإن أنظر من أنظر منهم فإنه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال بعد هذا: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عِمرَان: ٣٠] الآية يعني يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر كما قال تعالىٰ: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القِيَامَة: ١٣] فما رأى من أعماله حسنًا سره ذلك وأفرحه وما رأى من قبيح ساءه وغصه وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد.
تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٧)

(٢) سورة القصص (٧٧).
في ذكر قصة قارون قال ابن كثير: قال ابن جريح وأكثر أهل العلم علىٰ أنه كان ابن عم موسى عليه السلام والله أعلم وقال قتادة بن دعامة كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله: وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبرًا طولاً ترفعًا علىٰ قومه. قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ أي: الأموال ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ أي ليثقل حملها الفئام من الناس لكثرتها قال الأعمش عن خيثمة كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الأصبع كل مفتاح علىٰ خزانة علىٰ حدته فإذا ركب حملت علىٰ ستين بغلاً أغر محجلاً وقيل غير ذلك والله أعلم. =

وقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القَصَص: ٨٣][1] . . . الخ.

وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده وأصلها من حب الدنيا وجمعها ومتابعة النفس وإقامة شهواتها[2].

وحب المحمدة وموافقة الشيطان واتباع خطواته.

وكل ذلك يجتمع بحب الغفلة عن الله ونسيان منته.

وعدا ذلك الفرار من الناس ورفض الدنيا وطلاق الراحة والانقطاع عن العادات وقطع عروق منابت الشهوات بدوام الذكر لله ﷻ ولزوم الطاعة له واحتمال جفاء الخلق.

وملازمة القرين وشماتة العدو من الأهل والقرابة.

= وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القَصَص: ٧٦] أي وعظه فيما هو فيه صالح قومه فقالوا علىٰ سبيل النصح والإرشاد: لا تفرح بما أنت فيه يعنون لا تبطر بما أنت فيه من الأموال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القَصَص: ٧٦] قال ابن عباس يعني المرحين وقال مجاهد: يعني الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله علىٰ ما أعطاهم.

تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٣)

(١) سورة القصص (٨٣).

(٢) سبب جمع قارون الأموال ما قاله سعيد بن المسيب: كان موسى عليه الصلاة والسلام يعلم الكيمياء، فعلم يوشع بن نون وقارون وكالب فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلىٰ علمه.

وفي خبر آخر: أن الله سبحانه وتعالىٰ علم موسى عليه السلام الكيمياء فعلمت أخته قارون فكان ذلك سبب أمواله وروى الثعلبي رحمه الله تعالىٰ بإسناده إلىٰ أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قال: سمعت أبا سليمان الداراني رحمه الله يقول: يبتدي إبليس لعنه الله لقارون وكان قارون أقام في جبل أربعين سنة يعبد الله سبحانه وتعالىٰ حتى إذا غلب بني إسرائيل في العبادة بعث إليه إبليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتبدى هو له وجعل يتعبد، وجعل قارون يتعبد وجعل إبليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون فقال له إبليس: يا قارون بهذا الذي نحن فيه لا نشهد لبني إسرائيل جماعة ولا نعود مرضياً ولا نشهد جنازة . قال: فأحدره من الجبل إلىٰ البيعة فكانا يؤتيان بالطعام، فقال له قارون: فأي شيء الرأي عندك؟ قال له: نكتسب يوم الجمعة ونتعبد بقية الجمعة . فقال إبليس: قد رضينا أن نكون هكذا . فقال له قارون: فأي شيء الرأي؟ قال نكتسب يوماً ونتعبد يوماً ونتصدق ونعطي . قال: فلما كسبا يوماً وتعبدا يوماً ذهب إبليس وتركه ففتحت علىٰ قارون الدنيا.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٩٠، ٣٩١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

فإذا فعلت فقد فتحت عليك باب عطف الله وحسن نظره إليك[١].

بالمغفرة والرحمة وأخرجت من جملة الغافلين.

وفككت قلبك من أسر الشيطان.

وقدمت باب الله في معشر الواردين إليه وسلكت مسلكًا رجوت الإذن بالدخول علىٰ الكريم الجواد الكريم الرحيم.

الباب الثاني والثمانون
في التقوى[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: التقوى علىٰ ثلاثة أوجه: تقوى بالله وهو ترك الخلاف فضلًا عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص.

---

(١) قال مالك بن دينار رحمه الله: رأيت مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقلت له ماذا لقيت بعد الموت قال: لقيت والله أهوالاً عظاماً شدائد، قلت: فما كان بعد ذلك.
قال: وما تراه يكون من الكريم إلَّا الكرم، قيل: من الحسنات، وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات، ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشياً عليه ثم مات بعد أيام فكانوا يرون أن قلبه انصدع .
ولما مات الإمام مالك بن دينار رحمه الله روئي في المنام فقيل له: بماذا قدمت علىٰ الله؟ فقال: قدمت بذنوب كثيرة مجاهرًا عني حسن الظن بالله ﷻ وقال بعض المشايخ رحمهم الله: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي بعد موته في المنام علىٰ هيئة حسنة لا توصف، فقلت له: يا أستاذ بم نلت هذا؟ فقال: بحسن ظني بربي . وروي: أن داوداً النبي عليه الصلاة والسلام قال: يا رب أرني أهل محبتك فأوحى الله تبارك وتعالىٰ إليه: ائت جبل لبنان، فإن فيها أربعة عشر رجلاً فيهم شباب وفيهم كهول وفيهم مشايخ، فإذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام وقل لهم: إن ربكم يقول لكم: ألا تسألوني حاجة، فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي؟
بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٩٦، ٣٩٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) التقوى هي مجانبة ما يبعد عن الله بالحذر منه ومن حققها هون علىٰ قلبه الإعراض عن الدنيا وزال الاعتراض.
قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢] أي: واجب تقواه فيطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ولا تأخذه فيه لومة لائم ويقوم بالقسط ولو علىٰ أبيه وابنه وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَغَابُن: ١٦] وهذه الآية مبينة للمراد من الأولى أي: بالغوا في التقوى فلا تتركوا من المستطاع منها شيئا.
عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس قال: **أتقاهم** قالوا: ليس عن هذا نسألك، =

وتقوى من الله تعالىٰ وهو ترك الشبهات فضلاً عن الحرام، وتقوى الخاص وتقوى من خوف النار[١] والعقاب وهو ترك الحرام.

وهو تقوى العام.

ومثل التقوى كماء يجري في النهر.

ومثل هذه الطبقات الثلاث في معنى التقوى كأشجار مغروسة علىٰ حافة ذلك النهر من كل لون وجنس.

وكل شجرة منها تمتص الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته.

ثم منافع الخلق من ذلك الأشجار والثمار علىٰ قدرها وقيمتها[٢].

قال الله تعالىٰ: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾[٣].

= قال: «**فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله**» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فعن معادن العرب تسألوني خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**».

حدائق الأولياء (١/ ٩١، ٩٤، ٩٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) روي البخاري في صحيحه (٦٥٧١) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالىٰ له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالىٰ له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة من أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا**».

حدائق الأولياء (١/ ٩٨، ٩٩) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) في ثواب الأتقياء ما جاء في كتابه العزيز قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿بِمُخْرَجِينَ﴾.

وما أحسن هذه الدار معقل السلامة من كل آفة وعرض.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١﴾ إلىٰ آخر السورة فيا لها من ملابس وأزواج ومزوج جليل وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣] وروينا من حديث جابر رضي الله عنهما مرفوعا «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس**» أخرجه مسلم وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا قال: «**قال الله تعالىٰ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السَّجدَة: ١٧] وأخرجاه ولا أبلغ منه.

حدائق الأولياء (١/ ٩٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) سورة الرعد (٤).

فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار.

ومثل طبائع الأشجار والأثمار في لونها وطعمها مثل مقادير الإيمان.

فمن كان أعلى درجة في الإيمان[١] وأصفى جوهره بالروح كان أتقى.

ومن كان التقى كانت عبادته أخلص وأطهر ومن كان كذلك كان من الله أقرب وكل عباده مؤسسة علىٰ غير التقوى فهي هباء منثورًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[٢].

وتفسير التقوى ترك ما ليس بأخذه بأس حذرًا مما به البأس.

---

(١) الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في حديث جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان ـ وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات له ولهذا فسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق علىٰ من ارتكب كبيرة أو بدل فريضة لأن اسم الشيء مطلقا يقع علىٰ الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهرًا إلَّا بقيد ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ: **«لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»** واسم الإسلام يتناول أيضًا ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن ويتناول أصل الطاعات فإن ذلك كل استسلام . قال: فخرج مما ذكرناه وحققنا أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا . قال: وهذا تحقيق وافر بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم.

شرح مسلم (١/ ١٣٢، ١٣٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة التوبة (١٠٩).

يقول تعالىٰ: لا يستوي من أسس بنيانه علىٰ تقوى من الله ورضوان ومن بني مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل فإنما يبني هؤلاء بنيانهم علىٰ شفا جرف هار أي طرف حفيرة مثاله ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩] أي لا يصلح عمل المفسدين قال جابر بن عبد الله رأيت المسجد الذي بني ضرارًا يخرج منه الدخان علىٰ عهد رسول الله ﷺ وقال ابن جريج ذكر لنا أن رجالا حفروا فوجدوا الدخان الذي يخرج منه وكذا قال قتادة وقال خلف بن ياسين الكوفي رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالىٰ في القرآن وفيه جحر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة رواه ابن جرير رحمه الله وقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١١٠] أي شكًا ونفاقًا بسبب إقدامهم علىٰ هذا الصنيع الشنيع أورثهم نفاقًا في قلوبهم كما أشرب عابدو العجل حبه.

تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٩)

وهو في الحقيقة طاعة بلا عصيان وذكر بلا نسيان وعلم بلا جهل مقبول غير مردود.

الباب الثالث والثمانون
في ذكر الموت[١]

قال الصادق رضي الله عنه: ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ويقطع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر أعلام الهوى ويطفئ نار الحرص ويحقر الدنيا.

وهو معنى ما قال النبي ﷺ: «**فكر ساعة خير من عبادة سنة**»[٢].

وذلك عندما تحل أطناب خيام الدنيا وتشدها بالآخرة.

ولا يسكن نزول الرحمة عند ذكر الموت بهذه الصفة.

ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيامة فلا خير فيه.

قال النبي ﷺ: «**اذكروا هادم اللذات**»، قيل وما هو يا رسول الله، فقال: «**الموت**»[٣].

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١] وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وروى الثعلبي رحمه الله: فإن قيل: ما الجامع بين قوله تعالىٰ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] و﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨] و﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] قيل: توفي الملائكة: القبض والنزع وتوفي ملك الموت: الدعاء والأمر يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها وتقوى الله سبحانه وتعالىٰ: خلق الموت فيه والله أعلم.

بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ٤٥٩) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) بلفظ "فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة" أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١١)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٤٢)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٠٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٧٠) وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٧٣).

(٣) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٣٠٧) كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، والنسائي (٤/ ٤ ـ المجتبي)، وابن ماجه في سننه (٤٢٥٨) في الزهد، باب ذكر الموت.

والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢١)، وابن حبان في صحيحه [(٢٥٥٩)، (٢٥٦٢) ـ الموارد]، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٣٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٥٢)، وابن المبارك في الزهد (٢/ ٣٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٧)، والزبيدي في الاتحاف (٩/ ٢٢٨).

ما ذكره عبد علىٰ الحقيقة في سعة إلَّا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدة إلَّا اتسعت عليه، والموت أول منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا[١].

فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها، وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها.

والموت أقرب أشياء من بني آدم وهو يعده أبعد.

فما أجرى الإنسان علىٰ نفسه وما أضعفه من خلق.

وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق الموت وكره من كره.

قال النبي ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»[٢].

---

(١) قال منصور بن عمار: إذا دنا موت العبد قسم حاله إلىٰ خمسة أقسام: المال للوارث والروح لملك الموت واللحم للدود والعظم للتراب والحساب للخصوم. فياليت الشيطان لا يذهب بالإيمان عند الموت فيكون فراقًا من الرب جل جلاله نعوذ بالله منه فإن كل فراق إلىٰ الاجتماع وفراق الرب صعب لا يدركه أحد.

إليك من مكرك يا سيدي ... كل البرايا دائما يحذرون
فكم عيوب وذنوب مضت ... ونحن عنها سيدي غافلون
نضيع بكسب الخطا ... فنحن في أوقاتنا لاعبون
نشاهد الموت ولا نعتبر ... ولا تنبهنا الريب المنون
بل غفلة تعمي أبصارنا ... وشقوة خابت لديها الظنون
فنحن يا رب الورى كلنا ... إليك من زلاتنا هاربون
لكننا نسأل رب الورى ... عفوا وصفحا كي تقر العيون

حدائق الأولياء من تحقيقنا (٢/ ٣٩٥، ٣٩٦) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٨/ ١٣٣)، ومسلم في صحيحه [١٤، ١٥، ١٦)] كتاب الذكر والدعاء، ٥ ـ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه].

قال النووي: «قالت عائشة: فقلت يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت، قال: ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وأن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه» هذا الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويكشف له عن ذلك.

شرح مسلم للنووي (١٧/ ٩) طبعة دار الكتب العلمية

الباب الرابع والثمانون

في الحساب[١]

قال الصادق رضي الله عنه: لو لم يكن للحساب محولة إلَّا حياء العرض علىٰ الله تعالىٰ وفضيحة هتك الستر المخفيات لحق للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوى إلىٰ عمران ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلَّا عن اضطرار متصل بالتلف ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس[٢].

ويعاين بالقلب بالوقوف بين يدي الجبار حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنه إلىٰ عرضاتها مدعو وفي غمراتها مسؤول قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[٣] وقال بعض الأئمة: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا

---

(١) أخرج الدينوري في المجالسة (٢/ ٢٦٢) ـ من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية: عن جعفر بن محمد قال: صلة الرحم تهون علىٰ المرء الحساب يوم القيامة ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١].

بستان (٣/ ٢٠٥)

وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٨) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابًا يسيراً وأدخله الله الجنة برحمته قالوا: وما هو؟ قال: تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك»**.

(٢) أخرج الدينوري في المجالسة وجواهر العلم رقم (٤٠٦، ١٠٨٣) ـ من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية عن سفيان الثوري قال: بلغني أن المؤمن في الموقف يرى منازله في الجنة وما أعد الله له فيها فيتمنى أنه لم يخلق من هول ما هو فيه وأخرج ابن المبارك عن بلال بن سعد قال: إن الناس حوله يوم القيامة وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: ١٠] وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الطير لتضرب بمناقيرها علىٰ الأرض وتحرك أذنابها من هول يوم القيامة»** وأخرج أبو نعيم عن وهب قال: إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء قطر العضاة دمًا. وأخرج مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها وأخفافها ولا صاحب بقر لا فعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه فاتحا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لا بد له منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل»**.

بستان الفقراء من تحقيقنا (٣/ ٩٤، ٩٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) سورة الأنبياء (٤٧).

أعمالكم[١] بميزان الحياء قبل أن توزنوا.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: ذكر الجنة موت، وذكر النار موت فوا عجبًا لنفس تحيا بين موتين. وعن يحيى ابن زكريا عليه السلام: أنه كان يفكر في طول الليل في أمر الجنة والنار فيسهر ليلته ولا يأخذه النوم، ثم يقول عند الصباح اللهم أين المفر وأين المستقر[٢].

اللهم لا مفر إلَّا إليك.

الباب الخامس والثمانون
في حسن الظن[٣]

قال الصادق رضي الله عنه: حسن الظن أصله من حسن إيمان المرء، وسلامة صدره وعلامته

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٦٥٣٦) كتاب الرقاق، ٤٩ ـ باب من نوقش الحساب عذب، ومسلم في صحيحه [٧٩ ـ (٢٨٧٦)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حوسب يوم القيامة عذب**».

فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: «**فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا فقال: ليس ذاك الحساب إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**».

قال النووي: معنى نوقش استقصى عليه قال القاضي وقوله عذب له معنيان: أحدهما أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ . والثاني: أنه مفضي إلىٰ العذاب بالنار ويؤيد في قوله في الرواية الأخرى هلك مكان عذب هذا كلام القاضي وهذا الثاني هو الصحيح ومعناه أن التصير غالب في العباد فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ودخل النار ولكن الله تعالىٰ يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء.

النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٧١) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال الله تعالىٰ: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ الآية وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالىٰ الحياة في جزء من الجسد ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده وقد ذكر مسلم هنا أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر وسماع النبي ﷺ صوت من يعذب فيه وسماع الموتى قرع نعال دافنيهم وكلامه ﷺ لأهل القليب وقوله: ما أنتم بأسمع منهم وسؤال الملكين الميت وإقعادهما إياه وجوابه لهما والفسح له في قبره وعرض مقعده عليه بالغداة والعشي، وسبق معظم شرح هذا في كتاب الصلاة وكتاب الجنائز والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا خلافاً للخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة نفوا ذلك.

النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٦٥، ١٦٦) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء، ١ ـ باب الحث علىٰ ذكر الله تعالىٰ=

أن يرى كلما نظر إليه بعين الطهارة والفضل من حيث ركب فيه وقذف في قلبه من الحياء والأمانة والصيانة والصدق[١].

قال النبي ﷺ: «**أحسنوا ظنونكم بإخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب (وإثاء)[٢] الطبع**»[٣].

وقال أبي بن كعب: إذا رأيتم أحد إخوانكم في خصلة تستنكرونها منه فتأولوها بسبعين تأويلًا، فإن اطمأنت قلوبكم على أحدها وإلا فلوموا أنفسكم حيث لم تعذروه وأن تقدروا في خصلة يسرها عليه سبعين تأويلًا فأنتم أولى بالإنكار علىٰ أنفسكم منه، أوحى الله تبارك وتعالى إلىٰ داود عليه السلام: ذَكِّر عبادي من آلائي ونعمائي فإنهم لم يروا مني إلَّا الحسن الجميل لئلا يظنوا في الباقي إلَّا مثل الذي سلف مني إليهم[٤]، وحسن الظن يدعو إلىٰ

= عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني . . .**» الحديث.

قال النووي: قوله ﷺ: «**أنا عند ظن عبدي بي**» قال القاضي: قيل معناه بالغفران له إذا استغفر والقبول إذا تاب والإجابة إذا دعا والكفاية إذا طلب الكفاية، وقيل المراد به الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح.

شرح مسلم للنووي (١٧/ ٣) طبعة دار الكتب العلمية

(١) كان يحيي عليه السلام إذا لقى عيسى عليه السلام عبس وإذا لقى عيسى عليه السلام يحيى عليه السلام ابتسم، فقال له عيسى عليه السلام تلقاني عبساً كأنك آيس، فقال له يحيى عليه السلام تلقاني ضاحكاً كأنك آمن، فأوحى الله إليهما أن أحبكما إليَّ أحسنكما ظنا بي.

وقال الحسن بن محمد رحمه الله: "يحاسب الله سبحانه وتعالىٰ المسلمين يوم القيامة بالمنة والفضل والكفار بالحجة والعدل" وروى الإمام العالم العلامة أبو الليث السمرقندي رحمه الله: أربع آيات في سورة النساء خير للمسلمين من الدنيا جميعاً: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] وقوله عز وجل: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤] وقوله عز وجل: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ وقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾.

بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ١٥/ ٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) كذا بالأصل.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) سمع أعرابي ابن عباس يقرأ: ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾.

فقال الأعرابي: والله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها فقال ابن عباس رضي الله عنهما: خذوها من غير فقيه وقال أبو نعيم رحمه الله: رأيت أعرابيًا وقد أقبل بجنازة فقال: بخ بخ طوبى لك فقلت: يا أعرابي أتعرفه قال: لا ولكن علمت أنه قدم علىٰ أرحم الراحمين . وقال عطاء الخراساني رحمه الله: أرحم ما يكون الرب بعبده إذا أدخل قبره وتفرق الناس عنه وأهله وأنشد بعضهم فقال: =

حسن العبادة والمغرور يتمادى في المعصية ويتمنى المغفرة.

ولا يكون أحسن الظن في خلق الله إلَّا المطيع له يرجو ثوابه ويخاف عقابه.

قال رسول الله ﷺ يحكى عن ربه: «**أنا عند حسن ظن عبدي**[١] **بي يا محمد**» فمن زاغ عن وفاء حقيقة موهبات ظنه بربه فقد أعظم الحجة على نفسه وكان من المخدوعين في أسر هواه.

الباب السادس والثمانون
في التفويض[٢]

قال الصادق رضي الله عنه: المفوض أمره إلىٰ الله في راحة الأبد والعيش الدائم الرغد، والمفوض حقًا هو العالي عن كل همة دون الله تعالىٰ.

كما قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: رضيت بما قسم الله لي وفوضت أمري إلىٰ خالقي كما أحسن الله مما مضى، كذلك يحسن فيما بقى وقال الله ﷻ في مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾[٣].

= إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ... على نعم ما كنت قط لها أهلاً
أزيدك تقصيراً تزدني تفضلاً ... كأنك بالتقصير استوجب الفضلا

وقال آخر:

مني الجفا ومنك الصفح يأملي ... فامنن علىٰ عبدك الجاني فلم يعدي
إن كان قد فرطت منه قبائحه ... فعذره شافع في يومه وغد

بستان الفقراء من تحقيقنا (٢/ ٣٨٦) طبعة دار الكتب العلمية

(١) من حديث طويل أخرجه مسلم أوله «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني** . . . » الحديث. انظر مسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء، باب الحث علىٰ ذكر الله.

(٢) قال تعالىٰ حاكياً عن مؤمن آل فرعون: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤].
قال ابن كثير: قوله ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٤٤] أي سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [غافر: ٤٤] أي وأتوكل علىٰ الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] أي: هو بصير بهم تعالىٰ وتقدس فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الإضلال وله الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ.

تفسير ابن كثير (٤/ ٨١)

(٣) سورة غافر (٤٤، ٤٥). =

والتفويض خمسة أحرف لكل حرف منها حكم، فمن أتى بأحكامه فقد أتى به.

التاء من تركه التدبير في الدنيا.

والفاء من فناء كل همة غير الله.

والواو من وفاء العهد وتصديق الوعد.

والياء اليأس من نفسك واليقين بربك.

والضاد الضمير الصافي لله والضرورة إليه.

والمفوض لا يصبح إلَّا سالمًا من جميع الآفات ولا يمسي معافًا بدينه.

الباب السابع والثمانون
في اليقين[1]

قال الصادق رضي الله عنه: اليقين يوصل العبد إلىٰ كل حال سني ومقام عجيب كذلك أخبر رسول الله ﷺ عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى عليه السلام كان يمشي علىٰ

= استدلوا بها علىٰ عذاب القبر في البرزخ وقد أجمع بسنده عن عائشة أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها إليها شيئاً من المعروف إلَّا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر قال ﷺ: «**كذبت يهودية وهم علىٰ الله أكذب لا عذاب دون يوم القيامة**» ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته «**القبر كقطع الليل المظلم أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق**» وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وروى أحمد ومسلم ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت سألتها امرأة يهودية فأعطها فقالت لها وقاك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك فلما رأت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت له فقال ﷺ: «**لا**» قالت عائشة رضي الله عنها ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك: «**وإنه أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم**» وهذا أيضًا علىٰ شرطهما.

تفسير ابن كثير (٤/ ٨١)

(١) حقيقته الاعتماد علىٰ الله لشهوده تفرد بالتدبير والتأثير وأن لا حول ولا قوة إلَّا به ويترتب عليه التفويض دون الإضاعة وخلع الأسباب دون إسقاطها والثقة بالله دون الغرة به عجزاً وحمقاً والسكون إلى الله دون مساكنة السبب ومناولة الرضا بالقدر والاتصاف بذلك كله حالاً وذوقاً ودعاء الاستخارة جامع لوظائف المتوكل الثلاث وهي: العلم والحال والعمل فليحتفل به.

حدائق الأولياء (١/ ١٠٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

الماء[١].

فقال ﷺ: «**لو زاد يقينه لمشى علىٰ الهواء**».

فدل بهذا علىٰ أن الأنبياء مع جلالة محلهم من الله كانت يتفاضل علىٰ حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية بزيادة اليقين علىٰ الأبد والمؤمنون أيضًا متفاوتون في قوة اليقين وضعفه.

فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة إلَّا بالله[٢].

والاستقامة علىٰ أمر الله وعبادته ظاهرًا وباطنًا قد استوت عنده حالتا العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم، والعز والذل، لأنه يرى كلها من عين واحد.

ومن ضعف يقينه تعلق بالأسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، والسعي في أمر الدنيا وجمعها وإمساكها.

---

(١) عن بشر الحافي رحمه الله أنه جاء نفر فسلموا عليه فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فقال شكر الله لكم فقالوا: نخرج معك لنحج في صحبتك فأبى فألحوا عليه فقال: إذا عزمتم علىٰ ذلك فيكون بثلاثة شروط قالوا وما تلك الشروط قال: لا نحمل معنا شيئاً ولا نسأل أحداً شيئاً وإن أعطينا لا نقبل قالوا: لا نستطيع ذلك فقال: كأنكم خرجتم من بيوتكم متوكلين علىٰ مزاود الحجاج لا متوكلين علىٰ الله دعوني وحالي وروحوا إلىٰ أشغالكم ثم قال: أحسن الفقر ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ قبل قدر الكفاية فكفايته صدقة وفقير لا يسأل وإن أعطي قبل فذاك من الذين يوضع لهم موائد في حضرة القدس . قيل: دخل جماعة على أبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالىٰ فقالوا له: نطلب أرزاقنا فقال: إن علمتم أين هي فاطلبوها فقالوا: نسأل الله ذلك فقال: إن علمتم أنه ينساكم فاذكروه فقالوا ندخل بيوتنا ونتوكل فقال: التجربة مع الله شك قالوا: وما الحيلة . قال: ترك الحيلة.

حدائق الأولياء (١/ ١١٤، ١١٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري: «**ألا أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة؟**».

فقلت بلى يا رسول الله، قال: «**قل لا حول ولا قوة إلَّا بالله**» أخرجه مسلم (٤٤) كتاب الذكر والدعاء.

قال النووي: قوله ﷺ «**لا حول ولا قوة إلَّا بالله كنز من كنوز الجنة**» قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلىٰ الله تعالىٰ واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم قال أهل اللغة: الحول الحركة والحيلة أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلَّا بمشيئة الله تعالىٰ وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلَّا بالله وقيل: لا حول عن معصية الله إلَّا بعصمته ولا قوة علىٰ طاعته إلَّا بمعونته وحكى هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه وكله متقارب .

شرح مسلم للنووي (١٧/ ٢٢) طبعة دار الكتب العلمية

مقرًا باللسان أنه لا مانع ولا معطي إلَّا الله.

وأن العبد لا يصيب إلَّا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق، وينكر ذلك بفعله وقلبه.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[١].

إنما عطف تعالىٰ بعباده حيث أذن لهم بالكسب والحركات في باب العيش ما لم يتعد حدود الله ولم يتركوا فرائضه وسنن نبيه في جميع حركاتهم ولا يعدلوا عن مهجة التوكل[٢] ولا يقفوا في ميدان الحرص.

فأما إذا نسوا ذلك وارتبطوا بخلاف ما حد لهم، كانوا من الهالكين.

الذين ليس معهم في الحاصل إلَّا الدعاوى الكاذبة وكل مكتسب لا يكون متوكلاً فلا يستجلب من كسبه إلىٰ نفسه إلَّا حرامًا وشبهة وعلامته أن يؤثر ما يحصل من كسبه.

ويجوع وينفق في سبيل الدنيا ولا يمسك.

---

(١) سورة آل عمران (١٦٧).

يعني أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته ومنه قولهم هذا ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ﴾ فإنهم يتحققون أن جنداً من المشركين قد جاؤوا من بلاد بعيدة يتحرقون علىٰ المسلمين بسبب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر وهم أضعاف المسلمين أنه كائن بينهم قتال لا محالة ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧] ثم قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٨] أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل.

تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٥)

(٢) حكي عن الشيخ أبي يعقوب البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: جعت مرة في الجرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً فحدثتني نفسي أن أخرج إلىٰ الوادي لعلي أجد شيئاً يسكن به ضعفي فخرجت فإذا سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت منها في قلبي وحشة، وكأن قائلا يقول لي: جعت عشرة أيام فآخره يكون حظك سلجمة مطروحة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فإذا برجل جاء فجلس بين يدي فوضع قمطرة وقال: هذا لك فقلت: كيف خصصتني بها . قال: اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام فأشرفت السفينة علىٰ الغرق فنذر كل واحد منا نذراً إن خلصنا الله أن نتصدق بها أول من يقع بصري عليه من المجاورين وأنت أول من لقيته قلت: افتحها فإذا فيها كعك من سميد مصر وقلب لوز وسكر فقبضيت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت: رد الباقي إلىٰ صبيانك هدية مني إليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي: رزقك يسير إليك منذ عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي.

حدائق الأولياء (١/ ١١٦، ١١٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

والمأذون بالكسب من كان بنفسه مكتسبًا وبقلبه متوكلاً[١].

وإن كثر المال عنده قام فيه كالأمين عالمًا بأن يكون ذلك المال وفوته سواء، وإن أمسك أمسك لله، وأن أنفق أنفق فيما أمره الله ﷻ.

ويكون منعها وإعطائها لله تعالىٰ.

الباب الثامن والثمانون
في الخوف والرجاء

قال الصادق رضي الله عنه: الخوف رقيب القلب والرجاء شفيع النفس[٢].

ومن كان بالله عارفًا كان من الله خائفًا وإليه راجيًا.

وهما جناحا الإيمان يطير بهما العبد المحقق إلىٰ رضوان الله.

وعينا عقله يبصر بهما إلىٰ وعد الله تعالىٰ ووعيده.

والخوف طالع عدل الله باتقاء وعيده.

---

(١) ذكر في كتاب العقائق: إن ملكين نزلا من السماء أحدهما إلىٰ المشرق والآخر إلىٰ المغرب ثم رجعا آخر النهار فالتقيا في السماء فقال أحدهما لصاحبه: أين كنت قال: في المشرق أرسلني ربي إلىٰ كنز رجل فخسفت به الأرض فقال الآخر: وأنا أرسلني ربي بأمر عجيب أمرني أن آخذ الكنز من قرار الأرض فأجعله في دار فقير بالمغرب ليس له درهم ولا دينار فسمعهما رضوان بواب الجنة فقال: قصتي أعجب من ذلك إن الله تعالىٰ أمرني أن أذهب إلىٰ دار الفقير وأعد الكنز كم هو درهم ودينار ففعلت ثم أمرني أن أبني قصوراً في الجنة بعدد كل درهم ودينار لصاحب الكنز الفقير فقال الملكان: ربنا اطلعنا علىٰ هذه الكرامة التي أكرمت بها صاحب هذا الكنز والفقير . فقال الله سبحانه وتعالىٰ: لما خسفت بالكنز قال صاحبه: الحمد لله الذي جعلني راضياً بقدره، وأما الفقير فلم يفرح بالكنز بل قال: أنا في خزانة من لم يحوجني إلىٰ غيره.
بستان الفقراء (٢/ ١٢٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قالت جارية عمر بن عبد العزيز: رأيت الصراط في المنام علىٰ متن جهنم، ثم جيء بعبد الملك بن مروان فمشى عليه قليلاً ثم هوى ثم أقبل عمر بن عبد العزيز فوقع مغشياً عليه فجعلت الجارية تنادي في أذنه: ألا وإني رأيت قد نجوت وتقدم شيء من كراماته في باب فضل العدل . قال ابن الجوزي رحمه الله في روح الأرواح: قال ابن عباس رضي الله عنهما: بلغني أن أخوين تذاكرا فكل واحد ذكر ذنبه لأخيه فقال أحدهما: في طريق فرأيت سنبلة وكان علىٰ يمين الطريق ويساره زرع فجعلتها في أحد الزرعين ولعلها كانت من الزرع الآخر فأخاف أن يسألني ربي في إلقائها في غير موضعها . وقال الآخر: أنا صليت لله كثيراً فما أدري هل قمت علىٰ رجلي اليمنى أكثر من اليسرى فأخاف أن يسألني عن ذلك فسمعهما أبوهما فقال: اللهم إن كانا صادقين فاقبض أرواحهما حتى لا يعصيانك فقبض أرواحهما.
بستان الفقراء (٢/ ٣٤٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

والرجاء داعي فضل الله وهو يحيي القلب والخوف يميت النفس.

قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن بين خوفين، خوف ما مضى وخوف ما بقي**»[١] وبموت النفس يكون حياة القلب وبحياة القلب البلوغ إلىٰ الاستقامة ومن عبد الله تعالىٰ علىٰ ميزان الخوف والرجاء لا يضل ويصل إلىٰ مأموله.

وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم بما يختم صحيفته ولا له عمل يتوسل به[٢] استحقاقًا ولا قدرة له علىٰ شيء ولا مفر.

وكيف لا يرجو وهو يعرف نفسه بالعجز وهو غريق في بحر آلاء الله ونعمائه من حيث لا تحصى ولا تعد.

والمحب يعبد ربه علىٰ الرجاء بمشاهدة أحواله بعين سهر.

والزاهد يعبد علىٰ الخوف[٣].

قال أويس لهرم بن حيان: قد عمل الناس علىٰ الرجاء.

فقال: بل تعمل على الخوف.

والخوف خوفان: ثابت ومعارض.

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (٨/ ٨٦) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٠٠).

(٢) انظر لحديث الغار وقول الثلاثة: هيا ندعو الله بصالح أعمالنا وهو أحد الصور للدعاء حيث أن التوسل في الدعاء بثلاث أمور:

١ ـ التوسل بأسماء الله وصفاته كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٢ ـ التوسل بالعمل الصالح كما في حديث أصحاب الغار وتوسلهم بصالح الأعمال.

٣ ـ التوسل بدعاء الصالحين مما ورد عنه ﷺ أنه قال لعمر بن الخطاب لما أراد العمرة «**لا تنسانا من دعائك يا أخي**».

(٣) حكي أنه قيل للحسن البصري رحمه الله يا أبا سعيد هنا رجل لم نره قط إلَّا جالساً وحده خلف سارية، فمضى إليه الحسن وقال: يا عبد الله أراك قد أحببت العزلة، فما يمنعك من مجالسة الناس؟ قال: أمر شغلني عن الناس. قال: فما يمنعك تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن البصري تجلس إليه؟ قال: أمر شغلني عن الناس وعن الحسن البصري فقال له الحسن: ما ذاك الشغل يرحمك الله؟ قال: أتى الصبح بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بالشكر علىٰ النعمة والاستغفار من الذنب. فقال له الحسن البصري: أنت يا عبد الله أفقه من الحسن فالزم ما أنت عليه.

حدائق الأولياء (٢/ ٢٥٤، ٢٥٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

فالثابت من الخوف يورث الرجاء، والمعارض منه يورث خوفًا ثابتًا[١].

والرجاء رجاءان منه عاكف وباد.

فالعاكف منه يورث خوفًا ثابتًا يقوي نسبه المحبة، والبادي منه يصح أمل العجز والتقصير والحياة.

الباب التاسع والثمانون
في الرضا

قال الصادق رضي الله عنه: صفة الرضاء أن يرضي المحبوب والمكروه والرضاء شعاع نور المعرفة، والراضي فان عن جميع اختياره والراضي حقيقة هو المرضي عنه[٢].

---

(١) عن سليم بن منصور قال: رأيت أبي في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إن الرب تبارك وتعالى قربني وأدناني وقال: يا شيخ السوء تدري لم غفرت لك؟ قلت: لا . قال: إنك جلست يوماً مجلساً فبكيتهم فبكى فيهم عبد من عبادي لم يبك من خشيتي قط فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت.

قال منصور بن عمار . رحمه الله تعالىٰ: رأيت في بعض الأيام شابا يصلي صلاة الخائفين فقلت في نفسي: هذا الشاب لعله ولي من أولياء الله تعالىٰ، فوقفت حتى فرغ من صلاته ثم سلمت عليه فرد علي السلام . وقلت: ألم تعلم أن في جهنم وادياً يقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ فشهق شهقة فخر مغشيا عليه . فلما أفاق قال: زدني قلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: الآية ٦] قال: فخر ميتا فكشفت عن ثيابه، فإذا على صدره مكتوب ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: فلما كان الليلة الثالثة رأيته في المنام جالساً علىٰ سرير وعلىٰ رأسه تاج، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأعطاني ثواب أهل بدر، وزادني . فقلت له: لم؟ قال: لأنهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بكلام الجبار.

حدائق الأولياء (٢/ ٢٥١، ٢٥٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) عن بعض الصالحين قال: إن الله تعالى لما أظهر الخلق في القدم أظهر لهم الصنائع ثم خيرهم فيها، فاختار كل إنسان صنعته فلما أبداهم إلى الوجود أجرى على لسان كل واحد ما اختار لنفسه وانفردت طائفة لم تخير شيئاً فقال لها: اختاري، فقالت: ما أعجبنا شيء رأيناه فنختاره، فأظهر لهم مقامات العبادة، فقالت: قد اخترنا خدمتك يا مولانا . فقال: وعزتي وجلالي لأشفعنكم غداً فيمن عرفكم وخدمكم . وفيهم يقال:

تشاغل قوم بدنياهم ... وقوم تخلوا لمولاهم

فالذمهم باب مرضاته ... وعن سائر الخلق أغناهم =

والرضا اسم يجتمع فيه معاني العبودية وتفسير الرضا سرور القلب.

سمعت أبي محمد الباقر رضي الله عنه يقول: تعلق القلب بالموجود شرك، وبالمفقود كفر وهما جناحان من سُنَّة.

وأعجب بمن يدعي العبودية لله كيف ينازعه في مقدوراته، حاشا الراضين العارفين عن ذلك.

الباب التسعون
في البلاء[١]

قال الصادق رضي الله عنه: البلاء زين للمؤمن وكرامة لمن عقل.

لأن في مباشرته الصبر عليه، والثبات عنده تصحيح نسبه الإيمان.

قال النبي ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء والمؤمنون الأمثل فالأمثل**»[٢].

ومن ذاق طعم البلاء تحت سرّ حفظ الله له تلذذ به أكثر من تلذذه بالنعمة واشتاق إليه إذا فقده.

لأن تحت ميزان البلاء والمحنه أنوار النعمة وتحت أنوار النعمة ميزان البلاء والمحنة[٣]

= وعن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول خطب رجل امرأة من أهل الموصل يقال لها: (الموق). فقالت: للرسول قل له: ما يسرني أنك لي عبد وجميع ما تملكه لي، وإن شغلتني عن الله عز وجل طرفة عين.

حدائق الأولياء (٢/ ٢٧٦، ٢٧٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) روى مسلم في صحيحه [٤٥ ـ (٢٥٧١)] كتاب البر والصلة، ١٤ ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، عن عبد الله قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدي. فقلت: يا رسول الله: إنك لتوعك وعكاً شديداً فقال رسول الله ﷺ: «**أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» قال فقلت: ذلك، أن لك أجرين. فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلَّا حط الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها**».

(٢) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٤٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٨) والزبيدي في الاتحاف (٨/ ١٢١، ٥٥٩، ٥٦٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ١١٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٢٢٢، ٥/ ٢٣٧).

(٣) من حديث مسلم (٤٦) كتاب البر والصلة وفيه عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلَّا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة**».

قال النووي: في هذه الأحاديث بشاره عظيمة للمسلمين فإنه قلما ينفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور، وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها وإن قلت مشقتها وفيه=

وقد ينجو من البلاء ويهلك في النعمة كثير وما أثنى الله علىٰ عبد من عباده من لدن آدم عليه السلام إلىٰ محمد ﷺ إلَّا بعد ابتلائه ووفاء حق العبودية فيه فكرامات الله في الحقيقة نهايات بداياتها البلاء، وبدايات نهاياتها البلاء.

ومن خرج من سكه البلوى جعل سراج المؤمنين ومؤنس المقربين ودليل القاصدين ولا خير في عبد شكى من محنة تقدمها آلاف نعمة، واتبعها آلاف راحة.

ومن لا يقضي حق الصبر في البلاء حرم قضاء الشكر في النعماء[١].

كذلك من لا يؤدي حق الشكر في النعماء يحرم عن قضاء الصبر في البلاء.

ومن حرمهما فهو من المطرودين.

وقال أيوب عليه السلام[٢] في دعائه: اللهم قد أتى علي سبعون في الراحة والرخاء حتى تأتي علي سبعون في البلاء.

= رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء وحكى القاضي عن بعضهم أنها تكفر الخطايا فقط ولا ترفع درجة ولا تكتب حسنة، قال: وروي نحوه عن ابن مسعود، قال الوجع لا يكتب به أجر لكن تكفر به الخطايا فقط واعتمد علىٰ الأحاديث التي فيها تكفير الخطايا ولم تبلغه الأحاديث التي ذكرها مسلم المصرحة برفع الدرجات وكتب الحسنات . قال العلماء: والحكمة في كون الأنبياء أشد بلاء، ثم الأمثل فالأمثل أنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالىٰ ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر ويظهر صبرهم ورضاهم.

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٠٥) طبعة دار الكتب العلمية

(١) قوله ﷺ في حديث مسلم (٥٢) كتاب البر والصلة «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلَّا كفر الله به من سيئاته**».

قال النووي: الوصب الوجع اللازم ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصَّافات: ٩] أي لازم ثابت والنصب التعب وقد نصب ينصب نصباً كفرح يفرح فرحاً ونصبه غيره وأنصبه لغتان والسقم بضم السين وإسكان القاف وفتحهما لغتان وكذلك الحزن والحزن فيه اللغتان ويهمه، قال القاضي: هو بضم الياء وفتح الهاء علىٰ ما لم يسم فاعله وضبطه غيره يهمه بفتح الياء وضم الهاء أي يغمه وكلاهما صحيح.

النووي في شرح مسلم (١٦/١٠٦) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال ابن إسحاق: كان رجلاً من الروم وهو أيوب بن موص بن رزاح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وغير ذلك في نسبه.

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه، من الأنعام والعبيد والمواشي والأراض المتسعة بأرض الثنية من أرض حوران، وحكى ابن عساكر: أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير.

فسلب منه ذلك جميعه، وابتلي في جسده بأنواع من البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، =

وقال وهب بن منبه: البلاء للمؤمن كالشكال للدابة والعقال للإبل.

وقال علي ﷺ: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ورأس الصبر البلاء وما يعقلها إلَّا العاملون.

الباب الواحد والتسعون
في الصبر(١)

قال الصادق ﷺ: الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة والصبر يدعيه كل أحد، وما يثبت عنده إلَّا المخبتون.

والجزع ينكره كل أحد وهو أبين علىٰ المنافقين لأن نزول المحنة والمصيبة مخبر عن الصادق والكاذب.

وتفسير الصبر ما يستمر مذاقه، وما كان عن اضطراب لا يسمى صبرًا.

وتفسير الجزع اضطراب القلب وتحزن الشخص وتغير اللون وتغير الحال.

= يذكر الله ﷻ بهما . وهو في ذلك كله صابر محتسب، ذاكرًا الله ﷻ في ليله ونهاره وصباحه ومسائه وطال مرضه حتى عافه الجليس وأوحش منه الأنيس وأخرج من بلده وألقي علىٰ مزبلة خارجها وانقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها . فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه وتعينه علىٰ قضاء حاجته وتقوم بمصلحته . وضعف حالها وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بأوده ﷺ وأرضاها وهي صابرة معه علىٰ ما حل بهما من فراق المال والولد وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخدمة الناس، بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة . فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قصص الأنبياء (٢٦٩)

(١) الصبر هو مسك النفس وحبسها عما يكره الرب تعالىٰ وتنشأ من تعظيم أمره وإيثار رضوانه والحذر من مقته . ويترتب عليهن الثبات إن شاء الله إلىٰ الممات.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] والصبر شامل والمصابرة فرد من أفراده. والعطف للعناية، لينال بها في الجهاد إلىٰ أشرف غاية . وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣] أي المهمات منها . وقال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] فالالتجاء بهما عند حلول البليات يجزل الصلات. وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] فيعز المرء إذ ذاك أو يهان فبالاختبار تظهر الرجال.

حدائق الأولياء (١/ ٧٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

وكل نازلة خلت أوائلها من الإخبات والإنابة والتضرع إلىٰ الله فصاحبها جزوع غير صابر[١] والصبر ما أوله مر وآخره حلو لقوم، ولقوم مر أوله وآخره.

فمن دخله من أواخره فقد دخل، ومن دخله من أوائله فقد خرج.

ومن عرف قدر الصبر لا يصبر عما منه الصبر قال الله تعالىٰ في قصه موسى بن عمران عليه السلام والخضر: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨][٢].

فمن صبر كرهًا ولم يشك إلىٰ الخلق أو لم يجزع بهتك ستره فهو من العام ونصيبه ما قال الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

أي بالجنة والمغفرة.

ومن استقبل البلاء بالرحب وصبر علىٰ سكينة ووقار فهو من الخاص ونصيبه قال

---

(١) روى البخاري في صحيحه (١٢٨٣) كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ومسلم في صحيحه [١٥] كتاب الجنائز، باب في الصبر علىٰ المصيبة عند الصدمة الأولى، عن أنس: «**مر ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، وفي لفظ علي صبي لها، فقال: «اتقي الله واصبري»** فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمثل مصيبتي ولم تعرفه فقيل لها: إنه رسول الله فأتت بابه فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» متفق عليه . قال النووي: معناه الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه وأصل الصدم الضرب في شيء صلب ثم استعمل مجازًا في كل مكروه حصل بغتة.
حدائق الأولياء من تحقيقنا (١/ ٧٤) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) سورة الكهف (٦٨).
يخبر تعالىٰ عن قول موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الخضر الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الخضر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٦] سؤال بتطلف لا علىٰ وجه الإلزام والإجبار وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم وقوله: «**أتبعك**» أي أصحبك وأرافقك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] أي مما علمك الله شيئا أسترشد به في أمري من علم نافع وعمل صالح فعندها "قال" الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] أي إنك لا تقدر علىٰ مصاحبتي لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك لأني علىٰ علم من علم الله ما علمك الله وأنت علىٰ علم من علم ما علمنيه الله فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه وأنت لا تقدر علىٰ صحبتي ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨] فأنا أعرف أنك ستنكر علي ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلعت علىٰ حكمته ومصلحته الباطنة التي اطلعت أنا عليها دونك "قال" أي موسى ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩] أي علىٰ ما أرى من أمورك.
تفسير ابن كثير (٣/ ٩٩)

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣] (١).

الباب الثاني والتسعون

في الحزن

قال الصادق رضي الله عنه: الحزن من شعار العارفين لكثرة مواردات الغيب علىٰ سرائرهم وطول مباهاتهم تحت ستر الكبرياء والمحزون ظاهره قبض وباطنه بسط.

يعيش مع الخلق عيش المرضى، ومع الله عيش القربى، والمحزون غير المتفكر.

لأن المتفكر متكلف، والمحزون مطبوع والحزن يبدو من الباطن، والتفكر يبدو من رؤية المحدثات، وبينهما فرق.

قال الله تعالىٰ في قصه يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

فبسبب ما تحت الحزن علم خص به من الله دون العالمين.

---

(١) سورة البقرة (١٥٣) وغيرها.

لما أمر الله تعالىٰ برفع البلاء عن أيوب عليه السلام قال في قصص الأنبياء نقلاً عن ابن جرير: قال: وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلىٰ أيوب في مكانه: أن ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته فتلقته تنظر وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلي فوالله القدير علىٰ ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحًا قال: فإني أنا هو قال: وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما علىٰ أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر ألشعير الورق حتى فاض. هذا لفظ ابن جرير وهكذا رواه بتمامه ابن حبان في صحيحه عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن حرملة عن ابن وهب به وهذا غريب رفعه جدًا والأشبه أن يكون موقوفًا.

قصص الأنبياء (ص٢٧١)

(٢) سورة يوسف (٨٦).

لما قال ليعقوب بنوه علىٰ سبيل الرفق به والشفقه عليه ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي لا تفارق تذكر يوسف ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يُوسُف: ٨٥] أي ضعيف القوة ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يُوسُف: ٨٥] يقولون إن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي أجابهم عما قالوا بقوله ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ﴾ [يُوسُف: ٨٦] أي همي وما أنا فيه ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] وحده ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٨٦] أي أرجو منه كل خير وعن ابن عباس ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٨٦] يعني رؤيا يوسف أنها صدق وأن الله لا بد أن يظهرها وقال العوفي عنه في الآية أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأني سوف أسجد له . وقال ابن أبي حاتم حدثنا=

قيل لربيع بن خيثم: ما لك محزون.

قال: لأني مطلوب.

ويمين الحزن الانكسار وشماله الصمت والحزن يختص به العارفون لله، والتفكر يشترك فيه الخاص والعام.

ولو حجب الحزن عن قلوب العارفين ساعة لاستغاثوا، ولو وضع في قلوب غيرهم لاستنكروه فالحزن أول، ثانيه الأمن والبشارة.

والتفكر ثان أوله تصحيح الإيمان بالله والافتقار إلىٰ الله ﷻ بطلب النجاة.

والحزين متفكر والمتفكر معتبر، ولكل واحد منهما حال وعلم وطريق وحلم وشرف.

الباب الثالث والتسعون
في الحياء

قال الصادق رضي الله عنه: الحياء نور جوهره صدر الإيمان وتفسيره التثبت عند كل شيء ينكره التوحيد والمعرفة.

قال النبي ﷺ[1]: «**الحياء من الإيمان**».

= الحسن بن عرفة حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية عن حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**كان ليعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخ له فقال له ذات يوم ما الذي أذهب بصرك وقوس ظهرك قال أما الذي أذهب بصري فالبكاء علىٰ يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين**» إلىٰ آخره وهذا حديث غريب فيه نكارة.

تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠١)

(١) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه [٢٤] كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان ورقم (٦١١٨) كتاب الأدب، باب الحياء، ومسلم في صحيحه (٥٩) كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان.

وقال النووي: قال الواحدي رحمه الله: قال أهل اللغة الاستحياء من الحياة واستحيا الرجل من قوة الحياة فيه لشدة علمه بمواقع العيب قال: فالحياء من قوة الحس ولطفه وقرة الحياة وروينا في رسالة الإمام الأستاذ أبي القاسم القشيري عند السيد الجليل أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه قال: الحياء رؤية الآلاء أي النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء وقال القاضي عياض وغيره من الشراح: إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر وقد يكون غريزة ولكن استعماله علىٰ قانون الشرع يحتاج إلىٰ اكتساب ونية وعلم فهو من الإيمان بهذا.

شرح مسلم للنووي (٢/ ٦) طبعة دار الكتب العلمية

فيقبل الحياء بالإيمان، والإيمان بالحياء وصاحب الحياء خير كله، ومن حرم الحياء فهو شر كله وإن تعبد وتورع.

وإن خطوة يتخطاه في ساحات هيبة الله بالحياء منه إليه خير له من عبادة سبعين سنة.

والوقاحة صدر النفاق والشقاق والكفر قال رسول الله ﷺ: «**إذا لم تستح فاعمل ما شئت**»(١).

أي إذا فارقت الحياء فكل ما عملت من خير وشر فأنت به معاقب، وقوه الحياء من الحزن والخوف.

والحياء مسكن الخشية، والحياء أوله الهيبة وآخره الرؤية(٢).

وصاحب الحياء مشتغل بشأنه معتزل من الناس مزدجر عما هم فيه.

ولو تركوا صاحب الحياء ما جالس أحدًا.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا ألهاه عن محاسنه وجعل مساويه بين عينيه، وكرهه مجالسة المعرضين عن ذكر الله**»(٣).

---

(١) بلفظ «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**».
أخرجه: البخاري في صحيحه (٣٤٨٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢١، ٥/ ٣٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٧٢)، والشجري في أماليه (٢/ ١٩٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٣٠) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٧٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ١١٥).

(٢) روى مسلم في صحيحه (٦٧) كتاب الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ، عن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه».
قال النووي: العذراء البكر لأن عذرتها باقية وهي جلدة البكارة والخدر ستر يجعل للبكر في جنب البيت ومعنى عرفنا الكراهة في وجهه أي لا يتكلم به لحيائه بل يتغير وجهه فنفهم نحن كراهته وفيه فضيلة الحياء وهو من شعب الإيمان وهو خير كله ولا يأتي إلَّا بخير وقد سبق هذا كله في كتاب الإيمان.
قوله ﷺ: «**إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً**» فيه الحث علىٰ حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه وهو صفة أنبياء الله تعالىٰ وأوليائه قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبشر والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتمالهم والحلم عنهم والصبر عليهم في المكاره وترك الكبر والاستطالة عليهم ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة.
شرح مسلم للنووي (١٥/ ٦٣، ٦٤) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) لم أقف عليه.

والحياء خمسه أنواع: حياء ذنب وحياء تقصير، وحياء كرامة، وحياء حب، وحياء هيبة.

ولكل واحد من ذلك أهل، ولأهله مرتبة علىٰ حده.

الباب الرابع والتسعون
في الدعوى

قال الصادق رضي الله عنه: الدعوى بالحقيقة للأنبياء والأئمة والصديقين.

وما المدعي بغير واجب فهو كإبليس اللعين[1] ادعى النسك، وهو علىٰ الحقيقة منازع لربه مخالف لأمره فمن ادعى أظهر الكذب.

والكاذب لا يكون أمينًا.

ومن ادعى فيما لا يحل له عليه فتح له أبواب البلوى.

والمدعي يطالب بالبينة[2] لا محالة.

---

(١) أول من حلف كذباً هو إبليس لعنه الله حلف لآدم وحواء قال تعالىٰ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١].
فأكلت حواء ثم زينت لآدم حتى أكل وظنا أن أحداً لا يتجاسر أن يحلف بالله كاذباً فعوقبا بعشرة أشياء.
الأول: عاتبهما الله تعالىٰ بقوله ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] والثاني: سقط لباس الجنة عنهما حين بدت لهما سوءاتهما. والثالث: سُلب النور عنهما. والرابع: أخرجهما من الجنة فقال الله تعالىٰ: «**أخرجوا آدم وحواء من جواري فنه لا يجاورني من عصاني**» فأهبط آدم إلىٰ سرنديب من الهند وحواء بجدة وإبليس بالأيلة وهي البصرة وقيل: نيسان والحية بأصبهان والطاووس ببابل. والخامس: الفرقة بين آدم وحواء مائة سنة حتى اجتمعا بالمزدلفة فلذلك سميت جمعاً وتعارفا بنعمان ولذلك سمي عرفة. والسادس: العداوة بين بني آدم وإبليس والحية. والسابع: النداء بالمعصية في كتاب الله تعالىٰ. روي أن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال: يا رب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه بروحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته. فأوحى الله تعالىٰ إليه: يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب للحبيب أمر شديد والثامن: تسلط إبليس علىٰ أولاده بالإغواء. والتاسع: جعل الله تعالىٰ الدنيا سجنًا للمؤمنين منهم. والعاشر: أتبعهم في طلب القوت. إلَّا أن آدم عليه الصلاة والسلام كان عند الله حبيباً فاجتباه وتاب عليه.
بستان الفقراء (٢/ ٤٠٩، ٤١٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) حديث: «**البينه علىٰ من ادعى**» أخرجه الترمذي في سننه (١٣٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى=

وهو مفلس، فيفتضح.

والصادق لا يقال له لِم، قال علي ﷺ: الصادق لا يراه أحد إلَّا هابه.

الباب الخامس والتسعون

في المعرفة

قال الصادق ﷺ: العارف شخصه مع الخلق وقلبه[1] مع الله لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقًا إليه.

والعارف أمين وقايع الله وكنز أسراره ومعدن أنواره ودليل رحمته علىٰ خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا.

ولا مؤنس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلَّا بالله ومع الله ومن الله.

= (٨/ ١٢٣)، (١٠/ ٢٥٢)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٣٩)، وابن حجر في المطالب العالية (١٢٣٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٦٩)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٩٥)، والألباني في إرواء الغليل (٦/ ٣٥٧)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٤٢).

بنحو هذا الحديث روى مسلم (١) كتاب الأقضية عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين علىٰ المدعى عليه**» قال النووي: هذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع ففيه أنه لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه بل يحتاج إلىٰ بينة أو تصديق المدعى عليه فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك وقد بين ﷺ الحكمة في كونه لا يعطى بمجرد دعواه لأنه لو كان أعطي بمجردها لادعى قوم دماء قوم وأموالهم واستبيح ولا يمكن المدعى عليه أن يصون ماله ودمه وأما المدعي فيمكنه صيانتهما بالبينة وفي هذا الحديث دلالة لمذهب الشافعي والجمهور من سلف الأمة وخلفها أن اليمين تتوجه علىٰ كل من ادعي عليه حق سواء كان بينه وبين المدعي اختلاطاً أم لا.

شرح مسلم للنووي (١٢/ ٤) طبعة دار الكتب العلمية

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٦٤٩١) كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، ومسلم في صحيحه (٢٠٧) كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب.

عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ بما يرويه عن ربه تبارك وتعالىٰ: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**» أخرجاه وهو من المبشرات.

حدائق الأولياء من تحقيقنا (١/ ٤٣) طبعة دار الكتب العلمية

فهو في رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله متزود، والمعرفة أصل وفرعه الإيمان.

الباب السادس والتسعون
في حب الله[١]

قال الصادق رضي الله عنه: حب الله إذا أضاع على سرّ عبده أخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله.

والمحب أخلص الناس سرًا لله وأصدقهم قولا وأوفاهم عهدًا وأزكاهم عملاً وأصفاهم ذكرًا وأعبدهم نفسًا[٢].

تتباهى الملائكة عند مناجاته وتفتخر برؤيته.

---

(١) إعلام الرجل من يحبه أنه يحبه وماذا يقول إذا أعلمه روى أبو داود في سننه (٥١٢٥) عن أنس أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمر رجل فقال يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له: «**أعلمته**»؟ قال: لا قال: «**أعلمه**» فلحقه فقال: إني أحبك في الله، فقال: «**أحبك الذي أحببتني له**» قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

روى البخاري في صحيحه (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ومسلم في صحيحه (٩١) كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة من حديث أبي هريرة: «**سبعة يظلهم الله في ظله**» . . . **وفيه «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»**.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادعى محبة الله وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» ولهذا قال ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحب إنما الشأن أن تُحَب . وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا عبد الله بن موسى بن عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**وهل الدين إلَّا الحب في الله والبغض في الله؟ قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾**» [آل عمران: ٣١]، وقال أبو زرعة بن عبد الأعلىٰ هذا منكر الحديث.

تفسير ابن كثير (١/٣٥٨)

وبه يعمر الله تعالىٰ بلاده وبكرامته يكرم الله عباده يعطيهم إذا سألوه بحقه ويدفع عنهم البلايا برحمته . ولو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا إلىٰ الله إلَّا بتراب قدميه.

وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: حب الله نار لا يمر علىٰ شيء إلَّا احترق، ونور الله[١] لا يطلع علىٰ شيء إلَّا أضاء، وسماء الله ما ظهر من سحاب تحته من شيء إلَّا غطاه وريح الله ما تهب في شيء إلَّا حركته وماء الله يحيي به كل شيء.

وأرض الله ينبت منها كل شيء.

فمن أحب الله أعطاه كل شيء من الملك، والملك.

قال النبي ﷺ: **«إذا أحب الله عبدًا[٢] من أمتي قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكان عرشه محبته ليحبوه»**[٣].

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٩٣ ـ (١٧٩)] كتاب الإيمان، ٧٩ ـ باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، عن أبي موسى.

وفيه **«حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**.

قال النووي: فالسبحات بضم السين والباء ورفع التاء في آخره.

وهي جمع سبحة قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه وأما الحجاب فأصله في اللغة المنع والستر وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالىٰ منزه عن الجسم والحد والمراد هنا المانع من رؤيته وسمي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان عن الإدراك في العادة لشعاعهما والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالىٰ محيط بجميع الكائنات ولفظة من لبيان الجنس لا للتبعيض والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته والله أعلم.

النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢، ١٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال النووي: قال العلماء: محبة الله تعالىٰ لعبده هي إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته وبغضه إرادة عقابه أو شقاوته ونحوه وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين: أحدهما: استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم.

والثاني: أن محبتهم علىٰ ظاهرها المعروف من المخلوقين وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلىٰ لقائه وسبب حبهم إياه كونه مطيعاً لله تعالىٰ محبوباً له معنى يوضع له القبول في الأرض أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه، وقد جاء في رواية: فتوضع له المحبة.

شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٥١) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٧٧) وذكره الهندي في الكنز (٣٠٧٥٩) . وهو أوسع من ذلك وبلفظ: **«إن الله إذا أحب عبداً دعا يا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه قال: فيحبه جبريل»** . . . الحديث بطوله.

أخرجه: مسلم في صحيحه (١٥٧) كتاب البر والصلة، ٤٨ ـ باب إذا أحب الله عبداً حببه إلىٰ عباده.

فذلك المحب حقًا طوبى له، ثم طوبى له وله عند الله شفاعة يوم القيامة.

الباب السابع والتسعون
في الحب في الله[١]

قال الصادق رضي الله عنه: المحب في الله محب لله، والمحبوب في الله حبيب الله لأنهما لا يتحابان إلَّا في الله".

قال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[٢].

فمن أحب عبدًا في الله فإنما أحب الله تعالىٰ ولا يحب الله تعالىٰ إلَّا من أحبه الله.

قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الناس بعد النبيين في الدنيا والآخرة لله المتحابون فيه**»[٣].

وكل حب معلول يورث فيه عداوة إلا هذين[٤].

---

(١) روي مسلم في صحيحه (٣٧) كتاب البر والصلة باب في فضل الحب في الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلَّا ظلي**».
قال النووي: قوله تعالىٰ: «**المتحابون بجلالي**» أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا، وقوله تعالىٰ: «**يوم لا ظل إلَّا ظلي**» أي أنه لا يكون من له ظل مجازاً كما في الدنيا وجاء في غير مسلم ظل عرشي قال القاضي: ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق.
شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٠١) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٨/ ٤٨، ٤٩)، ومسلم في صحيحه (١٦٥) كتاب البر والصلة، وأبو داود في سننه (٥١٢٧)، والترمذي في سننه (٢٣٨٦)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٩٢)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٥٨)، والهيثمي في المجمع (١/ ٢٨٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٠٨)، وابن المبارك في الزهد (٢٥٠، ٣٦١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦، ٢٧)، والزبيدي في الاتحاف (٨/ ٧٢، ٧٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١١٢، ٥/ ٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٨٦).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) قال النووي: قوله ﷺ للذي سأله عن الساعة: «**ما أعددت لها؟**» قال: حب الله ورسوله، قال: «**أنت مع من أحببت**» وفي روايات: المرء مع من أحب: فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم.
وقد صرح في الحديث الذي بعده بذلك فقال أحب قوما ولما يلحق بهم.
النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٥٣) طبعة دار الكتب العلمية

وهما من عين واحدة يزيدان أبدًا ولا ينقصان أبدًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[١].

لأن أصل الحب التبري عن سوى المحبوب[٢] وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: إن أطيب شيء في الجنة وألذه: حب الله والحب في الله والحب لله.

قال الله عز وجل: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠][٣].

وذلك أنهم إذا عاينوا ما في الجنة من النعيم هاجت المحبة في قلوبهم فينادون عند ذلك والحمد لله رب العالمين.

الباب الثامن والتسعون
في الشوق

* قال الصادق رضي الله عنه: المشتاق لا يشتهي طعامًا ولا يلتذ شرابًا ولا يستطيب وقادًا، ولا يأنس حميمًا ويأوي دارًا ولا يسكن عمرانًا ولا يلبس ثيابًا[٤] ولا يقر قرارًا، ويعبد الله ليلا ونهارًا راجيًا بأن يصل إلىٰ ما يشتاق إليه ويناجيه بلسان الشوق معبرًا عما سريرته كما

---

(١) سورة الزخرف (٦٧).

(٢) عن مجاهد قال: قال لي عمر: أحب في الله وأبغض في الله، وعاد في الله، فإنك لا تنال ولايه الله إلَّا بذلك ولا يجد رجل طعم الإيمان و إن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، فقد صارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا وإن ذلك لا يجزئ عن أهله شيئا».

وقال أبو موسى: سمعت رجلاً سأل أبا يزيد فقال: دلني علىٰ عمل أتقرب به إلىٰ ربي؟ قال: أحبب أولياءه ليحبوك وإن الله تعالىٰ ينظر إلىٰ قلوب أوليائه فلعله ينظر اسمك في قلب وليه فيغفر لك».

ابن الملقن في حدائق الأولياء (١/ ٢٠٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) سورة يونس (١٠)

هذا فيه دلالة علىٰ أنه تعالىٰ هو المحمود أبداً المعبود علىٰ طول المدا، ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره وفي ابتداء كتابه وعند ابتداء تنزيله حيث يقول تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] إلىٰ غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها وأنه المحمود في الأولى والآخرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة في جميع الأحوال ولهذا جاء في الحديث «**إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد**».

تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٦)

(٤) عن ذي النون قال: كنت في الطواف فسمعت صوتا حزينًا وإذا جارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: =

أخبر الله تعالىٰ عن موسى عليه السلام في ميعاد ربه: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[١].

وفسر النبي ﷺ عن حاله أنه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئًا من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوما شوقًا إلىٰ ربه[٢].

فإذا دخلت ميدان الشوق فكبر علىٰ نفسك ومرادك من الدنيا.

وودع جميع المألوفات واصرفه عن سوى مشوقك ولب بين حياتك وموتك: لبيك اللهم لبيك، عظم الله أجرك.

ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة إلَّا خلاصه، وقد نسى كل شيء دونه[٣].

= **أنت تدري يا حبيبي ... من حبيبي أنت تدري**
ونحول الجسم والدمع ... يبوحان بسري
قد كتمت الحب حتى ... في الهوى قد ضاق صدري

قال ذو النون: فشجاني ما سمعت منها حتى انتحبت وبكيت، قالت: سيدي ومولاي بحبك لي إلَّا ما غفرت لي، قال: فتعاظمني ذلك وقلت: يا جارية أما يكفيك أن تقولي بحبي لك حتى تقولي بحبك لي؟ فقالت: إليك عني يا ذا النون، أما علمت أن لله عباداً أحبهم قبل أن يحبوه؟

أما سمعت الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له. فقلت: من أين علمت أني ذا النون؟ فقالت: يا بطال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك ثم قالت: انظر من خلفك فأدرت وجهي فلا أدري السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها.

حدائق الأولياء لابن الملقن (١/ ٢١١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) سورة طه (٨٤).

(٢) عن سرى السقطي قال: اشتريت جارية للخدمة فكانت تخدمني دهراً طويلاً وتكتم أمرها ولها محراب تصلي فيه.

فلما كانت في بعض الليالي وجدتها تصلي تارة وتناجي أخرى فسمعتها تقول: بحبك لي إلَّا فعلت كذا وكذا، فناديتها عند ذلك: لا تقولي هكذا لكن قولي: بحبي إياك فقالت: يا سيدي لولا حبه إياي ما أقعدك وأقامني، فلما أصبحت دعوتها وقلت: إنك لا تصلحين لخدمتي بل تصلحين لخدمة مولاك الأكبر، اذهبي فأنت حرة لوجه الله ثم وصلتها بشيء وسرحتها وندمت علىٰ مفارقتها.

حدائق الأولياء لابن الملقن (١/ ٢١١، ٢١٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٣) عن ذي النون المصري قال: رأيت في جبل لبنان في كهف رجلاً أبيض الرأس واللحية أشعث أغبر نحيفاً وهو يصلي فسلمت عليه بعد ما سلم فرد السلام وقام إلىٰ الصلاة فما زال راكعاً وساجداً حتى=

الباب التاسع والتسعون
في الحكمة[١]

قال الصادق رضي الله عنه: الحكمة ضياء المعرفة، وميزان التقوى، وثمرة الصدق ولو قلت ما أنعم الله علىٰ عبد بنعمة أعظم وأنعم وأجزل وأرفع وأبهى من الحكمة للقلب.

قال تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[٢].

= صلى العصر ثم أسند إلى حجر وجعل يسبح ولا يكلمني فقال له: رحمك الله ادع الله ﷻ لي فقال: آنسك الله بقربه فقلت: زدني فقال: يا بني من آنسه بقربه أعطاه أربع خصال: عزاً من غير عشيرة وعلماً من غير طلب وغنى من غير مال وأنساً من غير جماعة ثم شهق شهقة فلم يفق إلَّا بعد ثلاثة وأنشدوا:

ترى المحبين صرعى في ديارهم ... كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف العشاق أنهم ... قتلى من الحب يوم البين ما حنثوا

ثم قام فتوضأ وسألني كم فاته من صلاته فأخبرته.

حدائق الأولياء (١/ ٢٠٣، ٢٠٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) قد آتاها لقمان في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ ... الآية.

قال ابن وهب بسنده أن رجلاً وقف علىٰ لقمان الحكيم فقال: وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم قولك، قال لقمان: يا ابن أخي إن صغيت إلىٰ ما أقول لك كنت كذلك قال لقمان: غضي بصري وكفي لساني وعفة طعمتي وحفظي فرجي وقولي بصدقي ووفائي بعهدي وتكرمتي ضيفي وحفظ جاري وتركي ما لا يعنيني فذاك الذي صيرني إلىٰ ما ترى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة بن رباح عن ربيعة عن أبي الدرداء أنه قال يوماً وذكر لقمان الحكيم فقال: ما أوتي عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلاً صمصامة سكيتاً طويل التفكير عميق النظر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد قط يبزق ولا يتنخع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلَّا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتي ما أوتي.

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٩)

(٢) سورة البقرة (٢٦٩).

قال ابن عباس في قوله ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩] يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمة ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جبير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا "الحكمة القرآن" يعني تفسيره قال ابن عباس فإنه قد قرأه البر الفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني بالحكمة الإصابة في القول وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩] ليست النبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية: الحكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان بن زفر الجهني عن ابن مسعود مرفوعًا: «**رأس الحكمة مخافة الله**»=

أي لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلَّا من استخلصه لنفسي وخصصته بها والحكمة هي النجاة.

وصفة الحكمة الثبات عند أوائل الأمور والوقوف عند عواقبها.

وهو هاوي خلق الله إلىٰ الله تعالىٰ. قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**لأن يهدى الله علىٰ يديك عبدًا من عباده خير لك مما طلعت عليه الشمس من مشارقها إلىٰ مغاربها**»[1].

الباب المائة

في العبودية

قال الصادق رضي الله عنه: أصول المعاملات تقع أربعه أوجه: معامله الله، ومعاملة النفس، ومعاملة الخلق، ومعاملة الدنيا[2]. وكل وجه منها منقسم علىٰ سبعة أركان أما أصول معاملة الله تعالىٰ فسبعة أشياء: أداء حقه، وحفظ حده، وشكر عطائه، والرضا بقضائه، والصبر علىٰ بلائه، وتعظيم حرمته، والشوق إليه.

= وقال أبو العالية في رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعي: الحكمة الفهم وقال أبو مالك: الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم: الحكمة العقل قال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلًا في أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه عالماً بأمر دينه بصير به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه في دين الله.

تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٢)

(١) بلفظ: «**خير من حمر النعم**».

أخرجه: البخاري في صحيحه (٣٧٠١)، ومسلم في صحيحه (٣٤) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال النووي: قوله ﷺ: فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم».

هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه وقد سبق بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب في الأفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت وفي هذا بيان فضيلة العلم والدعاء إلىٰ الهدى وسن السنن الحسنة.

شرح مسلم للنووي (١٥/ ١٤٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى البخاري في صحيحه (٦٤١٦) كتاب الرقاق باب قول النبي ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» . وكان ابن عمر يقول: «**إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك**». =

وأصول معاملة النفس سبعة: الخوف[١] والجهد، وحمل الأذى، والرياضة، وطلب الصدق والإخلاص، وإخراجها من محبوبها وربطها في الفقر.

وأصول معاملة الخلق سبعة: الحلم، والعفو.

والتواضع[٢]، والسخاء، والشفقة والنصح، والعدل، والإنصاف، وأصول معاملة الدنيا سبعة: الرضا بالدون، والإيثار بالموجود، وترك طلب المفقود.

وبغض الكثرة، واختيار الزهد، ومعرفه آفاتها، ورفض شهواتها ورفض الرياسة.

= وفي الدنيا وذمها قال منصور بن عمار: إذا دنا موت العبد قسم حاله إلى خمسة أقسام: المال للوارث والروح لملك الموت واللحم للدود والعظم للتراب والحساب للخصوم، فيا ليت الشيطان لا يذهب بالإيمان عند الموت فيكون فراقا من الرب جل جلاله نعوذ بالله منه، فإن كل فراق إلى الاجتماع وفراق الرب صعب لا يدركه أحد:

إليك من مكرك يا سيدي ... كل البرايا دائما يحذرون
فكم عيوب وذنوب مضت ... ونحن عنها سيدي غافلون
نضيع بكسب الخطأ ... فنحن في أوقاتنا لاعبون
نشاهد الموت ولا نعتبر ... ولا تنبهنا الريب المنون
بل غفلة نعمي أبصارنا ... وشقوة خابت لديها الظنون
فنحن يا رب الورى كلنا ... إليك من زلاتنا هاربون
لكننا نسأل رب الورى ... عفواً وصفحا كي تقر العيون

انظر حدائق الأولياء لابن الملقن (٢/ ٣٩٥، ٣٩٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) الخوف معناه انخلاع القلب من طمأنينة الأمن للشعور بمحذور يتوقع.
ويترتب عليه الورع عن محارمه والتوقف عن كارهه قال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البَقَرَة: ٤٠] أي خافون، وهو أشد من الوجل الذي هو خوف لاقرار معه وقال: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البُرُوج: ١٢] والبطش: الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وذلك علىٰ الرهبة واقتضاؤه وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [هُود: ١٠٢] إلى قوله ﴿وَشَهِيقٌ﴾ [هُود: ١٠٦] وهذه الآيات بيان لشدة البطش ومعنى شديد الظلم لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب اكتسبه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد، فيبادر بالتوبة ولا يغتر بالإمهال ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ﴾ [هُود: ١٠٣] لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هي إلَّا إنموذج مما أعد لهم في الآخرة فيتعظ ويعتبر وتتمة الآية تصوير لعظائم مهولة تنخلع منها الأوهال وتنقطع من أسرها الكبود لعظم الانفصال وقال تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨] وهذا تصريح بمضمون ذلك كله وأي تخويف أبلغ من ذلك وزجر أعظم مما هنالك وقد كرر ذلك وأعقبه بأردع وعظ وأزجره وأقوى عزيمة وأقصمه.
حدائق الأولياء (٢/ ص٢٠٧، ٢٠٨) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال ابن الملقن في حدائق الأولياء: قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: =

فإذا حصلت هذه الخصال في نفس واحدة فهو من خاصة الله وعباده المقربين، وأوليائه حقا[١].

في حقيقة العبودية

قال الصادق رضي الله عنه: العبودية جوهر كنهها الربوبية.

فما فقد من العبودية وجد في الربوبية، وما خفى عن الربوبية أصيب في العبودية.

قال الله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[٢] أي: موجود في غيبتك وفي حضرتك.

وتفسير العبودية:

بذل الكل، وسبب ذلك منع النفس عما تهوى وحملها علىٰ ما تكره.

= ما دخل قلب رجل شيء من الكبر إلَّا نقص من عقله قدر ما دخله من ذلك قل أو كثر وعنه: أن والده كان يحب أن لا يعينه علىٰ ظهوره أحد، كان يستقي الماء لطهوره ويحضره قبل أن ينام فإذا أقام من الليل بدأ بالسواك ثم يتوضأ ويأخذ في صلاته وكان بالسواك يقول عجبت للمتكبر الفجور الذي كان أمس نطفة ثم يكون غداً جيفة وعجبت كل العجب من يرد دار البقاء ويعمل لدار الفناء وقال الشبلي: إذا أردت أن تنظر إلى ما أنت فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء، فمن كان هذا حاله فلا يجوز له أن يتطاول أو يتكبر علىٰ من هو مثله وللحسن البصري عجبت من معجب بصورته وكان بالأمس نطفة مذرة وهو علىٰ تيهه ورونقه ما بين جنبيه يحمل العذرة وروي أن إبراهيم بن أدهم كان يعمل في الحصاد ويحفظ السلتين فجاءه يوما جندي وطلب منه أن يعطيه شيئا من الفاكهه فأبى فقلب الجندي سوطه وضرب رأسه فطأطأ إبراهيم رأسه وقال: اضرب رأسا طال ما عصى الله فلما عرفه الجندي اعتذر إليه فقال له إبراهيم الرأس الذي يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ وقال همام: قال لي عروة كلمة احتملتها أورثتني عزًا طويلا وقال إبراهيم بن أدهم: رأيت جبريل في المنام وفي يده قرطاس، فقلت له ما تصنع بهذا قال: اكتب فيه أسماء المحبين.

حدائق الأولياء (٢/ ٢٠٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) الولي لا يكون وليا لله حتى يبغض أعداء الله ويعاديهم وينكر عليهم فمعاداتهم والإنكار عليهم هو من تمام ولايته ومما تترتب صحتها عليه وأولياء الله سبحانه هم أحق عباد الله بالقيام في هذا المقام اقتداء برسول الله ﷺ فإنه كان إذا غضب لله أحمر وجهه وعلا صوته حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم وهكذا المعاداة من المؤمن للفاسق ومن الفاسق للمؤمن فإن المؤمن يعاديه لما أوجب الله عليه من عداوته ولكرهته لما هو عليه من الوقوع في معاصي الله سبحانه والانتهاك لمحارمه وتعدى حدوده.

والفاسق قد يعاديه لإنكاره عليه ولخوفه من قيامه عليه وقد يكون ذلك لما جرت به عادة الفساق من الإزراء بمن يكثر من طاعة الله والسخرية بهم كما يعرف ذلك من يعرف أحوالهم فإنهم يعدون ما هم فيه من اللعب واللهو هو العيش الصافي والمنهج الذي يختاره العقلاء ويعدون المشتغلين بطاعة الله من أهل الرياء والتلصص لاقتناص الأموال وأما العداوة بين العالم والجاهل فأمرها واضح.

قطر الولي علىٰ حديث الولي من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية (ص٦٧، ٦٨)

(٢) سورة فصلت (٥٣).

ومفتاح ذلك ترك الراحة وحب العزلة[١] وطريقة الافتقار إلىٰ الله تعالىٰ.

قال النبي ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٢].

وحروف العبد ثلاثة (ع ب د).

فالعين: علمه بالله.

والباء: بونه عمن سواه.

والدال: دنوه من الله تعالىٰ، بلا كيف ولا حجاب.

وأصول المعاملات تقع علىٰ أربعة أوجه كما ذكر في أول الباب الأول.

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٦٤٩٤) كتاب الرقاق، ٢٤ ـ باب العزلة راحة من خلاط السوء، ومسلم في صحيحه (١٢٢) كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، عن أبي سعيد الخدري قال: «**قال رجل أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: رجل يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله؟ قال: ثم من؟ قال: رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه** ـ وفي رواية: ـ **يتقي الله ويدع الناس من شره**» أخرجاه. وفيه: أن المعتزل في شعب أفضل الناس وفيه ثلاث فوائد للعزلة: عبادة الرب تعالىٰ ولا شك أن الفراغ من كل شاغل عن الخير ميسر للخير وأن التفرد عن الخلق أبعد عن الرياء وأعون علىٰ الإخلاص والفائدة الثانية: تقوى الله ولا شك أن كثيرا من المعاصي تتعذر في العزلة فكانت مطية التقى وثالثها: ويدع الناس من شره وإنها لفائدة جليلة وصدقة جزيلة وفيه أحد مواطن العزلة وهو شعب من الشعاب ولزوم البيت قريب منه.

حدائق الأولياء من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية (١/ ٥٦٥، ٥٦٦)

(٢) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه (٥٠) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ، ومسلم في صحيحه [١ ـ (٨)] كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان . . . . من حديث عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلىٰ النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه ووضع كفيه علىٰ فخذيه وقال: «**يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله** ﷺ: . . .» الحديث بطوله عن الإسلام والإيمان والإحسان وفيه عن الإحسان «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

قال النووي: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالىٰ لم يترك شيئا بما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه علىٰ الاعتناء بتتميمها علىٰ أحسن وجوهها إلَّا أتى به فقال ﷺ: «**اعبد الله في جميع أحوالك** كعبادتك في حال العيان» فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالىٰ عليه فلا يقدم العبد علىٰ تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه وهذا تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد فينبغي أن يعمل بمقتضاه فمقصود الكلام الحث علىٰ الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالىٰ في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك وقد ندب أهل الحقائق إلىٰ مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالىٰ مطلعا عليه في سره وعلانيته.

شرح مسلم للنووي (١/ ١٤١) طبعة دار الكتب العلمية

الخاتمة

فالحمد لله قد انتهينا من تحقيق كتاب "مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة".

وحاولت فيه أن أنسب كل ما ورد إلىٰ الكتاب والسنة محافظاً علىٰ رأي أهل السنة والجماعة الذين يحترمون ويبجلون أهل البيت وذلك من الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه وأولاده وأحفاده وذريته الكريمة الطاهرة ولا يمكن أن يتجرأ أحد عليهم إلَّا ووقف له أهل السنة والجماعة عن بكرة أبيهم في وجهه فلآل البيت مكانة رفيعة وعظيمة ليست من صنع أهل السنة والجماعة بل هي من صنع وأمر من الله تعالىٰ وأمر نبيه الكريم ﷺ.

ولي كتاب يتكلم عن احترام الصحابة وحبهم لآل البيت قمت بتحقيقه ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ وهو "مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة"، وآخر يتحدث في عائشة وهو "الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة".

فهل آن الأوان أن يكف من يذم الصحابة العدول وأزواج النبي ﷺ الطاهرين ويعود إلىٰ صوابهم حتى تجتمع أمة الإسلام علىٰ طريق واحد في وجه أعداء الإسلام الذين يتربصون به وبأهله ونعود إلىٰ الوحدة والمحبة ونترك ما مضى مرددين قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

وصلى اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

المحقق

السيد يوسف أحمد

فهرس المحتويات

مقدمة المحقق ٣
الباب الأول: في البيان ١٧
الباب الثاني: في الأحكام ١٩
الباب الثالث: في الرعاية ٢١
الباب الرابع: في النية ٢٣
الباب الخامس: في الذكر ٢٥
الباب السادس: في الشكر ٢٧
الباب السابع: في اللباس ٢٩
الباب الثامن: في السواك ٣٢
الباب التاسع: في التبرز ٣٥
الباب العاشر: في الطهارة ٣٦
الباب الحادي عشر: في الخروج من المنزل ... ٣٧
الباب الثاني عشر: في دخول المسجد ٣٩
الباب الثالث عشر: في افتتاح الصلاة ٤١
الباب الرابع عشر: في قراءة القرآن ٤٣
الباب الخامس عشر: في الركوع ٤٦
الباب السادس عشر: في السجود ٤٧
الباب السابع عشر: في التشهد ٤٩
الباب الثامن عشر: في السلام ٥١
الباب التاسع عشر: في الدعاء ٥٣
الباب العشرون: في الصوم ٥٦
الباب الواحد والعشرون: في الزكاة ٥٧
الباب الثاني والعشرون: في الحج ٥٩
الباب الثالث والعشرون: في السلامة ٦٣
الباب الرابع والعشرون: في العزلة ٦٥
الباب الخامس والعشرون: في العبادة ٦٨
الباب السادس والعشرون: في التفكر ٧٠
الباب السابع والعشرون: في الصمت ٧١
الباب الثامن والعشرون: في الراحة ٧٤
الباب التاسع والعشرون: في القناعة ٧٦
الباب الثلاثون: في الحرص ٧٧
الباب الواحد والثلاثون: في الزهد ٨٠
الباب الثاني والثلاثون: في صفة الدنيا ٨١
الباب الثالث والثلاثون: في الورع ٨٢
الباب الرابع والثلاثون: في العبرة ٨٣
الباب الخامس والثلاثون: في المتكلف ٨٤
الباب السادس والثلاثون: في الغرور ٨٥
الباب السابع والثلاثون: في صفة المنافق .. ٨٧
الباب الثامن والثلاثون: في العقل والهوى .. ٨٨
الباب التاسع والثلاثون: في الوسوسة ٨٩
الباب الأربعون: في العجب ٩٢
الباب الواحد والأربعون: في الأكل ٩٣
الباب الثاني والأربعون: في غض البصر ٩٥
الباب الثالث والأربعون: في المشي ٩٨
الباب الرابع والأربعون: في النوم ١٠٠
الباب الخامس والأربعون: في حسن المعاشرة ١٠٣
الباب السادس والأربعون: في الكلام ١٠٣

الباب السابع والأربعون: في المدح والذم ... ١٠٤
الباب الثامن والأربعون: في المراء ١٠٥
الباب التاسع والأربعون: في الغيبة ١٠٥
الباب الخمسون: في الرياء ١٠٨
الباب الواحد والخمسون: في الحسد ١١٠
الباب الثاني والخمسون: في الطمع ١١٢
الباب الثالث والخمسون: في السخاء ١١٣
الباب الرابع والخمسون: في الأخذ والعطاء . ١١٦
الباب الخامس والخمسون: في المؤاخاة ١١٧
الباب السادس والخمسون: في المشاورة ... ١١٩
الباب السابع والخمسون: في الحلم ١٢٠
الباب الثامن والخمسون: في التواضع ١٢١
الباب التاسع والخمسون: في الاقتداء ١٢٤
الباب الستون: في العفو ١٢٦
الباب الحادي والستون: في حسن الخلق ١٢٨
الباب الثاني والستون: في العلم ١٢٨
الباب الثالث والستون: في الفتيا ١٣١
الباب الرابع والستون: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٣٤
الباب الخامس والستون: في آفة العلماء ١٣٦
الباب السادس والستون: في آفة القراء ١٣٨
الباب السابع والستون: في بيان الحق والباطل ١٤١
الباب الثامن والستون: في معرفة الأنبياء ... ١٤٣
الباب التاسع والستون: في معرفة الأئمة ١٤٥
الباب السبعون: في حرمة المؤمنين ١٤٩
الباب الواحد والسبعون: في بر الوالدين ١٥١
الباب الثاني والسبعون: في الموعظة ١٥٢
الباب الثالث والسبعون: في الوصية ١٥٤
الباب الرابع والسبعون: في الصدق ١٥٦
الباب الخامس والسبعون: في التوكل ١٥٨
الباب السادس والسبعون: في الإخلاص ١٦١
الباب السابع والسبعون: في الجهل ١٦٣
الباب الثامن والسبعون: في تبجيل الإخوان ١٦٤
الباب التاسع والسبعون: في التوبة ١٦٦
الباب الثمانون: في الجهاد والرياضة ١٦٨
الباب الواحد والثمانون: في الفساد ١٧٠
الباب الثاني والثمانون: في التقوى ١٧٢
الباب الثالث والثمانون: في ذكر الموت ١٧٥
الباب الرابع والثمانون: في الحساب ١٧٧
الباب الخامس والثمانون: في حسن الظن .. ١٧٨
الباب السادس والثمانون: في التفويض ١٨٠
الباب السابع والثمانون: في اليقين ١٨١
الباب الثامن والثمانون: في الخوف والرجاء .. ١٨٤
الباب التاسع والثمانون: في الرضا ١٨٦
الباب التسعون: في البلاء ١٨٧
الباب الواحد والتسعون: في الصبر ١٨٩
الباب الثاني والتسعون: في الحزن ١٩١
الباب الثالث والتسعون: في الحياء ١٩٢
الباب الرابع والتسعون: في الدعوى ١٩٤
الباب الخامس والتسعون: في المعرفة ١٩٥
الباب السادس والتسعون: في حب الله ١٩٦
الباب السابع والتسعون: في الحب في الله ... ١٩٨
الباب الثامن والتسعون: في الشوق ١٩٩
الباب التاسع والتسعون: في الحكمة ٢٠١
الباب المائة: في العبودية ٢٠٢
في حقيقة العبودية ٢٠٤
الخاتمة ٢٠٦
فهرس المحتويات ٢٠٧